



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا  
عليكم يا صابغ  
الرماد

www.ghaemiyeh.com  
www.ghaemiyeh.org  
www.ghaemiyeh.net  
www.ghaemiyeh.ir



# دُعَاءُ الْأَهْلِ الْمُسْلِمِينَ

## فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ

بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ الْعَلَمِيَّةِ وَالْأَسْرَافِيَّةِ

وَرَسَالَةِ إِسْلَامِيَّةٍ مَبْكَوْمَةٍ

تَلْفِيحٌ

السيد ميل قدوري كشي

الجزء الأول

مكتبة دار الفکر  
بمطبع دار الفکر  
بمطبع دار الفکر  
بمطبع دار الفکر  
بمطبع دار الفکر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# دعاء الامام الحسين في يوم عاشوراء

كاتب:

نبيل الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

5	الفهرس
15	دعاء الامام الحسين فى يوم عاشوراء المجلد 1
15	اشارة
15	اشارة
19	الإهداء
21	مقدمة اللجنة العلمية
23	مقدمة الكتاب
31	الفصل الأول: مفهوم الدعاء
31	اشارة
33	المبحث الأول: الدعاء فى اللغة والاصطلاح
33	المسألة الأولى: الدعاء فى اللغة
33	اشارة
33	ألف: النداء
33	باء: الاستغاثة
34	جيم: العبادة
34	دال: الاستعانة
35	المسألة الثانية: الدعاء فى الاصطلاح
36	المبحث الثانى: الدعاء فى القرآن الكريم
36	اشارة
36	أولاً: مدلول فطرى
37	ثانياً: مدلول تعبدى
39	ثالثاً: مدلول تفاضلى
43	رابعاً: مدلول جزائى أخرى

46 ..... المبحث الثالث: الدعاء في السنّة .....

51 ..... الفصل الثاني: دعاء الإمام الحسين عليه السلام وخصوصية المكان والزّمان .....

51 ..... اشارة .....

57 ..... المبحث الأول: الخصوصية المكانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء .....

57 ..... اشارة .....

57 ..... المسألة الأولى: الملائكة عليهم السلام تحمل تربة كربلاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .....

59 ..... المسألة الثانية: النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يخبر علماً عليه السلام بخصوصية تربة كربلاء .....

60 ..... المسألة الثالثة: شرافة تربة كربلاء عند أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه .....

62 ..... المسألة الرابعة: الإمام على عليه السلام يخبر أصحابه عن شرافة تربة كربلاء .....

66 ..... المبحث الثاني: خصوصية تربة كربلاء عند أئمة أهل البيت عليهم السلام .....

66 ..... اشارة .....

66 ..... أولاً: تقديم تربة كربلاء بالخلق على تربة مكة .....

67 ..... ثانياً: تفضيلها على أرض مكة وأنها حرم آمن .....

67 ..... اشارة .....

68 ..... المسألة الأولى: سنة التفضيل حقيقة كونية وقرآنية .....

69 ..... المسألة الثانية: الحكمة في تفضيل أرض كربلاء على أرض مكة .....

71 ..... ثالثاً: إن كربلاء هي البقعة المباركة بجانب شاطئ الوادي الأيمن .....

72 ..... رابعاً: إنها محل ولادة عيسى عليه السلام والربوة التي التجأت إليها مريم عليها السلام .....

73 ..... خامساً: أنها الموضوع الذي ردت فيه الشمس لعلّ أمير المؤمنين عليه السلام .....

76 ..... المبحث الثالث: الخصوصية المكانية لتربة كربلاء وعلاقتها بالدعاء .....

81 ..... الفصل الثالث: الخصوصية الزمانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام .....

81 ..... اشارة .....

85 ..... المبحث الأول: خصوصية ليلة عرفة ويومه في أرض الحائر الحسيني .....

85 ..... اشارة .....

89	مسألة: كيف يتحقق النظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام مع تقدم وقوف أهل عرفات زماناً لاختلاف الأفق! ..
92	المبحث الثاني: خصوصية يوم عاشوراء ..
92	المسألة الأولى: خصوصية يوم عاشوراء قبل فاجعة الطف عند أهل البيت عليهم السلام ..
94	المسألة الثانية: خصوصية يوم عاشوراء بعد فاجعة الطف ..
103	الفصل الرابع: علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالدعاء ..
103	إشارة ..
105	المبحث الأول: كثرة دعائه عليه السلام ..
105	إشارة ..
106	استثمار دقائق الحياة بالعبادة ..
108	المبحث الثاني: دور التهجد في الإعداد الروحي والقلبي لخوض المهمات وتحمل الملمات ..
116	المبحث الثالث: آثار تهجد الإمام الحسين عليه السلام على الأعداء ..
116	إشارة ..
116	المسألة الأولى: الجانب الرسالي ..
116	المسألة الثانية: الجانب النفسى ..
117	المسألة الثالثة: الجانب العسكرى ..
119	الفصل الخامس: مواضع دعاء الإمام الحسين عليه السلام ..
119	إشارة ..
121	توطئة ..
123	الموضع الأول: دعاؤه عليه السلام حينما رأى الجيوش من حوله ..
123	إشارة ..
125	المبحث الأول: الأسباب الباعثة للدعاء ..
125	إشارة ..
125	أولاً: وقت الدعاء ..
126	ثانياً: آثار الدعاء فى وقت الصباح ..
127	المبحث الثاني: بحث سايكولوجى (نفسى) ..

127	الثقة عامل نفسى تتوقف عندها الهزيمة والنصر
137	المبحث الثالث: مبحث أخلاقى
137	اشارة
137	المسألة الأولى: تقديم ذكر النعم قبل عرض الحاجة
139	المسألة الثانية: الخوف والرجاء ودورهما فى تقويم السلوك
139	اشارة
145	أولاً: معنى الخوف والرجاء
147	ثانياً: التلازم بين الخوف والرجاء
150	ثالثاً: توازن الخوف والرجاء فى قلب المؤمن
153	رابعاً: أثر الخوف والرجاء على تقويم السلوك الإنسانى
157	خامساً: آثارهما النفسية
160	المبحث الرابع: نظريته عليه السلام فى منشأ الهموم وعوامل تفرجها
160	اشارة
161	المسألة الأولى: ما هى النظرية؟ وبم تختلف نظرية المعصوم عليه السلام عن نظرية غيره من الناس؟
161	أولاً: ما هى النظرية؟
162	ثانياً: وظائف النظرية
163	ثالثاً: الفرق بين النظرية والفرضية
164	رابعاً: الفرق بين نظرية المعصوم عليه السلام وغيره من الناس
166	المسألة الثانية: ما هو (الهم) و(الغم)؟ وبم يختلفان
167	المسألة الثالثة: اجتماع الهم والغم فى بعض الأحيان فيكونان (المصيبة)
167	اشارة
169	1__ يخذل فيه الصديق
170	2__ ويشمت فيه العدو
171	المسألة الرابعة: علاقة الهم بالفؤاد
177	المسألة الخامسة: عوامل دفع الهموم والغموم



183	المبحث الخامس: دور الدعاء فى التربية الروحية .....
183	المسألة الأولى: التلازم بين أركان الدعاء .....
183	اشارة .....
184	الركن الأول: التوجه إلى الله تعالى بجميع الجوارح .....
185	الركن الثانى: الابتداء بالحمد والثناء .....
185	الركن الثالث: تقديم ذكر المنعم على طلب النعمة .....
186	الركن الرابع: عرض الافتقار إلى المنعم .....
187	الركن الخامس: التبعيد بالخوف والرجاء .....
187	الركن السادس: الدخول فى الحاجة والمسألة وتوجيه القصد إليهما .....
187	الركن السابع: العودة بعد عرض الحاجة إلى حمد المنعم سبحانه وتعالى .....
187	الركن الثامن: اليقين بالاستجابة .....
188	الركن التاسع: إظهار المعرفة بصفات الله تعالى .....
188	الركن العاشر: الانصراف من الدعاء يكون مصحوبا بإظهار حب الله عزوجلّ .....
189	المسألة الثانية: دوام السياق التأديبى فى الخطاب مع الله تعالى .....
189	اشارة .....
189	أولا: اختصاص مقاطع الدعاء منذ البداية وحتى النهاية بمظاهر الحب الإلهى .....
190	ثانيا: إظهار مراتب المعرفة بالله فى جميع مقاطع الدعاء .....
192	الموضع الثانى: من أدعيته عليه السلام قبل البدء بالقتال .....
192	دعاؤه عليه السلام على جيش عمر بن سعد .....
196	المبحث الأول: أسباب الدعاء .....
196	اشارة .....
196	أولا .....
201	ثانيا .....
202	ثالثا .....
208	رابعا .....

211	المبحث الثاني: مبحث قانوني .....
211	منهج الإمام الحسين عليه السلام فى القصص من الظالمين .....
211	اشارة .....
211	المسألة الأولى: إيكال الانتقام إلى الله تعالى .....
213	المسألة الثانية: مفهوم الانتقام ومصادقه .....
216	المسألة الثالثة: نوع العذاب وكيفيته اللذان بهما يتحقق مصداق الانتقام .....
216	اشارة .....
219	أولاً: التغرير بأهل البيت عليهم السلام .....
220	ثانياً: وأما تكذيب الناس لأهل البيت عليهم السلام .....
220	ثالثاً: وأما خذلان الناس لأهل البيت عليهم السلام .....
222	الفصل السادس: تحقق الأثر الغيبى فى دعاء الإمام الحسين عليه السلام .....
222	اشارة .....
224	المبحث الأول: تحقق الأثر الغيبى بعد بضع سنين من عاشوراء .....
224	اشارة .....
224	الحلقة الأولى: إنَّ الله تعالى سلط عليهم غلام تقيف .....
224	اشارة .....
225	المسألة الأولى: من هو غلام تقيف؟ وما هى مكانته الاجتماعية، ومدى علاقته بأهل البيت عليهم السلام؟ .....
225	أولاً: من هو المختار؟ .....
225	ثانياً: مكانته الاجتماعية .....
226	ثالثاً: علاقة المختار بأهل البيت عليهم السلام .....
226	رابعاً: حبس المختار فى سجن الكوفة ومنعه من الالتحاق بكرىلاء .....
228	خامساً: أثر مقتل الحسين عليه السلام على المختار .....
229	سادساً: انطلاقة ثورة التوابين واتصال بعض قادتها بالمختار .....
230	المسألة الثانية: إعلان ساعة الصفر فى الكوفة لمعركة القصاص .....
230	اشارة .....

- 231 ..... أولاً: تتبعه لقتلة الحسين عليه السلام والاقتصاص منهم .
- 235 ..... ثانياً: قتله لشمر بن ذى الجوشن (لعنه الله) .
- 237 ..... ثالثاً: قتله لعمر بن سعد بن أبي وقاص (لعنه الله) قائد الجيش في يوم عاشوراء .
- 237 ..... رابعاً: قتله لوالى الكوفة عبيد الله بن زياد (لعنه الله) مع رموز جيش أهل الشام الذين اشتركوا في قتال الحسين عليه السلام .
- 249 ..... الحلقة الثانية: إن الله تعالى سلط عليهم سنين كسنى يوسف عليه السلام .
- 249 ..... اشارة .
- 249 ..... أولاً: عجز خزينة الدولة وتردى الوضع الاقتصادى .
- 254 ..... ثانياً: فرض الضرائب على الناس وتعذيبهم وسجنهم على ذلك .
- 255 ..... ثالثاً: فرار المسلمين من القرى الزراعية إلى المدن بسبب الضرائب وعجزهم عن دفعها .
- 256 ..... رابعاً: فرض الدولة الجزية على أهل الذمة حتى بعد إسلامهم مع مخالفة ذلك للقرآن .
- 258 ..... المبحث الثانى: تحقق الأثر الغيبي الآتى فى دعائه عليه السلام .
- 258 ..... اشارة .
- 259 ..... المسألة الأولى: مواضع ظهور الأثر الغيبي الآتى فى يوم عاشوراء .
- 259 ..... الموضوع الأول لاستجابة دعائه عليه السلام .
- 259 ..... الموضوع الثانى لاستجابة دعائه عليه السلام .
- 260 ..... الموضوع الثالث لاستجابة دعائه عليه السلام .
- 261 ..... الموضوع الرابع لاستجابة دعائه عليه السلام .
- 261 ..... المسألة الثانية: عوامل نشوء ثقافة التجرد فى المجتمع الإسلامى .
- 261 ..... اشارة .
- 263 ..... العامل الأول: ابتذار الفكر الجبرى .
- 267 ..... العامل الثانى: الخلط بين الخلافة والملك .
- 271 ..... العامل الثالث: تناقض المجتمع الكوفى .
- 271 ..... اشارة .
- 272 ..... الحلقة الأولى \_ إرهاب الثقافة .
- 272 ..... اشارة .

- 273 ..... الشاهد الأول: رواية الإمام الباقر عليه السلام .....
- 274 ..... الشاهد الثاني: قتل من يروى حديثاً في فضل علي وأهل بيته عليهم السلام .....
- 275 ..... الشاهد الثالث: تولية معاوية لزياد بن سمية على الكوفة .....
- 275 ..... الشاهد الرابع: إسقاط شهادة شيعة علي عليه السلام .....
- 276 ..... الشاهد الخامس: نشر الأحاديث المكذوبة في فضائل عثمان .....
- 278 ..... الشاهد السادس: التكيل بشيعة علي وهدم دروهم .....
- 278 ..... الحلقة الثانية \_ آثار الأنماط الثقافية .....
- 281 ..... العامل الرابع: سلوك الحكام سياسة التجري على الحكم الشرعي .....
- 285 ..... المسألة الثالث: الحكمة في ظهور الأثر الغيبي الآتي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء .....
- 293 ..... الفصل السابع: مواضع أدعيته عليه السلام لأصحابه عليهم السلام .....
- 293 ..... إشارة .....
- 297 ..... الموضوع الأول من أدعيته لأصحابه: دعاؤه لأم وهب رضی الله عنها .....
- 297 ..... إشارة .....
- 297 ..... المسألة الأولى: من هي أم وهب؟ .....
- 297 ..... المسألة الثانية: سبب الدعاء .....
- 299 ..... المسألة الثالثة: ما هو رجاء أم وهب عليها السلام؟ .....
- 300 ..... المسألة الرابعة: شفاعة الأئمة يوم القيامة .....
- 300 ..... إشارة .....
- 300 ..... أولاً: الشفاعة لغة .....
- 301 ..... ثانياً: الشفاعة عند الفقهاء .....
- 303 ..... ثالثاً: الشفاعة عند المفسرين .....
- 306 ..... رابعاً: شفاعة الإمام الحسين عليه السلام .....
- 308 ..... الموضوع الثاني من أدعيته لأصحابه: دعاؤه لجون .....
- 308 ..... إشارة .....
- 308 ..... المسألة الأولى: من هو جون؟ .....

- 308 ..... المسألة الثانية: أسباب الدعاء .....
- 309 ..... المسألة الثالثة: تحقق الأثر الغيبي في دعائه عليه السلام لجون .....
- 313 ..... الموضوع الثالث من أدعيته عليه السلام لأصحابه: دعاؤه لأبي الشعثاء الكندي .....
- 313 ..... اشارة .....
- 313 ..... المسألة الأولى: من هو (أبو الشعثاء الكندي)؟ .....
- 314 ..... المسألة الثانية: دور القائد في رفع مستوى المقاتل .....
- 315 ..... الموضوع الرابع من دعائه عليه السلام لأصحابه: دعاؤه للغفاريان .....
- 315 ..... اشارة .....
- 315 ..... المسألة الأولى: أسباب الدعاء .....
- 316 ..... المسألة الثانية: التعريف بهما .....
- 316 ..... المسألة الثالثة: درجات المواساة للعترة النبوية ورتب استحقاقها من الأجر .....
- 322 ..... الموضوع الخامس من دعائه لأصحابه: دعاؤه لأبي ثمامة الصائدي .....
- 322 ..... اشارة .....
- 322 ..... المسألة الأولى: أسباب الدعاء .....
- 323 ..... المسألة الثانية: التعريف بأبي ثمامة الصائدي .....
- 324 ..... المسألة الثالثة: دور القائد في ترسيخ حب الصلاة وإقامتها .....
- 326 ..... الموضوع السادس من دعائه لأصحابه: دعاؤه لزهير بن القين .....
- 326 ..... اشارة .....
- 326 ..... المبحث الأول: التعريف بشخصية زهير بن القين \_\_\_ عليه السلام \_\_\_ .....
- 326 ..... المسألة الأولى: أقوال العلماء فيه .....
- 327 ..... المسألة الثانية: علاقته بسيد الشهداء عليه السلام .....
- 334 ..... المبحث الثاني: جواز اللعن في الشريعة .....
- 334 ..... اشارة .....
- 334 ..... المسألة الأولى: جواز اللعن على مستحقه، وهل يترتب ثواب على الإتيان به؟ .....
- 334 ..... اشارة .....

335 ..... أولاً: مفهوم المحاسن والمساوئ.

336 ..... ثانياً: اللعن في اللغة.

336 ..... ثالثاً: جواز اللعن.

340 ..... المسألة الثانية: من هم الذين مسخوا قردة وخنازير؟

343 ..... المسألة الثالثة: الحكمة في دعائه عليه السلام باللعن على قاتلي زهير بالمسوخ قردة وخنازير.

349 ..... المحتويات

358 ..... تعريف مركز

الحسنى، نبيل، 1965 \_\_\_\_\_ م.

دعاء الإمام الحسين في يوم عاشوراء بين النظرية العلمية والأثر الغيبي: دراسة اسلامية معاصرة / تأليف نبيل الحسنى؛ تقديم اللجنة العلمية، محمد على الحلو. \_ كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، 1431ق.=2010م.

2 ج. \_\_\_\_\_ (قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة؛ 37).

المصادر.

1. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. والدعاء \_\_ دراسة وتحقيق. 2. الدعاء \_\_ فلسفة. 3. الدعاء تأثير الزمان والمكان. 4.
- الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61 ق. \_\_ سياسته وحكومته. 5. عاشوراء \_\_ فلسفة. 6. العبادة والجهاد \_\_ تأثير الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. 7. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. 8. الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. 9. جزاء الاعداء. 9. واقعة كربلاء، 61ق. \_\_ تأثير \_\_ دراسة وتحقيق. (10). الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق.
- \_\_ أصحاب \_\_ دراسة وتعريف. (11). الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. والصلاة (12). الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. والتوكل. (13). الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. والقومية. (14). الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. العبودية (الإسلام). (15). الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. \_\_ علم الغيب. (17) الحسين بن على (ع)، الإمام الثالث، 4 \_\_ 61ق. نظرية في الدوافع النفسية للفرد.
- (18) الكوفة \_\_ التفكك الإجتماعى \_\_ 61 ق. \_\_ فلسفة. (19) كربلاء \_\_ فضائل \_\_ أحاديث. (20). دعاء الفرج وعاشوراء. ألف. العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. اللجنة العلمية. ب. الحلو، محمد على، مقدم. ج. عنوان.

5 ح 708 / د 709 / BP 41

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر

ص: 1

إشارة

بسم الله الرحمن الرحيم





ص: 3

دعاء الإمام الحسين

فى يوم عاشوراء

بين النظرية العلمية والأثر الغيبى

دراسة اسلامية معاصرة

تأليف

السيد نبيل قدورى الحسنى

الجزء الأول

إصدار

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

فى العتبة الحسينية المقدسة

وحدة الدراسات التخصصية فى الإمام الحسين عليه السلام

ص: 4

حقوق النشر محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1431هـ \_ 2010م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

Web: [www.imamhussain-lib.com](http://www.imamhussain-lib.com)

E-mail: [info@imamhussain-lib.com](mailto:info@imamhussain-lib.com)

## الإهداء

إلى من لم يتمالك الصبر فراقه ففاضت عيناه دموعاً

إلى من أكل الرزايا فأصبح قلبها بفقدته مفجوعاً

إلى ريحانة خامس أهل الكساء

وأشبه الخلق بسيد أهل العباء

إلى أول شهيد من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في كربلاء

إلى سيدى على الأكبر عليه السلام

أهدى كتابى هذا.



## مقدمة اللجنة العلمية

شهدت الدراسات المتكفلة في الشأن الحسيني تطوراً كبيراً يعكس قضيتين أساسيتين:

إحدهما: تنامي الوعي المعرفي لدى النخبة التي وجدت نفسها مضطراً أن تقرّ الحدث الحسيني على أساس التحولات التي يشهدها العالم في شأن الفكر والثقافة والثورة والتي تُعد قضية الإمام الحسين عليه السلام إحدى ركائز هذا التطور العالمي المنظور في شأن هذا الثلاثي الهائج بالمنعطفات الخطيرة والتي ألزمت النخبة أن تعيد حساباتها في هذا الشأن.

والأخرى: توجه القواعد العامة إلى قراءة القضية الحسينية بكل تفاصيلها الدامية فضلاً عن كل تفاصيلها ودقائقها المعرفية \_\_ وان كنا لا نفرّق بين الاثنين، إذ تعد هذه التفاصيل الدامية جزءاً من الرقي المعرفي الذي تجيش بسببه العواطف.

لذا فقد احتلت دراسات القضية الحسينية مساحة واسعة من البحوث، وهي في الوقت نفسه احتلت شأناً كبيراً من اهتمامات المتابعين لهذا الحدث فضلاً عن اهتمامات الباحثين كذلك.

ولم تتوقف هذه الاهتمامات على نقل الواقعة وتجسيدها؛ بل تصاعدت إلى تحليل «الجزئية الحسينية» بالبحوث والتنقيب، وأقصد بالجزئية الحسينية هي تلك الحيثية لاحدى صور القضية الحسينية المتداوية بين الزمان والمكان، ولا نعنى

بالزمان والمكان الكربلائين وحدهما، بل يتعدى ذلك إلى كل زمان تتوقت فيه مأساة المظلوم، والمكان الذى تستدعيه حادثة الوقع الكربلائي بمتشابهاتها ومحناها.

ولعل دراسة «دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء» توقفنا على هذه الحالة البحثية.

فظاهرة الدعاء عند الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء تستدعى معها دراسات متعددة تجتمع كلها لتعطي شأناً من شؤون الدراسة، وربما البعض سيتوقف فى ضرورة هذا السرد البحثى الذى جاء به الكاتب الا أنه إحدى ضرورات استيفاء جهة من جهات الدراسة، فلم يقتصر الكاتب على البحث الدلالى للدعاء عند الإمام الحسين عليه السلام حتى عززه بمقاطع تاريخية وشواهد فلسفية ودراسات تربوية إلى آخرها من البحوث المساعدة التى تتكافل لتُعطي نبذة من نُبذ الدراسة ومقتضياتها. والكاتب مسبق بالسعى وراء كل ما ينفع القارئ من أجل تعزيز رؤيته البحثية فى كل المجالات، فالى المزيد من الدراسات التى تشارك فى رفع التصيب عن رؤية القراء وتُسهم فى رفد ثقافتهم بما يتطلع إليه الجميع، شكر الله جهود الجميع وأثابهم بكل خير وللسيد الكاتب كل تقدير وتبجيل بما عرفنا عنه من حُسن المثابة وعظيم المجاهدة والعمل على تقديم ما هو جديد.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد على الحلو

النجف الأشرف

20 / ربيع الثانى / 1431 هـ \_

2010 / 4 / 7 م

## مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

(الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها)(1).

والصلاة والسلام على خير الأنام وعلى آله الهداة الكرام الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وبعد:

فإن الحضارة لم تكن وليدة الصدفة لدى الأمم وإن تقدمها لم يكن بضربة عصا ساحر، كما أن رخاءها وازدهارها لم يكونا من صنع مارد، وإنما بفعل إخلاص علمائها ومثابرة أبنائها وهمة فتيانها ووعى رجالها ونسائها.

كما أن تردى الأمم كان بنفاق علمائها وتكاسل أبنائها ولهو فتيانها وجهالة رجالها وانحلال نسائها.

من هنا: احتاجت الأمم إلى دورات إصلاحية تعيد لها نبض حياتها، وتنقى

---

1- هذا ما ابتدأت به بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجية التي ألقته في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جمع من المهاجرين والأنصار، (الاحتجاج للطبرسي: ج 1، ص 133).

أفكارها كي يكتب لها البقاء وتنهض للإعمار والبناء.

ومن هنا أيضا: احتاجت هذه الأمة إلى مدرسة عاشوراء بكل تفاصيلها كي تعي أسباب ترويضها وتعرف مكامن ضلالها وتقف عند عوامل انحرافها، فأى أمة تستطيع أن تفخر بماضيها وهي قد أقدمت على قتل ابن بنت نبيها وذبح أطفاله الرضع وسبى نسائه وبناته، وفيهن من لم تتعدَّ الخامسة من عمرها فيوضع أمامهن رؤوس آبائهن وأخوانهن.

وكان القارئ لتاريخ هذه الأمة يرى نفسه أمام شاشة عرض تقص عليه فيلما سينمائيا عن كوكب فضائي تحيا فيه مخلوقات لم يعرفها بنو البشر قد قدمت إلى الأرض، فعاثت به الفساد والدمار وهو مذهول وقد أطبقت على صدره الدهشة وهو شاخص العينين فيما لم ير، ولم يسمع به من قبل.

وبين هذا الدمار وتلك الوحشية التي انفرد بها الإنسان في يوم عاشوراء تبنى مدرسة إصلاحية، لتتفجر منها علوم ومعارف محمدية، تسقى القلوب الظمأى وتروى النفوس الجذباء بعد أن أثقلها الجذب وأخباها الرماد.

هكذا هي مدرسة الدعاء في يوم عاشوراء، حينما تدخلها تحنن وأنت تنظر إلى سيد الشهداء عليه السلام وهو ينتقل بين باحات هذه الصفوف ليزيح عن الأفهام تراكمات الأوهام، ويجلى عن القلوب سحائب الظلمة فينير العقل بالحكمة ويفتح أبواب علوم جمّة، وتحنن أيضا في تعداد دروسها واتساع باحاتها وتنوع علومها ومعارفها، حتى تنخال نفسك في بلد العجائب أو أنك في عالم آخر لم يعرفه بنو جلدتك، ولم يألفه بنو جنسك لاسيما وهم بين هارب من فضيحة قتل ابن بنت



النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وبين مأسور بفتوى عالم لا يجيز النظر إلى عترة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وبين متقوق بثقافة رسمتها أجرة النييد.

ولذا: يأتي هذا الكتاب كمحاولة لنقل اليسير مما اختزنه مدرسة الدعاء فى يوم عاشوراء من علوم ومعارف وحقائق عديدة إلى القارئ الكريم، مشفوعاً ذلك بالكتاب العزيز والحديث الشريف والعلوم الأكاديمية الحديثة.

فجاء الكتاب ضمن محورين المحور الأول يرتكز على بيان الآثار الغيبية فى دعائه يوم عاشوراء، والمحور الثانى يرتكز على بيان ما تضمنته الأدعية من نظريات علمية، والنظرية عند الأئمة المعصومين عليهم السلام تختلف بمصداقها عن النظرية التى يتوصل إليها العالم فى المؤسسات والهيئات والجامعات المعاصرة؛ إذ ترتكز النظرية عند المعصوم عليه السلام على تفسير الظاهرة أو القانون أو القاعدة طبقاً لعين الواقع، ولذا فهى علمية لاستحالة نفوذ الاحتمال أو الظن إليها، بمعنى لا يكون بيان الإمام يستند على الظن أو عدم الاحاطة الكاملة والشاملة والدقيقة للسنن والقوانين والظواهر الكونية، ونقصد بالكونية جميع ما يمكن أن يدركه الإنسان ويحسه بل وحتى الأشياء التى لم يتمكن من إدراكها ومعرفتها فجميع ذلك علمه عند الإمام المعصوم عليه السلام.

وذلك أن علم المعصوم هو علم حضورى أو لدنى قال تعالى: فى معرض حديثه عن الخضر عليه السلام:

<وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا> (1).

وقال عزوجل عن سيد الأئمة وخازن النبوة أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

<وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ> (1).

وفى بيانه عز شأنه لعلم نوح عليه السلام حينما أمره ببناء السفينة وحمل المخلوقات فيها قال له:

<أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ> (2).

وهذا الجمع يستلزم المعرفة التامة والاحاطة الشاملة بجميع ما خلق الله تعالى؛ كى يتمكن نوح عليه السلام من حمل هذه المخلوقات بل يستلزم ذلك معرفته وعلمه بأصناف هذه المخلوقات وأجناسها أى الذكر من الأثني حتى يتمكن من إعادة دورة الحياة على الأرض، فكم من حيوان ونبات وحشرة خلقها الله تعالى على الأرض، وحملها معه نوح عليه السلام فى السفينة.

ولذا لا يمكن أن يكون فعل نوح عليه السلام بغير علم لدنى علمه الله تعالى إياه.

<وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا>، بل كما أسلفنا: <وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ>.

وعليه: تكون نظرية المعصوم عليه السلام هى عين الواقع، ونظرية غيره من الخلق تبنى على مجموعة من الظنون تتفاوت فى نسبها وقوتها ومرجحاتها، فقد يصل هذا

1- سورة يس، الآية: 12.

2- سورة هود، الآية: 40.

العالم أو ذاك من خلال الدراسة والبحث إلى معرفة الحكم بنسبة محدوده تقترب أو تبتعد عن الحكم الواقع والمطابق لعين الحق.

وقد يتعد كل البعد عن عين الواقع فتكون نظريته واهية سرعان ما يظهر فشلها حينما يأتي عالم آخر يقدم أدلته التي تكتسب أهميتها من خلال قربها من الواقع، ومن ثم إحراز نسبة من الحقيقة التي سنها الله تعالى، من هنا ذهب البعض إلى: (أن النظرية بسبب اتساعها يبقى صدقها احتمالياً مهما بلغ النجاح فيها)<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا نجد أن نظرية المعصوم هي عين الواقع فلا وجود للإحتمالات فيها ولا ظنون نافذة إليها فهي عين الصدق لأنها تركز على فيض من سن السنن وأجراها ومن بيده مقاديرها وتصريفها فكان علم الإمام بها علماً ربانياً ولدنياً.

أما دورنا هنا هو محاولة إيصال نظرية المعصوم عليه السلام بصفتها حقيقة مطابقة لعين الواقع إلى الباحثين والدارسين من خلال إلزامهم بما ألزموا أنفسهم من التمسك بالظواهر والأدلة التي ارتكزت في مفاهيمهم أنها علمية.

وحيث إن الكمال لله تعالى شأنه ولحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وعترته ثقل القرآن وعدله فإنه قد يخوننا البيان ويفارقنا التوفيق فيما سعينا من أجله في بعض مواضع الكتاب فنسأل الله تعالى العفو والمغفرة ومن رسوله وأهل بيته الشفاعة.

وعليه: استلزم منهج البحث كتابة فصول تسعة تنوعت بحسب مطالب علوم مدرسة الدعاء.

فكان الفصل الأول قد تضمن مفهوم الدعاء ودلالة الكتاب العزيز عليه، وما بينته السنة المطهرة من تعريف وآثار ودور للدعاء في حياة الإنسان.

1- أسس البحث العلمي، د. محمد نجيب، ود. محمود ميلاد: ص 43.

ومن ثمّ الانتقال في الفصل الثاني والثالث إلى خصوصية الزمان والمكان وعلاقتها بالدعاء، لاسيما ونحن نتحدث عن قضية قد ارتبطت بالسماء وأن المحرك لها هو الإمام المعصوم، وهذا يعنى أن المكان الذى تم فيه الدعاء لم يكن مهملاً من العناية الإلهية؛ بل قد كان مسبقاً بالشرافة والكرامة، وإن الزمان الذى رفع فيه الدعاء هو أيضاً قد سبق باللطف وحف بالشرف، كما شرف غيره من الأزمنة والأمكنة.

أما بقية الفصول فلقد تمايزت فيما بينها بمزايا وخصائص عديدة، وظهرت فيها سمات اختصت بهذه المجموع من الأدعية التى كان أولها فى صبيحة يوم العاشر؛ وثانيها: أدعيته عليه السلام قبل البدء بالقتال، وثالثها: أدعيته عند مصارع أصحابه؛ ورابعها: أدعيته عند مصارع أهل بيته وخامسها: أدعيته عند قتاله ومصرعه .

فكان الدعاء الأول قد امتاز ببيان حقائق عديدة ارتبطت بالعقيدة والعلوم الاجتماعية والنفسية والسلوكية.

وامتازت المجموعة الثانية من أدعيته عليه السلام بحقيقة تحقق الأثر الغيبي الآنى، أى فى لحظة قوله للدعاء، والمستقبلي، أى ظهور هذه الآثار الغيبية بعد يوم عاشوراء، اختلفت باختلاف الحدث وما تقرر المصلحة الإلهية، فمنها ما كان بعد عاشوراء بأيام ومنها بشهور، ومنها بسنوات قليلة.

وامتازت المجموعة الثالثة من أدعيته عليه السلام \_\_ وهى التى كانت عند مصارع أصحابه عليهم السلام \_\_ ب: دور القائد والإمام وعلاقته برعيته وأشياعه، وشحذ همهم ومباركة

أفعالهم، وتسارع هذه النخبة فى التضحية، وأثار ذلك على العقيدة والنفس والمجتمع؛ فضلا عن بيان الاستحقاق الجزائى والقضائى للجنة فى انتهاك هذه الحرمات.

وامتازت المجموعة الرابعة \_\_ وهى التى اختصت بمصارع أهل بيته عليهم السلام \_\_ ب: سمة إظهار الإمام الحسين عليه السلام لحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما يترتب على ذلك من آثار كونية تستوجب إنزال أنواع من العقوبات الجزائية على الجنة، مع بيان للأسباب التى أدت إلى نشوء هذه الثقافة فى المجتمع المسلم على الرغم من مرور نصف قرن على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أما المجموعة الأخيرة من أديته \_\_ وهى أديته عليه السلام عند مقتله ومصرعه \_\_ فقد اتسمت ب: سمات المناجاة والعروج إلى مراتب القرب من الله تعالى، وبلوغ منزلة العبودية المحضنة حيث ينزل جده وأبوه وأمه وأخوه والتسعة المعصومون من بنيه:

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾<sup>(1)</sup>.

فضلا عن احتوائها على مباحث فى التربية والاجتماع والنفس والقانون والعقيدة والسير والسلوك بمفهومه العرفانى والأكاديمى.

أما ما واجهنى من الصعوبات فى البحث فهو ما تعلق بالمجموعة الأخيرة لاسيما دعاء الملكوتى والسبب فى ذلك يعود إلى أمور:

1 \_\_ لأنى أرى نفسى قد صرت على المحك مع الفجائع والرزايا العاشورائية.

2 \_\_ ولأن الحديث أصبح يدور عن شخص الإمام الحسين عليه السلام لا عن إفاضته النورانية المتدفقة من معين كلماته.

3 \_\_ لاختلاف هذه الأدعية عما سبق فقد تدرج الإمام في سلم الدعاء إلى الله تعالى ليصل بنا إلى رتبة المناجاة الملكوتية في آخر أدعيته؛ وهو ما ارتعدت له فرائصي وتملك الخوف قلبي.

4 \_\_ خوفا من التقصير في البيان أو التغافل عن بديهيات الجنان فيحط قدرى عند إمام الإنس والجان.

فهذه الأسباب كانت وراء ما مررت به من صعوبة وأنا أتأمل في دعاء الإمام الحسين عليه السلام الملكوتي، لكن كرم سيد الشهداء لا يسع البيان بيانه فقد عودني سيدي على كرمه والجلوس في أفنية محفله وأنا أنظر إليه كيف يغترف لهذا فيغدقه بجوده، وكيف يحسن إلى ذاك فيغرقه بكرمه.

فقد خصني بلطفه وأفاض عليّ بجوده، فكان هذا الجهد الذي أسأل الله تعالى أن يتقبله مني وينفعني به يوم حشرى ويعيد خيره على والديّ وولدي ويبلغني أجره؛ إنه سبحانه وتعالى ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة فله الحمد قبل النعم وبعدها والصلاة على حبيبه محمد وآله المطهرين.

<وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ> (1).

من مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

في الخامس من شعبان 1430هـ.

الموافق 28/7/2009م

السيد نبيل قدوري حسن علوان الحسني

## الفصل الأول: مفهوم الدعاء

إشارة





للوقوف عند مفهوم الدعاء فلا بد من الرجوع إلى مناهل المعرفة وقراءة ما ورد فيها من معان ودلالات للفظ الدعاء.

## المبحث الأول: الدعاء في اللغة والاصطلاح

### المسألة الأولى: الدعاء في اللغة

#### إشارة

يقول اللغويون: إن الدعاء على معانٍ متعددة، فهو بمعنى:

#### ألف: النداء

ألف: النداء (1)

تقول: دعوت فلاناً، إذا ناديته وصحت به (2).

وقد أورد ابن منظور بعض الأقوال في بيان هذا المعنى كقول ثعلب الذي استدل عليه بقوله تعالى:

<تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى> (3).

#### باء: الاستغاثة

وهذا المعنى ذهب إليه (الفراء) معتمداً في ذلك على قوله تعالى:

<وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ> (4). فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة (5).

1- لسان العرب لابن منظور: ج 14، ص 260، نشر أدب الحوزة — قم.

2- عدة الداعي لابن فهد الحلبي رحمة الله: ص 19، ط مؤسسة المعارف الإسلامية.

3- سورة المعارج، الآية: 17.

4- سورة البقرة، الآية: 23.

5- لسان العرب لابن منظور: ج 14، ص 257.

**جيم: العبادة**

وهذا المعنى عند الفراء أيضاً، لقوله تعالى:

<إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ> (1). أى: الذين تعبدون (2).

**دال: الاستعانة**

وقد ورد الدعاء بمعنى: «الاستعانة» كما جاء في قوله تعالى:

<وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ> (3).

وهذا المعنى اعتمده ابن إسحاق (4). فيما ذهب بعض اللغويين إلى تقسيم الدعاء على ثلاثة أوجه، فأظهر كل وجه منها معنى خاصاً للدعاء.

الوجه الأول: «توحيد الله تعالى»، أى: أن يكون الدعاء لله عز وجل هو (توحيده) والثناء عليه، كقولك: يا الله، و(لا إله إلا أنت)، وكقولك: «ربنا لك الحمد»، إذا قلت ذلك فقد دعوته بقولك: «ربنا».

ثم أتيت بالثناء والتوحيد، ومثله قوله تعالى:

<وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ> (5).

1- سورة الأعراف، الآية: 194.

2- لسان العرب: ج 14، ص 257.

3- سورة البقرة، الآية: 23.

4- لسان العرب لابن منظور: ج 14، ص 257.

5- سورة غافر، الآية: 60.

الوجه الثاني: إن الدعاء لله تعالى يأتي على معنى: «العفو، والرحمة، وما يقرب من الله عز وجل».

كقولك: «اللهم اغفر لنا».

الوجه الثالث: أن يكون الدعاء لله عز وجل بمعنى: «مسألة الحظ من الدنيا» كقولك: «اللهم ارزقني مالاً وولداً»(1).

ونجد أن كلمة اللغويين قد تعددت في بيان معانيه في الدعاء.

ولكننا من مجموع ما ذكره أهل اللغة في هذا الخصوص يمكننا أن نخرج بالنتيجة الآتية:

إن المراد من الدعاء: هو النداء، ولكن أسبابه تختلف. فمرة: يراد به الاستعانة. وأخرى: الاستغاثة. وثالثة: الرغبة. ورابعة: العبادة(2).

أما السبب في تسمية هذا جميعاً بـ«الدعاء»؟ فلأن الإنسان يُصدّر في هذه الأشياء بقوله يا الله يا ربّ يا رحمن(3)، فلذلك سُمّي دعاءً.

### المسألة الثانية: الدعاء في الاصطلاح

قال العارف احمد بن فهد الحلبي رحمة الله في بيان معنى الدعاء اصطلاحاً هو: «طلب الأدنى للفعل من الأعلى على جهة الخضوع والاستكانة»(4).

1- لسان العرب: ج 14، ص 275.

2- أضواء على دعاء كميل للشهيد السيد عز الدين بحر العلوم: ص 14 \_ 15، ط دار الزهراء \_ بيروت.

3- لسان العرب: ج 14، ص 275.

4- عدة الداعي: ص 20، ط مؤسسة المعارف الإسلامية.

## المبحث الثاني: الدعاء في القرآن الكريم

### إشارة

ورد لفظ «الدعاء» في القرآن في خمسة مواضع، إلا أن هناك آيات عديدة اشتملت على أدعية متنوعة كشفت عن مدلولات كثيرة.

### أولاً: مدلول فطري

تظهر بعض الآيات الكريمة أن للدعاء مدلولاً فطرياً عند الإنسان يلزمه دون أن يدرك الملازمة.

فإذا ما تعرض لموارد البلاء أو الشدة أو الحاجة توجه إلى الله داعياً في نوال ما يريد، ولكن الفارق بين الناس هو الاعتقاد بمن يدعونه، واليقين بأنه أهل لذلك ومجيب لدعوة الداعي إذا دعاه؛ وفي هذا الجانب يتفاضل الناس.

فلاحظ أيها القارئ الكريم الآيات التي تدل على تلازم الدعاء مع الفطرة.

- 1 . <فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ> (1).
- 2 . <وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ> (2).
- 3 . <وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ> (3).

1- سورة العنكبوت، الآية: 65.

2- سورة الروم، الآية: 33.

3- سورة لقمان، الآية: 32.

4. <وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهَ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا> (1).

### ثانياً: مدلول تعبدى

وهنا تدل مجموعة من الآيات أن المراد من خلق الإنسان هو: «العبادة لله تعالى».

ولكى يوفق فى تحصيل هذه الغاية فقد زوده الله عزّ وجلّ بالعقل والنطق، فكان العقل مفكراً واللسان معبراً عن الغاية الوجودية للإنسان، وهى العبودية لله تعالى فقال عزّ شأنه:

1. <قُلْ مَا يَعْجَبُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا> (2).

2. <وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ> (3).

3. <وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ> (4).

1- سورة الإسراء، الآية: 67.

2- سورة الفرقان، الآية: 77.

3- سورة البقرة، الآية: 186.

4- سورة غافر، الآية: 60.

وقد ورد في الرواية التي أخرجها الشيخ الكليني رحمه الله عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة عن أبي جعفر — الباقر — عليه السلام، بيان واضح لهذا المدلول، فقال:

«إن الله عز وجل يقول:

<إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ>.

هو الدعاء، وأفضل العبادة الدعاء.

قلت — زرارة —:

<إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ> (1).

قال — عليه السلام —:

الأواه هو: الدعاء (2).

4. ومن الآيات التي لها مدلول تعبدى في الدعاء هي قوله تعالى:

<هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ> (3).

5. <وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا> (4).

1- سورة التوبة، الآية: 114.

2- الكافي، كتاب الدعاء، باب: فضل الدعاء والحث عليه، ج 2، ص 447، وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 1، ص 13، برقم (8625).

3- سورة غافر، الآية: 65.

4- سورة الأعراف، الآية: 180.

6. <وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا> (1).

وغيرها من الآيات الكريمة التي تشير إلى أن للدعاء مدلولاً تعبيرياً يظهر من خلال قيام الإنسان بالدعاء لله تعالى.

### ثالثاً: مدلول تقاضى

مما لا شك فيه إن الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هم مثال حكم الله عز وجل في الأرض، وهم أعبد الخلق للخالق عز شأنه.

ومن هنا:

أشارت بعض الآيات إلى أنهم يتفاضلون فيما بينهم في العبودية والتقرب إلى الله تعالى في كثرة الدعاء له. وقد مرّ في المدلول التعبدي، بأن الدعاء أفضل أنواع العبادة؛ إذ ينطلق اللسان مترجماً لما يخترنه الفكر من معرفة بالله عز وجل.

ولذلك: كانت أدعيتهم عليهم السلام تفاضلية في الرتبة؛ بمعنى آخر: كانت كاشفة عن الرتبة المعرفية بالله تعالى وكاشفة أيضاً عن رتبة العبودية.

فقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في معرض بيانه للعقل والجهل وجنودهما، فقال:

«والدعاء وضده الاستتكاف» (2).

فجعل الدعاء من خواص العقل وجنده وضده الاستتكاف وهو من خواص الجهل وأحد جنوده.

1- سورة الأعراف، الآية 56.

2- الكافي للكليني رحمة الله، كتاب العقل والجهل: ج 1، ص 21.

إذن؛ فلننظر إلى القرآن كيف يعطى هذا التمايز والتفاضل المرتبى فيما بين الأنبياء عليهم السلام من خلال دعائهم وتقربهم إلى الله تعالى، في حين أن هناك آيات قد دلت على هذا التمايز دون أن تتضمن لفظ «الدعاء» كتلقى آدم عليه السلام للكلمات التي نزل بها جبرائيل عليه السلام فكان يدعو الله بها كي يتوب عليه(1).

وها هو نوح عليه السلام كيف يدعو الله ويسأله النصر على الظالمين.

1. قال تعالى:

<فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ>(2).

والآية الكريمة تتحدث عن السلاح الذي لا يملكه الخصم على مرّ الدهور وهو الدعاء لله عز وجل. فكان نبيّ الله نوح عليه السلام قد استخدم هذا السلاح فانتصر به على عدوه.

2. أما في شأن إبراهيم الخليل عليه السلام فتظهر الآية سمّو المعرفة عند الخليل بما للدعاء من إعجاز في تحقيق المستحيل، وفي خرق القوانين الطبيعية، وتظهر الآية كم كان عليه السلام موقناً بالإجابة من الله عز شأنه، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السموات. فوهب له إسماعيل وإسحاق على كبر سنه الذي ناهز التسعين.

فقال تعالى في بيان حال نبيه إبراهيم:

<الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ>(3).

1- وهي قوله تعالى: (ييه) (البقرة، الآية: 37).

2- سورة القمر، الآية: 10.

3- سورة إبراهيم، الآية: 39.



وقال عزّ شأنه:

<رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ> (1).

فكانت الصلاة دالةً على الدعاء، وكان الدعاء دالاً على قبول العمل وارتفاعه.

3. ثم يحدثنا القرآن الكريم عن نبي الله زكريا عليه السلام وهو يرى مريم عليها السلام وقد تكفل الله تعالى برزقها.

فكان كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقاً، وكان يرى فاكهة الصيف في موسم الشتاء، وفاكهة الشتاء في موسم الصيف فعندها توجه إلى الله تعالى وتقرب إليه داعياً.

فقال عز وجل:

<هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ> (2).

4. وفي توجه موسى وهارون عليهما السلام إلى الله بالدعاء، قال عزّ شأنه:

<قَالَ قَدْ أُجِيبَتِ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ> (3).

1- سورة إبراهيم، الآية: 40.

2- سورة آل عمران، الآية: 38.

3- سورة يونس، الآية: 89.

5. أما بخصوص الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فقد أعطى رتبة في أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى ألا وهو الدعاء، فقد قلده القرآن رتبة «داعى الله» وميزه بالعبودية لله عز وجل.

فقال تعالى:

<وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا> (1).

وقال عز وجل:

<يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ> (2).

وقوله تعالى:

<وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ> (3).

وقوله جل شأنه:

<يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا> (4).

هذه الآيات وإن كانت تدل على الدعوة إلى الله عز وجل إلا أن لفظة «داعى الله» لتدل أيضاً على أن النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم سلم كثير الدعاء.

1- سورة الجن، الآية: 19.

2- سورة الأحقاف، الآية: 31.

3- سورة الأحقاف، الآية: 32.

4- سورة الأحزاب، الآية: 45 \_\_ 46.

أما بخصوص عترة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاء في صفات علي أمير المؤمنين عليه السلام ما أخرجه العاملي رحمة الله عن جعفر بن محمد الأشعري عن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً دعاءً»<sup>(1)</sup>.

### رابعاً: مدلول جزائي أخروي

دلّت بعض الآيات على أن الدعاء في الآخرة، هو رتبة جزائية ينالها المؤمن في الجنة. ولأنه كان ينال من الحلاوة في مناجاة الله في الدنيا ما لم يكن ليستغنى عنها في الآخرة.

أو بمعنى آخر:

قد يقين أن الدعاء أفضل ما يتقرب به المؤمن إلى الله عز وجل في الدنيا والآخرة لأن النعيم كل النعيم هو القرب من الله وإحراز رضوانه.

ولذا:

عبّر القرآن عنه بما هو أكبر من نعيم الجنة، فقال عز وجل:

<وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ><sup>(2)</sup>.

فكانت بعض الآيات تحمل مدلولاً جزائياً ورتبياً في الجنة للدعاء.

1. قال تعالى:

1- وسائل الشيعة للحر العاملي، كتاب الصلاة، باب: استحباب كثرة الدعاء، برقم 8609، ج 7، ص 26.

2- سورة التوبة، الآية: 72.

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (1) >دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجُوا دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (2).

### خامساً: مدلول سايكولوجي

يختلف الإنسان في التكوين النفسى عن جميع المخلوقات، فهو أضعف من جميع الكائنات في مراحل نموه ولاسيما مرحلة ما بعد الولادة؛ ولأن هذه الفترة طويلة فقد نشأت هذه النفس الإنسانية على الغيرية والافتقار الشديد إلى وجود غيره حتى في أعلى مراحل النمو والتكامل، إلا وهي مرحلة الشباب والفتوة.

ولذا؛ تندفع النفس إلى البحث عن من يسد لها هذا الافتقار لأنها نشأت على ذلك.

ولقد بين القرآن الكريم هذه النشأة التكوينية للنفس من خلال بعض الآيات، فكانت مدلولاتها النفسية تشير إلى أن الغيرية قد أصبحت صفة ملازمة للنفس الإنسانية.

إلا أن الفارق بين هذه التكوينات النفسية، هو أن النفس المؤمنة بالله عز وجل تقي لبارئها الذى أمدها بالعون، والغنى، والمدد الذى لا ينتهى، ولا ينقطع، ولا ينفد، بالشكر والحمد؛ وأن النفس الكافرة لتجحد النعمة وتتكبر فضل المنعم عز شأنه.

1- سورة يونس، الآية: 9.

2- سورة يونس، الآية: 10.

1. قال تعالى:

<وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِيًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّهِ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ> (1).

2. وقوله عزّ شأنه:

<وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ> (2).

وهنا؛ تدلل هذه الآيات على صفة (الغيريّة) في تحصيل الخير أو في دفع الضّر، وتدلل أيضا على أن الدعاء له ملازمة فطرية مع الإنسان تدفعه إلى التوبة إلى الله تعالى في جلب منفعة أو دفع مضرة؛ في حين تبقى مسألة الاعتقاد بالله عز وجل مكنونةً لحين تحقق المطلب، فإذا ما حصل المراد تميزت النفوس في مستوى إيمانها بالله عزّ وجل.

إذن؛

من خلال هذه المدلولات التي ذكرت آنفاً ظهر لنا المراد من الدعاء، ولعلّ التتبع الدقيق لآيات القرآن الكريم سيظهر لنا مدلولات عديدة للدعاء وحينها سيخرج الكتاب من الغرض المقصود في كتابته ألا وهو الوقوف عند مضامين دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء.

1- سورة يونس، الآية: 12.

2- سورة فصلت، الآية: 51.

## المبحث الثالث: الدعاء فى السنّة

قبل الحديث عن منزلة الدعاء فى السنّة لابد أولاً من بيان معناها.

فالسنة: بضم الأول وفتح الثانى مع التشديد فى اصطلاح المتشعبة على معنيين:

الأول: (قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وفعله وتقريره، بل المطلق من طريقته وهديه صلى الله عليه وآله وسلم، وعند الشيعة الإمامية \_\_ التابعين لأئمة العترة من أهل البيت عليهم السلام، يضاف إلى الرسول قول أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام وفعلهم وتقريرهم وهديتهم، لأنهم إمتداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخلفاؤه حقاً ووارثوه وهم أئمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون، وإنهم أئمة معصومون. لا يقولون ولا يعملون إلا على التنزيل والتأويل. وهم معدن علم الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما عند الجمهور وعامة المسلمين المعروفين بأهل السنّة، يضاف إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم سنة الصحابة وسيرتهم ولاسيما الخلفاء منهم، وأن لهم حق التشريع حسب المصالح المرسلة كما فى مسألة المتعتين والطلاق البدعى، وتبديل حى على خير العمل بـ«الصلاة خير من النوم»، وعشرات من نحو هذه التشريعات.

المعنى الثانى: العمل المستحب الذى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يواظب على العمل به، ويحضّ المؤمنين عليه، وهو دون الواجب وفوق الندب، كالختان والصلاة بالجماعة، وكتحية المسجد، وفعل النوافل المرتبة ولو يأتى بركعتين منها.

والمراد من السنّة قبال الكتاب: هو المعنى الأول(1).

1- اجماعيات فقه الشيعة للسيد إسماعيل المرعشى: ج 1، ص 15، ط الثانية.

وقد ورد في السُّنَّة أحاديث عديدة تبين منزلة الدعاء ورتبته العبادية ومدار تأثيره على جميع جوانب الحياة، ويكفي بأحاديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام بياناً لما حوته كلمة «الدعاء» من مضامين.

1. أخرج ثقة الإسلام الشيخ الكليني رحمة الله عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الدعاء سلاحُ المؤمنِ وعمودُ الدينِ ونورُ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ»(1).

2. وبإسناده قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ألا أدلكم على سلاحٍ ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟»

قالوا: بلى. قال:

تدعون ربكم بالليل والنهار، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء»(2).

3. وبهذا الإسناد، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الدعاء مفاتيحُ التَّجَاح؛ ومقاليدُ الفلاح؛ وخيرُ الدعاء ما صدرَ عن صدرٍ نقيٍّ وقلبٍ تقيٍّ، وفي المناجاة سببُ النجاة، وبالإخلاص يكونُ الخلاصُ، فإذا أشتدَّ الفزعُ فإلى الله المفزعُ»(3).

4. وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الدَّعاء ترسُ المؤمنِ ومتى تكثر قرعَ البابِ يفتح لك»(4).

1- الكافي للكليني رحمة الله: ج 2، ص 468، باب: إن الدعاء سلاح المؤمن.

2- الكافي: ج 2، ص 468، ح 3، ثواب الأعمال: ص 45.

3- الكافي: ج 2، ص 468، ح 2.

4- وسائل الشيعة: ج 7، ص 26، ح 8610، الكافي: ج 2، ص 468، ح 4.

5. عن أبي سعيد الجلي، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الدَّعَاءَ أَنْفَذُ مِنَ السَّنَانِ»(1).

فهذه بعض ما ورد عن العترة عليهم السلام فيما يدل على أن الدعاء هو سلاح المؤمن الذي يكون له من الأثر ما يفوق أثر الرماح.

أما ما للدعاء من أثرٍ في رد القضاء ودفع البلاء فقد ورد عنهم سلام الله عليهم مجموعة من الأحاديث نورد بعضاً منها تيمناً.

1. عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام:

«إِنَّ الدَّعَاءَ وَالْبَلَاءَ لِيَتَرَفِقَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الدَّعَاءَ لِيرُدُّ الْقَضَاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا»(2).

2. وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«إِنَّ الدَّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَقَدْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا»(3).

3. عن زرارة رحمة الله، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال لي:

«أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ لَمْ يَسْتَنْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ».

قلت: بلى. قال:

الدَّعَاءَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ وَقَدْ أُبْرِمَ إِبْرَامًا وَضَمَّ أَصَابِعَهُ»(4).

1- الكافي للكليني رحمة الله: ج 2، ص 469، ح 6، باب: إن الدعاء سلاح المؤمن.

2- أخرجه الشيخ الكليني رحمة الله في الكافي، كتاب الدعاء، باب: إن الدعاء يرد البلاء، ج 2، ص 269، ح 4.

3- المصدر السابق: 3.

4- المصدر السابق: ح 6، ص 470، ج 2.



4. قال أبو الحسن موسى الكاظم عليه السلام:

«عليكم بالدعاء فإنّ الدعاء لله والطلب إلى الله يردّ البلاء وقد قدر وقضى ولم يبق إلا إمضاؤه فإذا دعى الله عز وجل وسئل صرف البلاء صرفه» (1).

5. عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«هل تعرفون طول البلاء من قصره؟»

قلنا: لا. قال:

إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أنّ البلاء قصير» (2).

نكتفى بهذا القدر من الأحاديث الشريفة الواردة عن العترة الطاهرة عليهم أفضل الصلاة والسلام في بيان ما للدعاء من دلائل معرفية في إنارة الفكر والقلب؛ وما له من آثار تكوينية في تغيير مصير الإنسان ونقله من الشقاء إلى السعادة ومن الضعف إلى القوة، وماله من السنن التي يفتقر إليها الإنسان ويفتقدها في بناء كيانه ومواصلة دوره في الحياة كالصحة والتوفيق وغيرها.

ولكى تكون هذه الوقفة مع الدعاء فيها من البيان ما يمكّن القارئ الكريم من الدخول إلى باحة هذا الصرح العظيم الملىء بالجمال والسحر الذى يُسمّرُ العيون ويقطع الاتصال عن كلّ ما هو فان.

إنه دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء.

---

1- الكافى للكلينى: ج 8، ص 470، ج 2.

2- المصدر السابق: ج 1، ص 471، ج 2.



## الفصل الثاني: دعاء الإمام الحسين عليه السلام وخصوصية المكان والزمان

إشارة



من الحقائق التي تحدث عنها القرآن الكريم هي امتياز بعض الأزمنة والأمكنة بخصوصيات متعددة منها الشرافة، ومنها الشعيرة، أي العلامة ومنها الاستجابة، ومنها ما اكتسبت خصوصيتها لحدث ما، إما زماناً وإما مكاناً.

فمكة المكرمة (أعزها الله) لها خصوصيات متعددة منها مكانية ومنها زمانية.

فأما خصوصيتها المكانية فهي:

1. أول بيت وضع للناس، قال تعالى:

<إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا> (1).

2. وفيها البيت الحرام الذي جعله الله للناس قياماً، قال عز شأنه:

<جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ> (2).

3 \_\_ وهي فضلاً عما خصت به من وجود البيت الحرام \_\_ الذي بناه إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام وهو قوله تعالى:

<وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ> (3).

1- سورة آل عمران، الآية: 96.

2- سورة المائدة، الآية: 97.

3- سورة البقرة، الآية: 127.

فهى أيضاً موطن سيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ومسقط رأسه، ومحل بعثه، فهذه بعض خصوصيتها المكانية.

أما خصوصيتها الزمانية فهى:

1. الموضوع الذى يتوجه إليه المسلم فى اليوم خمس مرات بأوقات زمنية محددة للصلاة.

2. والموضع الذى تشد إليه الرحال زماناً لتأدية فريضة الحج التى تحن إليها النفوس، وتشتاق إليها القلوب وفيها تشترك خصوصية الزمان وخصوصية المكان لأنها محل البيت وجبل عرفة والمزدلفة، وغيرها من المواطن التى تؤدى فيها المناسك بأوقات محددة.

ومن الأمكنة الأخرى التى نالت الخصوصية المكانية هى أرض طوى وهى حقيقة يعرضها القرآن فى بيانه لسيرة نبي الله موسى عليه السلام. قال تعالى:

﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ (1).

وقال عز وجل:

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ (2).

فهذه الأمكنة التى اكتسبت خصوصيات ارتبطت بالسماء هى مما لا شك فيه تمتلك تناغماً منسجماً مع الدعاء وآلية توظيفه لما يحتاج إليه الإنسان فى حياته الدنيوية والأخروية.

1- سورة طه، الآية: 12.

2- سورة الأعراف، الآية: 143.

أما حقيقة الخصوصية الزمانية في القرآن فقد بدت بشكل واضح في أكثر من موضع؛ فزمان شهر رمضان هو أفضل الشهور عند الله؛ وقد حوى مع كونه أفضل الشهور على خصوصية أخرى وهي ليالي القدر.

فليلة القدر هي إحدى لياليه، وهي بحد ذاتها قد خصت من بين الليالي بنزول القرآن والملائكة والروح، وهي سلام حتى مطلع الفجر.

ومن الخصوصية الزمانية التي بينها القرآن ما كان للثلث الأخير من الليل من الفضل؛ وهو ما لم يتوفر في غيره من الساعات، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلُّ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (1).

أما وقت الفجر فله خصوصية زمانية ارتبطت بتلاوة كتاب الله تعالى:

﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ (2).

وقوله عز وجل:

﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ (3).

ناهيك عن الخصوصيات الزمانية الكثيرة في الإسلام خلال السنة، كيوم الفطر، ويوم الأضحى، ويوم الغدير، ويوم عرفة، وليلة النصف من شعبان، وليلة المبعث النبوي الشريف، وغيرها.

1- سورة المزمل، الآيات: 1 \_ 4.

2- سورة الإسراء، الآية: 78.

3- سورة الفجر، الآيات: 1 \_ 3.

هذه الأزمنة التي شرفها الله وفضلها على غيرها من الأوقات؛ ارتبط بها الدعاء ارتباطاً وثيقاً.

بل كان من لوازمها التي لا تنفك عنها؛ ولا نبالغ إذا قلنا إن الدعاء من العلام التي تعيد لهذه الأزمنة حيويتها وروحانيتها وبهجتها.

ومن هنا:

نستطيع أن نقول: إن هذه الحقائق القرآنية جاءت لتسجل بين دفتيها ما تجلى من خصوصيات مكانية وزمانية في دعاء الإمام الحسين عليه وعلى جده وأبيه وأمه وأخيه والتسعة المعصومين من بنيه أفضل الصلاة وأتم السلام.

وفي هذا البحث نحاول الوقوف والإحاطة بهذه الخصوصيات، كي تكون جواز عبور إلى هذا الصرح العظيم الذي زخر بالتجليات الربانية والعلوم الإنسانية والحقائق الكونية والآثار الغيبية التي رافقت فيوضات عين قدس (1) الله وحبته على خلقه.

فلكل واحدٍ من المكان، والزمان، والدعاء، والداعي، خصوصيات عديدة، وقد جمعت في آن واحد.

---

1- القدس: أى الطهر، ويقال: القدّوس فعول من القدّس، وهو الطهارة؛ وقال الأزهري: لم يجئ في صفات الله تعالى غير القدّوس، وهو الطاهر المنزه عن العيوب والنقائص. (لسان العرب: ج 6، ص 168، مادة "قدس"). وعليه: فالإمام الحسين عليه السلام لكونه من أهل بيت أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهو صاحب عصمة، ومثال الحكم الشرعي، فهو بهذا يكون عين الطهر بما للحكم الشرعي من قدسية ونزاهة من العيوب، فهو أحد مصادر الحكم الشرعي الذي اختاره الله وهما (الكتاب والعترة).



## المبحث الأول: الخصوصية المكانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء

### إشارة

إن المحل والمكان الذي انطلق منه دعاء الإمام الحسين عليه السلام قد امتاز بخصائص مكانية عديدة منها ما بينه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها ما أظهره أمير المؤمنين من بعده عليه السلام.

ومنها أيضاً: ما كان لزوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه من ذكر لها.

حتى إذا ما وصلنا إلى الأدب والبلاغة والبيان وجدنا هذه الخصائص عند أهل هذا الفن قد دونت في مصنفاتهم نثراً وشعراً.

ولذا؛ فإن أول المبيينين لهذه الخصوصية المكانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام هو جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

### المسألة الأولى: الملائكة عليهم السلام تحمل تربة كربلاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

1. أخرج أحمد في مسنده، عن ثابت، عن أنس بن مالك: أنّ ملك المطر استأذن ربه أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن له.

فقال لأم سلمة:

«أملكى علينا الباب لا يدخل علينا أحد.

قال: وجاء الحسين — عليه السلام — ليدخل فممنعته فوثب فجعل يقعده على ظهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى منكبه وعلى عاتقه.

قال: فقال الملك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أتحبه؟.

قال:

نعم.

قال:

إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه فضرب بيده فجاء بطينة حمراء فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها»(1).

لاحظ أيها القارئ الكريم، صريح حمل ملك المطر عليه السلام لتربة كربلاء وحمل أم المؤمنين أم سلمة (رضى الله عنها) لهذه التربة ووضعها في خمارها.

2. أورد الطبراني عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أم سلمة (رضى الله عنها)، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالساً ذات يوم في بيتي، فقال:

«لا يدخلن عليّ أحد».

فانتظرت، فدخل الحسين عليه السلام فسمعت نسيج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبكي!! فأطلعت فإذا الحسين في حجره أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي!؛ فقلت والله ما علمته حين دخل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن جبرائيل كان في البيت، فقال: أتحبه؟ قلت: نعم.

---

1- مسند احمد: ج 3، ص 242، مجمع الزوائد للهيثمي: ج 9، ص 187، ط دار الكتب العلمية. مسند أبي يعلى الموصلي: ج 6، ص 133، ط دار المأمون للتراث. صحيح ابن حبان: ج 15، ص 143، ط دار الكتب العلمية. المعجم الكبير للطبراني: ج 3، ص 106، ط دار الثقافة العربية، إمتاع الإسماع للمقریزی: ج 12، ص 235، ط دار الكتب العلمية.

قال:

إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبرائيل من تربتها فأراه النبي صلى الله عليه وآله وسلم»(1).

### المسألة الثانية: النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يخبر علياً عليه السلام بخصوصية تربة كربلاء

ومن الأحاديث النبوية الشريفة ما دلّ على أن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدث عن خصوصية تربة كربلاء في مناسبات عديدة. بل الظاهر أن الله عز وجل كان يطلع حبيبه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم في أوقات مختلفة عما تحمله أرض كربلاء من خصوصية مكانية، ولذا تعددت الأحاديث منه صلى الله عليه وآله وسلم إلى أكثر من شخص كما سيمر علينا.

منها إخباره صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين علياً عليه السلام:

فعن عبد الله بن نجحى، عن أبيه، أنه سار مع على عليه السلام وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلقه إلى صفين فنادى على عليه السلام:

اصبر أبا عبد الله! اصبر أبا عبد الله بشط الفرات.

قلت: وماذا؟.

قال:

1- المعجم الكبير للطبراني: ج 23، ص 289، ط دار إحياء التراث العربى. كنز العمال للهندي: ج 12، ص 126، ط دار الثقافة العربية. سبل الرشاد للصالحى: ج 10، ص 153، ط دار الكتب العلمية. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 3، ص 289، مؤسسة الرسالة.

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعينه تفيضان.

قلت: يا نبي الله! أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟

قال: بل قام من عندي جبرائيل قبل فحدثني: أنّ الحسين يقتل بشط الفرات. قال، فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟

قال: قلت: نعم؛ فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا(1).

ومن الملاحظ في هذه الأحاديث أن جبرائيل عليه السلام كان قد حمل هذه التربة إلى رسول الله في أكثر من موضع لغرض معين تناولناه بالبحث والدراسة في كتاب مستقل(2).

### المسألة الثالثة: شرافة تربة كربلاء عند أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه

من الأحاديث ما أشارت \_\_ وبألفاظ متعددة \_\_ إلى اتخاذ أم المؤمنين أم سلمة (رضى الله عنها) لتربة أرض كربلاء في خمارها(3)؛ كى ترافقها في نومها ويقظتها

1- الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي: ص 45، ط مؤسسة أهل البيت عليهم السلام. الأحاد والمثاني للضحاك: ج 1، ص 308، برقم 427، ط دار الدراية. مجمع الزوائد للهيثمي: ج 9، ص 187، ط دار الكتب العلمية. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 3، ص 288، مؤسسة الرسالة.

2- أنظر كتاب: حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية للمؤلف.

3- مسند أحمد بن حنبل: ج 3، ص 242، ط دار صادر بيروت. مسند أبي يعلى الموصلي: ج 6، ص 133، ط دار المأمون للتراث. صحيح ابن حبان: ج 15، ص 142، ط مؤسسة الرسالة، المعجم الكبير للطبراني: ج 3، ص 106، ط دار إحياء التراث العربي. المسانيد للأنصاري: ج 1، ص 243، موارد الظمان للهيثمي: ج 7، ص 199، ط دار الثقافة العربية.

وهذا يظهر ما لهذه التربة من شرافة علمت بها زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وإن لها عند الله شأنًا عظيمًا؛ فكان من أمرها أن حملتها معها.

وفى رواية أخرى أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل هذه التربة وديعة عندها.

أولاً: فعن الأعمش، عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن أم سلمة، قالت: كان الحسن والحسين — عليهما السلام — يلعبان بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي فنزل جبرائيل عليه السلام فقال:

يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعد فأوماً بيده إلى الحسين — عليه السلام — فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وضمه إلى صدره.

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

وديعة عندك هذه التربة.

فشمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

ويح كرب وبلاء.

قالت: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دماً فاعلمي أن (مشهور) (1) قد قتل.

قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم، وتقول: إن يوماً تتحولين دماً ليوم عظيم (2).

1- (مشهور) إشارة إلى الإمام الحسين — عليه السلام —.

2- المعجم الكبير للطبراني: ج 3، ص 108، برقم 2817، ط دار إحياء التراث العربي، الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي: ص 45، ط مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، تهذيب الكمال للمزّي: ج 6، ص 408، ط دار الثقافة العربية، مجمع الزوائد للهيثمي: ج 9، ص 204، ط دار الكتب العلمية.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإخبار أم سلمة (رضى الله عنها) فقط. بل أخبر عائشة(1)؛ وزينب بنت جحش(2)؛ وأصحابه(3).

بل المستفاد من الروايات: أن الملائكة كانت تحدث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحديث كربلاء في مراتٍ عديدة. وأن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يملك دمع عينيه وحبس لواعجه وأحزانه، فمرة تراه يحدث بحديث كربلاء دون أن ينتظر من يسأل عن هذه الدموع، ومرة يحبس الحديث فيكون دمع عينيه كأنما ينطق عن لسان فصيح.

### المسألة الرابعة: الإمام على عليه السلام يخبر أصحابه عن شرافة تربة كربلاء

لقد كان الإمام على عليه السلام يتبع نهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيانه للحقائق الكونية التي ارتبطت بالثقل الأصغر لشريعة الله تعالى؛ وهم عترة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد كشف عليه السلام لأصحابه عن الخصوصية المكانية لهذه التربة الطاهرة (أرض كربلاء) وأظهر لهم ما ارتبط بها من مأساة كبيرة تحل بعترة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

- 
- 1- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 3، ص 289 \_\_ 290، ط مؤسسة الرسالة. سبل الهدى والرشاد للصالحى: ج 10، ص 153، ط دار الكتب العلمية. الإكمال فى أسماء الرجال للتبريزى: ص 45، ط مؤسسة أهل البيت.
  - 2- سبل الهدى والرشاد للصالحى: ج 10، ص 154، ط دار الكتب العلمية.
  - 3- ينابيع المودة للقندوزى: ج 3، ص 8، ط دار الأسرة، البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 301. سبل الهدى للصالحى: ج 11، ص 75.

فالمقتول بها ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأبناؤه، وبناته، وبنو أخوته؛ فكم لآل أبي طالب (رضوان الله تعالى عليه) من دمٍ قد سفك على هذه الأرض؛ وكأنها قد خلقت لهم، وكأنهم خلقوا لها.

ولذا؛ اشتمل حديثه على هذين الجانبين.

أ. أخرج الشيخ المفيد رحمة الله، عن جويرية بن مسهر العبدى، قال:

لما توجهنا مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام إلى صفين فبلغنا طفوف كربلاء، وقف عليه السلام ناحية من العسكر، ثم نظر يميناً وشمالاً واستعبر ثم قال:

«هذا \_\_\_ والله \_\_\_ مناخ ركابهم وموضع منيتهم، فقليل له يا أمير المؤمنين، ما هذا الموضع»؟

قال:

هذا كربلاء، يقتل فيه قوم يدخلون الجنة بغير حساب(1).

ب. ولم يكتف أمير المؤمنين على عليه السلام بهذا البيان فقط، أى: عند رجوعه من معركة صفين ومروره بكربلاء، بل لظالما كان يحدث الناس من على منبر الكوفة ويعرفهم بيوم عاشوراء وما يحل فيه من المصائب على آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى أرض كربلاء.

---

1- الإرشاد للمفيد: ج 1، ص 332، ط دار المفيد، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 3، ص 170، ط دار الكتب العربية. كشف الغمة للآربلى؛ ج 1، ص 282، ط دار الأضواء. كشف اليقين للحلى: ص 80، ط ردمك. المناقب لابن شهر: ج 2، ص 106. مدينة المعاجر للبحراني: ج 2، ص 39. كنز العمال للهندي: ج 13، ص 655.

فقد روى أنه لما حضرت الحسن عليه السلام الوفاة، قال: لأخيه الحسين عليه السلام:

«إن جعدة \_\_\_ لعنها الله ولعن أبها وجدها \_\_\_ أن أبها قد خالف أمير المؤمنين عليه السلام وقعد عنه الكوفة بعد الرجوع من صفين مغالياً منحرفاً لطاعته بعد أن خلفه بالكوفة من الإمامة، ولا يجتمع معه في جماعة ولا من شيعته، ولا يصلى عليهم منذ سمع أمير المؤمنين عليه السلام على منبره، وهو يقول في خطبته: ويح الفرخ، فرخ آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وريحانته وقرّة عينه ابني الحسين من ابنك الذي من صلبك وهو مع ملك متمرّد جبار يملك بعد أبيه.

فقام إليه أبو بحر الاحنف بن قيس التميمي فقال له: يا أمير المؤمنين، ما اسمه؟.

قال:

نعم، يزيد بن معاوية ويؤمر على قتل الحسين، عبيد الله بن زياد على الجيش السائر إلى ابني من الكوفة فتكون وقعتهم بنهر كربلاء غربى الفرات، فكأنى انظر مناخ ركابهم، وحط رحالهم، واحاطة جيوش أهل الكوفة بهم وأعمال سيوفهم ورماحهم وقسيهم فى جسومهم ودمائهم ولحومهم، وسبى أولادى وذرارى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحملهم على شرس الاقتاب، وقتل الشيوخ والكهول والشباب والأطفال.

فقام الأشعث بن قيس على قدميه وقال:

ما ادعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تدعيه من العلم من أين لك هذا؟.



فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:

ويلك يا عنق النار، ابنك محمد والله من قوادهم، أى والله؛ وشمر بن ذى الجوشن وشبث بن ربعى وعمرو بن الحجاج الزبيدى، وعمرو بن حريث.

فأسرع الأشعث إلى قطع الكلام، فقال: يا بن أبى طالب، أفهمنى ما تقول؟ فقال عليه السلام:

ويلك هو ما سمعت يا أشعث.

فقال: يا بن أبى طالب، ما يساوى كلامك عندى تمرتين!! وولى.

وقام الناس على أقدامهم ومدوا أعينهم إلى أمير المؤمنين عليه السلام ليأذن لهم فى قتله. فقال لهم:

مهلاً رحمكم الله، والله إنى لأقدر على هلاكه منكم، ولا بد أن تحق كلمة العذاب على الكافرين»<sup>(1)</sup>.

وللحادثة بقية تكشف عن سوء عاقبة الذين ظلموا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ولقد أوردنا هذا المقدار كى يطلع القارئ الكريم على أن أهل البيت عليهم السلام كانوا يحدثون الناس بتفاصيل دقيقة تتعلق بقضية كربلاء وبيان خصوصيتها المكانية والزمانية وما ارتبط بها من أثر غيبى ابتداءً من بيان أمير المؤمنين عليه السلام لأسماء أولئك الظالمين وما اكتسبوا من جرائم فى حق العترة النبوية عليهم السلام، وانتهاءً بما ورد عن الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف لهذه الحقائق.

1- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص 200. مدينة المعاجز للبحراني: ج3، ص 196، حديث 826، مؤسسة المعارف الإسلامية.

## المبحث الثاني: خصوصية تربة كربلاء عند أئمة أهل البيت عليهم السلام

### إشارة

امتازت أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد واقعة كربلاء بالسعة في تعريف الناس بشرافة هذه التربة المقدسة وبما تحمل من خصائص؛ والسبب في ذلك يعود للنقاط الآتية.

1. لاشتهار المكان بين الناس ومعرفتهم بسبب فاجعة مقتل أهل البيت عليهم السلام.
  2. لتوجيه الناس إلى التحلى بالأداب واللياقة عند توجههم لزيارة صاحب التربة ومشرفها الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.
  3. لنقل الجنبه المعرفية عند أهل الإيمان من مرحلة العلم بحقيقة الشيء إلى مرحلة العمل.
- فكان حملهم لهذه التربة كاشفاً عما توصلوا إليه من معرفة بها.

فتقدسهم لها، واستشفأؤهم بها، وسجودهم لله عليها؛ دافعاً العلم بخصوصية هذه التربة؛ وهو ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة الآتية:

### أولاً: تقديم تربة كربلاء بالخلق على تربة مكة

روى الحر العاملي رحمة الله في الوسائل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«خلق الله كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وقدسها وبارك عليها، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة مباركة ولا تزال كذلك(1)؛ حتى يجعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه أوليائه في الجنة»(2).

1- وسائل الشيعة: ج 10، ص 404، بابه: استحباب التبرك بكربلاء. التهذيب للطوسي رحمة الله: ج 6، ص 72.

2- كامل الزيارات لابن قولوية رحمة الله: ص 450 — 451 بتحقيق الشيخ جواد القيومي. بحار الأنوار للمجلسي رحمة الله: ج 54، ص 202، ط بيروت. الأصول الستة عشر لعدد من المحدثين: ص 16، ط دار الشبستري بقم.

## ثانياً: تفضيلها على أرض مكة وأنها حرم آمن

## إشارة

ومن الأحاديث الأخرى التي تحدثت عن خصوصية تربة كربلاء وتفضيلها على أرض مكة هي ما يلي:

1. فعن أبي الجارود، قال: قال علي بن الحسين عليهما السلام:

«أخذ الله أرض كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام وأنها إذا بدل الله الأرضين رفعها الله كما هي برمتها نورانية صافية فجعلت في أفضل روض من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون.

أو قال:

أولوا العزم من الرسل وانها لتزهر من رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدرى من بين الكواكب لأهل الأرض يغشى نورها نور أبصار أهل الجنة جميعاً، وهى تنادى أنا أرض الله المقدسة، والطينة المباركة التى تضمنت سيد الشهداء وشباب أهل الجنة»<sup>(1)</sup>.

2. روى الحر العاملى رحمة الله فى الوسائل عن أبى سعيد القماط، عن عمر بن يزيد، عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام:

1- الأصول الستة عشر: ص 17، ط دار الشبستري بقم. وقريب منه فى: الوسائل للحر العاملى رحمة الله: ج 10، ص 403، باب: استحباب التبرك بكربلاء، ط دار إحياء التراث العربى. مستدرک الوسائل للميرزا النورى: ج 10، ص 323.

«أن أرض الكعبة قالت: من مثلى وقد بُنى بيت الله على ظهري، يأتيني الناس من كل فج عميق؟ وجعلت حرم الله وأمنه؟ فأوحى الله إليها كفى وقرى، ما فَضَّلُ ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الابرة غمست في البحر، فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا من ضمنته كربلاء لما خلقتك، ولا خلقت الذى افتخرت به فقرى واستقرى وكونى ذنباً متواضعاً ذليلاً مهيناً غير مستكف ولا مستكبر لأرض كربلاء، وإلا مسختك وهويت بك فى نار جهنم»(1).

والحديثان يتضمنان معانى وحقائق كثيرة نعرضها فى المبحثين الآتيين:

### المسألة الأولى: سنة التفضيل حقيقة كونية وقرآنية

لو نظر الإنسان إلى ما يدور من حوله فى هذا الكون الرحب لوجد أنّ الله عز وجل قد فضل خلقاً على خلق، فالأرض فضلها على الكواكب فجعل فيها الحياة وشرفها بالأنبياء وأكرمها بهبوط الوحي، ثم خلق الماء فجعل منه فواتاً عذبةً ومنه مالحةً أجاجةً، وفضل التربة بعضها على بعض فمنها الأرض السبخة التى لا ينبت فيها الزرع ومنها الصلبة التى لا يخرج منها إلا الحجارة ومنها الأرض الطيبة؛ ولو نظرنا إلى أرض مكة وأرض كربلاء لوجدناهما قد أُعدّتا أن تكونا حرمين فكربلاء ضمت جسد سيد شباب أهل الجنة ومكة ضمت بيت الله.

ولذلك ورد هذا الحديث عن الإمام زين العابدين عليه السلام كى يتعرف الناس على الخصائص التى خصت بها أرض كربلاء. لا من قبيل التقليل من شأن أرض

1- وسائل الشيعة، باب استحباب التبرك بكربلاء، ج 10، ص 403. الأصول الستة عشر: ص 16.

مكة، أو الكعبة المشرفة أعزها الله. وإنما من قبيل بيان الحكمة في تفضيل أرض كربلاء، علماً أن التفضيل في الواقع هو حقيقة قرآنية تحدث عنها كتاب الله تعالى وأنها جرت حتى بين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام؛ قال تعالى:

<تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ> (1).

وعليه؛

فالتفضيل سنة كونية وقرآنية، وإن أحاديث العترة عليهم السلام إنما جاءت في هذا المورد كي يطلع الإنسان على حكمة الله فيها.

### المسألة الثانية: الحكمة في تفضيل أرض كربلاء على أرض مكة

للقوف عند الحكمة في تفضيل أرض كربلاء على أرض مكة ينبغي أولاً معرفة عوامل الافتخار ودواعيه بمعنى: أن كربلاء ومكة \_\_ أعزهما الله \_\_ قد تضمنتا في تراهما آثاراً تفضيلية كانت هي السبب في هذا التفضيل، ولذا: سنقف بادئ بدء عند هذه الأسباب.

1. فأما مكة، فإن سبب افتخارها على بقية الأراضى هو: لوجود البيت الحرام، وقدوم الحجاج من كل فيج عميق، وموضع قبلة المصلى في صلاته، وكلا الفرضين، \_\_ أى: الصلاة والحج \_\_ قد ارتبطا بالبيت الحرام \_\_ أعزه الله \_\_.

2. أنها حرم آمن، وهذه الحرمة اكتسابية لا ذاتية، بمعنى أنها اكتسبت من خلال دعوة إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْهُ دَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (1).

3. أن فيها مقام إبراهيم عليه السلام ولوجود هذا المقام اكتسبت أرض مكة — أعزها الله — هذا التفضيل والحرمة. قال تعالى:

﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ (2).

والآية تدل على أمرين:

الأمر الأول: أن الآيات البيّنات جمعت في مقام إبراهيم.

الأمر الثاني: لوجود هذا المقام جعل هذا البلد حرماً آمناً، بمعنى آخر: إن جعل في الحرمة والأمن كان لوجود مقام إبراهيم عليه السلام.

وهذا يدل على أن شرافة المقام من المقيم وهو إبراهيم الخليل عليه السلام؛ ويدل أيضاً على أن هناك فرقاً بين أرض مكة وبين أرض الكعبة المشرفة؛ إذ قد ينصرف الذهن إلى أن التفضيل هو بين أرض كربلاء والكعبة المشرفة وهذا غير صحيح. لأن الحديث يدور في أسباب التفضيل ودواعيه بين أرض كربلاء وأرض مكة.

وعليه؛ إذا كانت هناك أسباب ودواعٍ لتفضيل مكة على غيرها من البقاع؛ فمن باب أولى النظر إلى هذه الأسباب وما تحمل من شأن عند الله تعالى.

بمعنى آخر: إذا كانت أرض مكة تفتخر على بقية الأراضى والبقاع بسبب بيت

1- سورة البقرة، الآية: 126.

2- سورة آل عمران، الآية: 97.

الله المحرم، ومقام إبراهيم عليه السلام فالفخر كل الفخر بمقيم البيت وذريته، أى: بإبراهيم وذريته يكون التفضيل لا بالأرض. وهذه حقيقة قرآنية لا تقبل الريب، قال تعالى:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ (1).

### ثالثاً: إن كربلاء هي البقعة المباركة بجانب شاطئ الوادي الأيمن

ومن الأحاديث التي أظهرت الخصوصية المكانية لأرض كربلاء، حديث أخرجه الشيخ الطوسي والشيخ المفيد، والعاملي، والقمي، والنوري (رحمهم الله) وغيرهم.

واللفظ للشيخ الطوسي: عن علي بن الحكم، عن منخرمة بن ربعي، قال: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام:

«شاطئ الوادي الأيمن الذي ذكره الله تعالى في القرآن هو الفرات، والبقعة المباركة هي كربلاء» (2).

وفي رواية:

«والشجرة هي محمد صلى الله عليه وآله وسلم» (3).

1- سورة إبراهيم، الآية: 37.

2- التهذيب للطوسي رحمة الله، باب: فضل الكوفة، ج 6، ص 38. وسائل الشيعة للعاملي: ج 14، ص 405 برقم 19467. مستدرک الوسائل للنوري: ج 17، ص 23، رقم 20634 \_ 5. المزار للشيخ المفيد: ص 15.

3- كامل الزيارات للقمي: ص 109، ط نشر الفقاهة. مستدرک الوسائل: ج 17، ص 23. البحار للمجلسي: ج 13، ص 49.

### رابعاً: إنها محل ولادة عيسى عليه السلام والربوة التي التجأت إليها مريم عليها السلام

أخرج الطوسي رحمة الله عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليهما السلام، في قوله:

«فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا»<sup>(1)</sup>.

قال:

«خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت في موضع قبر الحسين عليه السلام، ثم رجعت من ليلتها»<sup>(2)</sup>.

وفي رواية: عن أم سلمة (رضي الله عنها) حينما قتل الحسين عليه السلام، قامت فأخبرت بذلك!

ف قيل لها: أنى علمت؟!.

قالت: دفع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال لي:

«إذا صار هذا دماً فاعلمي، أن ابني قد قتل؛ فكان كما قال. وقبره في البقعة المباركة والربوة التي هي ذات قرار ومعين بطف كربلاء بين نينوى والغاضرية من قرى النهرين»<sup>(3)</sup>.

1- سورة مريم، الآية: 22.

2- التهذيب للشيخ الطوسي: ج 6، ص 73، حديث 138 \_\_ 9. البحار للمجلسي: ج 14، ص 212. تفسير الصافي للكاشاني ج 3، ص 277. الخصائص الفاطمية للكجوري: ج 1، ص 421. الهداية الكبرى للخصيبي: ص 121، ط مؤسسة البلاغ بيروت.

3- دلائل الإمامة للطبري: ص 72، ط دار الذخائر، قصص الأنبياء للجزائري: 408، ط مكتبة المرعشي.



### خامساً: أنها الموضوع الذي ردت فيه الشمس لعلي أمير المؤمنين عليه السلام

من الكرامات التي أكرم الله بها أمير المؤمنين عليه السلام كرامة رد الشمس بعد غروبها. والمتتبع للروايات والآثار الواردة عن العترة عليهم السلام وسيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه عليه السلام يجد أن هذه الكرامة قد تكررت له \_\_ بأبي وأمي \_\_ مرات عدة.

منها: ما كان زمن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بدعوة منه لعلي عليه السلام بأن يخصه الله بهذه الكرامة والمنقبة، وقد شهدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام علي عليه السلام وخلق كثير. وكان هذا الحدث في المدينة (1).

ومنها ما كان في العراق وقد تكررت مرتين.

فالأولى: أوردها الشيخ الخصبي (2) \_\_ المتوفى سنة 352 هـ في كتابه الهداية

1- راجع في حادثة رد الشمس لعلي عليه السلام: الكافي للكليني رحمة الله، باب: إتيان المشاهد وقبور الشهداء، ج 4، ص 562. من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق رحمة الله: ج 1، ص 203، وج 4 ص 438، ط جماعة المدرسين بقم. وسائل الشيعة للحر العاملي، باب: حكم الصلاة في أرض بابل، ج 5، ص 181. خاتمة المستدرک للميرزا النوري: ج 4، ص 94. الإرشاد للشيخ المفيد رحمة الله: ج 1، ص 346، ط دار المفيد، الاحتجاج للطبرسي: ج 1، ص 166، ط دار النعمان. المناقب لابن شهر: ج 2، ص 143. مشكل الآثار للطحاوي: ج 2، ص 388. فيض القدير للمناوي: ج 5، ص 440. السيرة النبوية لدحلان: ج 2، ص 201. مناقب الإمام علي عليه السلام للخوارزمي: ص 63. فرائد السمطين: 1 / 146 \_\_ 148. تاريخ ابن عساكر، ترجمة الإمام علي عليه السلام: ج 2، ص 283 \_\_ 305. المناقب لابن المغازلي: ص 98، حديث 141. ينابيع المودة: ج 1، ص 415 وج 2، ص 382. وغيرها.

2- هو الحسين بن عبد الله الخصبي الجنبلائي أو الجنبلائي، وكنيته: أبو عبد الله؛ نسبةً إلى جده الخصيب أو اسم المنطقة التي ولد فيها، وأما الجنبلائي نسبة إلى جنبلاء بالهمزة، بلدة بين واسط والكوفة. أقوال المؤرخين المعاصرين له كثيرة بين متحامل عليه وحاقد، وبين محب ومخلص، وبين ملتزم في الصمت، منهم النجاشي، وابن الغضائري، وصاحب الخلاصة من المتحاملين عليه. وفي لسان الميزان \_\_ ترجم له الذهبي بقوله: أحد المصنفين في فقه الإمامية، روى عنه أبو العباس ابن عقدة وأثنى عليه وأطراه وامتدحه، أما السيد محسن الأمين فقد قال في أعيانه: لوصح ما زعموا وما ذهبوا إليه ونسبوه له لما كان الأمير سيف الدولة المعروف والمشهور بصحة عقيدته الإسلامية وولائه للعترة الطاهرة وآل البيت عليهم السلام، صلى الله عليه وأتم به. وأورد السيد الأمين: مؤلفات الخصبي وأورد أسماء من أتوا على ذكرها ومحص تلك الأقوال والآراء المتعددة. (الهداية: للخصبي: مقدمة الكتاب إعداد مؤسسة البلاغ لسنة 1411 هـ \_\_ 1991 م).

الكبرى \_\_ قائلاً: (إن أمير المؤمنين عليه السلام سار بعسكره من النخيلة مغرباً حتى أتى نهر كربلاء، فمال إلى بقعة يتضوع منها المسك وقد جنّ عليه الليل مظلماً متعكراً ومعه نفر من أصحابه، وهم: محمد بن أبي بكر، والحارث الأعور الهمداني وقيس بن عباد، ومالك الأشتر، وإبراهيم الحسن الأزدي، وهاشم المرى).

قال ابن عبيد الله بن يزيد: فلما وقف في البقعة وترجل النفر معه وصلى؛ قال لهم: «صلوا كما صليت ولكم على علم هذه البقعة».

فقالوا: يا أمير المؤمنين لك منن علينا بمعرفتها. فقال عليه السلام:

«هذه والله الربوة ذات قرار ومعين، التي ولد فيها عيسى عليه السلام، وفي موضع الدالى من ضفة الفرات غسلت مريم، واغتسلت، وهي البقعة المباركة التي نادى الله موسى من الشجرة، وهي محط ركاب من هنا الله به جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعزاه».

فبكوا وقالوا: هو سيدنا أبو عبد الله الحسين؟. قال لهم أمير المؤمنين عليه السلام:

«اخفضوا من أصواتكم فإنه وإخوانه فى هذا السواد وما أحب أن يسمعوا فيحزنوا على الحسين؛ على إن الحسين قد علم وفهم ذلك كله، وأخبره به جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم قبض قبضة من نشر دوحات كأنهن قضبان اللجين، فاشتتها ثم ردها فى أيدينا وقال:

«لا تظنوا أنها من غزلان الدنيا، بل هى من غزلان الجنة، تعمر هذه البقعة وتؤنسها وتشر فيها الطيب».

قال قيس بن سعد بن عباد: كيف لنا بان نرسم هذه البقعة بأبصارنا، وهذا الليل بظلمته يمنعنا من ذلك؟. فقال لهم:

«هذا عسكرنا حائر لا يهتدى طريقه».

فقال له محمد بن أبى بكر: يا مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فأين فضلك الكبير لا يدركنا؟ فانفرد أمير المؤمنين عليه السلام بجانب من البقعة، وصلى ركعتين، ودعا بدعوات، فإذا الشمس قد رجعت من مغربها فوقفت فى كبد السماء، فهلل العسكر وكبروا وخر أكثرهم سجداً لله؛ ونظروا إلى البقعة وعرفوها وعلموا أين هى من الفرات، وهى كربلاء؛ ثم سار العسكر فى الجادة وغربت الشمس (1).

إذن؛ هذه جملة من الأحاديث الواردة عن العترة النبوية صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تتجلى فيها الخصوصية المكانية لتربة كربلاء. وبدت من خلالها الحكمة فى تفضيلها على أرض مكة، بل على جميع بقاع الأرض، وأن الله حفظ بمن تضمنته تربة كربلاء، وهو الإمام الحسين عليه السلام شريعة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

### المبحث الثالث: الخصوصية المكانية لتربة كربلاء وعلاقتها بالدعاء

عندما نجد أن الله عز وجل قد جعل في هذا الكون سنة التفضيل في خلقه سواء أكان بين الملائكة أم بين الأنبياء، والمرسلين والأوصياء عليهم السلام؛ أم بين الأماكن والبقاع كـ: كربلاء، ومكة، والمدينة، والكوفة، والنجف، والقدس، وغيرها من البقاع والأمكنة التي كرمها الله عز وجل؛ أو نلاحظ هذا التكريم بزمانٍ محدد كشهر رمضان وليلة القدر وغيرها.

فعندها يصبح الأمر بديهياً عند العقلاء أن يتخذوا هذه الأماكن والأزمنة محلاً يتقربون من خلالها إلى الله تعالى. فلو لم يكن هذا الموضع أو ذاك مرضياً عند الله لما أكرمه الله عز وجل وفضله على كثير من خلقه.

فكيف إذا وردت فيه نصوص تدل على هذا التخصيص.

وعليه؛ نجد للدعاء في كربلاء خصوصيةً في التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه.

وأن خير ما نستدل به على هذه العلاقة بين الدعاء والمكان \_\_ ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بهذا المورد.

قال عليه السلام:

«وليصيرن الله كربلاء معقلاً ومقاماً تختلف فيه الملائكة والمؤمنون وليكونن لها شأن من الشأن، وليكونن فيها من البركات ما لو وقف ودعا ربه بدعوة لا عطاءه الله بدعوته الواحدة مثل ملك الدنيا ألف مرة».

ثم تنفس أبو عبد الله عليه السلام، وقال:

«يا مفضل إن بقاع الأرض تفاخرت ففخرت كعبة البيت الحرام على بقعة كربلاء، فأوحى الله إليها أن اسكتي كعبة البيت ولا تفتخري على كربلاء، فإنها البقعة المباركة التي نودي موسى منها من الشجرة، وإنها الربوة التي أويت إليها مريم والمسيح، وأنها الدالية(1) التي غسل فيها رأس الحسين عليه السلام وحينما غسلت مريم عيسى عليه السلام واغتسلت من ولادتها وإنها خير بقعة عرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منها وقت غيبته وليكونن لشيعتنا خيرة إلى ظهور قائمنا عليه السلام»(2).

والحديث يشير بوضوح إلى العلاقة بين الدعاء والمكان، وإلى أثر هذا المكان الذي خصه الله تعالى بالفضل والتكريم في استجابة الدعاء وقبوله.

ومن الأحاديث التي أشارت إلى العلاقة بين الدعاء وأرض كربلاء وحددت موضع الإجابة فيها حديث ورد عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يكشف فيه عن جملة من المميزات الخاصة بهذا الموضع.

فعن طاووس اليماني، عن عبد الله بن عباس، قال:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والحسن على عاتقه والحسين على فخذه يلثمهما ويقبلهما ويقول:

«اللهم وال من والاهما وعاد من عادهما».

ثم قال:

1- الدالية: الناعورة التي يديرها الماء، وكأنه يريد ماء الفرات.

2- بحار الأنوار للمجلسي: ج 53، ص 12.

«يا ابن عباس كأنى به وقد خضبت شيبته من دمه، يدعو فلا يجاب، ويستنصر فلا ينصر».

قلت: من يفعل ذلك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

شرار أمتى، ما لهم لا أنالهم الله شفاعتى.

ثم قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

يا ابن عباس من زاره عارفاً بحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف عمرة ألا ومن زاره فكأنما زارنى، ومن زارنى فكأنما زار الله، وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار ألا وإن الإجابة تحت قبته والشفاء فى تربته، والأئمة من ولده.

قلت: يا رسول الله، فكم الأئمة بعدك؟. قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

«بعدد حوارى عيسى وأسباط موسى ونقباء بنى اسرائيل».

قلت: يا رسول الله، فكم كانوا؟.

قال \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_:

كانوا اثنى عشر، والأئمة بعدى اثنا عشر، أولهم على بن أبى طالب، وبعده سبطاى الحسن والحسين فإذا انقضى الحسين فابنه على، فإذا انقضى على فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه جعفر، فإذا انقضى جعفر فابنه موسى، فإذا انقضى موسى فابنه على، فإذا انقضى على فابنه محمد، فإذا انقضى محمد فابنه على، فإذا انقضى على فابنه الحسن، فإذا انقضى الحسن فابنه الحجة.

قال ابن عباس: قلت، يا رسول الله أسامى لم أسمع بهن قط.

قال لى:

يا ابن عباس هم الأئمة بعدى وإن قهروا، أمناء معصومون، نجباء أخيار، ويا ابن عباس من أتى يوم القيامة عارفاً بحقهم أخذت بيده فأدخلته الجنة.

يا ابن عباس من أنكرهم أورد واحداً منهم فكأنما قد أنكرنى وردنى، ومن أنكرنى وردنى فكأنما أنكر الله ورده يا ابن عباس سوف يأخذ الناس يميناً وشمالاً فإذا كان كذلك فاتبع علياً وحزبه، فإنه مع الحق والحق معه ولا يفترقان حتى يردا على الحوض. يا ابن عباس ولا يتهم ولا يتي وولايتي ولاية الله، وحرهم حرى وحرى حرب الله، وسلمهم سلمى وسلمى سلم الله.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (1) (2).

1- سورة التوبة، الآية: 32.

2- كفاية الأثر للخزار القمى: ص 17، طبع ونشر انتشارات بيدار \_ قم. وسائل الشيعة: ج 14، ص 452، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام. الصراط المستقيم للعاملى: ص 145، المكتبة المرتضوية. البحار للمجلسى: ج 36، ص 286، ط دار إحياء التراث. جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ج 12، ص 398، ط المطبعة العلمية بقم.





## الفصل الثالث: الخصوصية الزمانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام

إشارة



مثلما ارتبط الدعاء بخصوصية المكان، كذلك ارتبط بخصوصية الزمان، فهناك أزمنة وأوقات اختارها الله عزوجل لكي يتقرب فيها إليه؛ ويلتمس فيها فضله وعفوه ومغفرته، فيمنّ على من يشاء ويختص برحمته من يشاء وهو أكرم الأكرمين.

والشواهد على ذلك كثيرة كـ شهر رمضان، وليلة القدر، وليلة عرفة ويومه، وليلة الفطر ويومه، وليلة الأضحى ويومه، وليلة المبعث ويومه، وليلة الجمعة ويومها، وليلة النصف من شعبان ويومه، والأيام البيض من كل شهر، وغيرها.

أما ما يتعلق بهذا اليوم الذي وقف فيه ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعوره ويناجيه فقد وردت فيه روايات عديدة تكشف إن لهذه البقعة المباركة أياماً ارتبطت بالله عزوجل وبالدعاء إليه.

بل تفيد الروايات أن هذه الأيام التي لله عزوجل والتي يحب عزّ شأنه أن يتقرب له فيها، أنها إذا قرنت بهذا المكان كانت أسرع في الإجابة وأنفذ في قضاء الحاجة لأن الداعي إلى الله عزوجل قد جمع الخصوصية الزمانية والمكانية للدعاء في آن واحد.

والقرآن يعرض هذه الحقيقة الغيبية فى مناجاة موسى الكليم عليه السلام فقد اختار الله عزوجل للكليم الزمان والمكان الذى يناجى فيه ربه.

قال تعالى:

<وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً> (1).

وفى الإسراء والمعراج اختار الله عزوجل لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الزمان والمكان الذى يعرج منه إلى السماء.

قال تعالى:

<سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ> (2).

فكان المكان هو المسجد الحرام والمسجد الأقصى؛ والزمان كان الليل.

وغيرها من الشواهد والدلائل القرآنية التى تشير إلى حقيقة تعيين الأزمنة والأمكنة التى يتقرب من خلالها إلى الله تعالى.

وعند الرجوع إلى أحاديث العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام نجد أن هذه الأحاديث قد خصت هذا المكان بأزمنة محددة يتقرب فيها إلى الله عزوجل.

وهى كالاتى:

---

1- سورة الأعراف، الآية 142.

2- سورة الإسراء، الآية: 1.

## المبحث الأول: خصوصية ليلة عرفة ويومه في أرض الحائر الحسيني

### إشارة

امتازت ليلة عرفة بخصوصية خاصة عند جميع المسلمين على اختلاف مدارسهم الفقهية لارتباطها بفريضة الحج؛ بل قد دلّ حديث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«الحج عرفة»(1).

على تحقق مقصد الحج في عرفة لاجتماع المكان والزمان اللذين يتقبل الله فيهما هذه الفريضة. فهو الموضع الذي منه يرفع الدعاء، وإليه ينظر الله عزّ وجلّ بعين الرحمة والمغفرة فيجود بمَنّه وفضله على عباده الذين لبوا النداء وقدموا لهذا المكان الذي اختاره وميزه عن بقية الأماكن والبقاع وحدد له الزمان الذي يقف فيه أولئك الوافدون لطلب رحمته وعفوه ومغفرته ورضاه.

ولذلك؛ رفدها أئمة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام بضروب عديدة من الأدعية لأنها الموضع الذي ينبغي للمؤمن أن يلهج فيه إلى الله بأنواع الأدعية من التبتل والاستكانة والابتهاال والاستغاثة؛ وغير ذلك مما ورد في مدرسة الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام، وبخاصّة دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة؛ الذي احتوى على أصول وفروع لعلوم مختلفة كالشرعية والإنسانية والطبيعية؛ فكان بحق منهلاً من مناهل العلم والمعرفة التي يجد فيه الباحث مادته البحثية، ويلمس فيه المفكر نوافذه التأملية.

ومن هنا؛ نرى أن أحاديث العترة عليهم السلام قد دلّت على مواضع وأماكن أخرى

---

1- الدروس للشهيد الأول: ج1، ص427. مستدرک الوسائل للنوري: ج10، ص34. مسند احمد: ج4، ص310. سنن الترمذی: ج2، ص188.

اقتترنت بزمان عرفة(1)، بوصوفه الزمان الذى يفتح الله فيه أبواب رحمته ولطفه. ومن بين هذه الأماكن هو الحائر الحسينى على ساكنه وجده وأبيه وأمه وأخيه والأئمة من بنيه آلاف الصلاة والسلام.

فقد جاءت هذه الروايات لتعرف المؤمنين أن هذه البقعة على أثر الدعاء والعبادة لمن أراد أن يأتى بالمستحبات، أى أن موضع قبر سيد شباب أهل الجنة عليه السلام هو عند الله أخص من جبل عرفة فى دخول الجنة لمن لم يدرك الحج المستحب؛ وهو أوفق فى نيل رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

كما دلت عليه أحاديث أهل البيت عليهم السلام، والتي منها:

1. عن بشير الدهان قال: قلت لأبى عبد الله الصادق عليه السلام ربما فاتنى الحج فأعزفُ (2) عند قبر الحسين عليه السلام؟ فقال:

«أحسن يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين عليه السلام عارفاً بحقه فى غير يوم عيد كتب الله له عشرين حجة، وعشرين عمرةً مبرورات متقبلا، وعشرين غزوةً مع نبي مرسل، أو إمام عدلٍ. ومن أتاه يوم عرفة عارفاً بحقه كتب الله له ألف حجةٍ وألف عمرةٍ مبروراتٍ متقبلا وألف غزوةٍ مع نبي مرسلٍ أو إمام عدلٍ».

قال: فقلت له: وكيف لى بمثل الموقف؟ قال: فنظر إلى نظر المغضب (3) ثم قال:

1- وهو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة ويومه.

2- فأعزفُ: أى أكون فى يوم عرفة عند قبر الحسين عليه السلام.

3- وهنا كان غضبه عليه السلام بسبب استعظام السائل للوقوف على جبل عرفة فى الحج المستحب واعتقاده بأن هذا الوقوف لمن أراد أن يتنفل أفضل عند الله تعالى من زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك بين عليه السلام حجم الأجر والثواب الذى يناله المؤمن فى زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام فى هذا الزمان، أى: فى يوم عرفة.

«يا بشير، إنَّ المؤمن إذا أتى قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة واغتسل بالفرات، ثم توجه إليه كتب الله عزَّ وجلَّ له بكل خطوة حجةً بمناسكها».

ولا أعلمه إلا قال:

وغزوة(1).

2. عن ابن مسكان قال، قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«إنَّ الله تبارك وتعالى يتجلى لزوار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات ويقضى حوائجهم ويغفر ذنوبهم ويشفعهم في مسائلهم ثم يثنى بأهل عرفات فيفعل ذلك بهم»(2).

3. وفي المصباح عن عمر بن الحسين العرزمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«إذا كان يوم عرفة نظر الله تعالى إلى زوار قبر الحسين عليه السلام فقال ارجعوا مغفوراً لكم ما مضى ولا يكتب على أحد منهم ذنب سبعين

1- الكافي للكليني: ج 4، ص 580، باب: فضل زيارة أبي عبدالله الحسين عليه السلام. من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج 2، ص 580، باب: فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة. التهذيب للشيخ الطوسي: ج 6، ص 46، باب: فضل زيارته عليه السلام. وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 14، ص 459، باب: تأكد استحباب زيارته عليه السلام. مستدرک الوسائل: ج 10، ص 281. بحار الأنوار: ج 98، ص 85.

2- وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 14، ص 465. مستدرک الوسائل للنوري: ج 10، ص 283. بحار الأنوار: ج 98، ص 36. كامل الزيارات لابن قولويه: ص 165.

يوماً من يوم ينصرف»(1).

4. عن يونس بن ظبيان عن أبي عبدالله عليه السلام، قال:

«من زار قبر الحسين عليه السلام يوم عرفة كتب الله له ألفَ ألفِ حجة مع القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وألفَ ألفِ عمرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعتق ألفَ ألفِ نسمة وحمل ألفَ ألفِ فرس في سبيل الله وسماه الله عبدي الصديق آمن بوعدى وقالت الملائكة فلان صديق زكاه الله من فوق عرشه، وسمى في الأرض كروياً»(2).

5. وعن ابن ميثم التمار، عن الباقر عليه السلام قال:

«من بات ليلة عرفة بأرض كربلاء وأقام بها حتى يُعيد وينصرف وقاه الله شر سنته»(3).

فهذه الأحاديث وغيرها جاءت لتظهر للمؤمن الذي قدم لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة بأنه نال من الأجر والثواب ما لم ينله متقرب إلى الله عزّ وجلّ في جميع البقاع والأماكن المقدسة ولاسيما جبل عرفة.

- 
- 1- مصباح المتهجد للطوسى: ص 716. كامل الزيارات، الباب السبعون، ص 171. الإقبال: 332. وسائل الشيعة: ج 14، ص 463. مستدرک الوسائل: ج 10، ص 285. البحار: ج 98، ص 88، بحار الأنوار للعلامة المجلسي (: ج 98، ص 88، ح 16.
- 2- التهذيب للطوسى: ج 6، ص 49. الوسائل: ج 14، ص 460. مستدرک الوسائل: ج 10، ص 285. بحار الأنوار: ج 98، ص 88. كتاب المزار للمفيد: ص 46. مصباح المتهجد: ص 515.
- 3- وسائل الشيعة: ج 14، ص 464. مستدرک الوسائل: ج 10، ص 287. البحار: ج 98، ص 90. إقبال الأعمال: ص 330. كامل الزيارات: ص 269. كتاب المزار للشيخ المفيد: ص 48. مصباح المتهجد: ص 716.



## مسألة: كيف يتحقق النظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام مع تقدم وقوف أهل عرفات زماناً لاختلاف الأفق!

غالباً ما يختلف الأفق بين أرض الرافدين وأرض الحجاز في رؤية الهلال في كل عام مما يؤدي إلى تقدم الشهر القمري بيوم وليلة في الحجاز، فيقوم الوافدون إلى بيت الله الحرام بالبدء بمناسك الحج تبعاً لرؤية الهلال.

فيكون الوقوف على جبل عرفات متقدماً على من ذهب لزيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام بيوم وليلة، فكيف يتحقق نظر المولى عزوجل بعين الرحمة والمغفرة إلى زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام قبل نظره عزوجل إلى أهل عرفات.

ودفع هذا الإشكال يكون في أمرين:

الأمر الأول: هو أن لكل إنسان ملائكة موكلين بعمله يكتبون كل ما يصدر عنه خيراً أو شراً، لقوله تعالى:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (1).

وإن هذا العمل يرفع إلى الله تعالى فينظر فيه ثم يعرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم على وصيه عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَقُلْ اَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (2).

هذا النظر من الله عزوجل في أعمال الخلق يكون فيه أولويات فتقدم بعض

1- سورة الانفطار، الآية: 10 \_\_ 12.

2- سورة التوبة، الآية: 105.

الأعمال للنظر فيه على غيره؛ ومثاله \_\_ ولله المثل الأعلى \_\_ كمن أراد أن يتقدم بطلب لدى مؤسسة حكومية أو أهلية وغيرها، للحصول على وظيفة، أو استثمار، أو مناقصة، وغيرها من الطلبات، وهو يرى أن هناك العديد من الطلبات التي سبقته في التقديم، وأن هناك كثيرين سيأتون بعده وهم يحملون نفس الشروط، سينظر المختصون في طلبه قبل هؤلاء جميعاً وجوابه: هو نيل رضا المختصين في هذه المؤسسة. والحال نفسه في أعمال الخلق وصعود الملائكة بها إلى الله عز وجل فنظر المولى عز شأنه إلى زوار قبر الإمام الحسين عليه السلام مقدم على نظره لأهل عرفات. والعلة في ذلك هي:

1. أن حرمة جبل عرفات لمن قصده استجاباً في اليوم التاسع من ذي الحجة لا يمكن أن ترقى إلى حرمة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام.

2. أن التقرب إلى الله عز وجل من تحت قبة قبر حجة الله ووصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن أراد أن يدعو الله في هذا اليوم لا يعدله شيء في نيل رضا الله تعالى، لأن فيه رضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام كما دلت عليه الأحاديث.

3. اشترط الإمام الصادق عليه السلام في حصول هذا الثواب والخير الكثير: أن يكون الزائر عارفاً بحق الإمام الحسين عليه السلام وهذا يعني أن الأجر محصور بالمعرفة فهناك في مكة تكون المعرفة بما اقترف الإنسان من ذنوب، وهنا عند الإمام الحسين تكون المعرفة بشريعة الله تعالى، وفضل معرفة الشريعة أكبر عند الله تعالى من معرفة الذنب كما فضل الله نوم العالم على عبادة الجاهل.

الأمر الثاني: من الناحية العلمية فإن دوران الأرض حول نفسها يجعل الفارق الزمني بين مكة المكرمة وشمال أمريكا ما يقارب سبع الساعات، وإن قيام المسلمين بإحياء ليلة القدر في شمال أمريكا متأخر على أهل مكة بنحو ثلثي ليلة

القدر في حين إن وعد الله صدق وقوله فصل؛ فليلة القدر؛

<سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ> (1).

وعليه؛ فنزول الملائكة في ليلة القدر قائم بدوام عنوان الليل ووجوده سواء أكان الليل في مكة متقدماً على الليل في كندة بـ (6 أو 7) ساعات؛ أم أن ليل مكة متأخر عن ليل استراليا والشرق الأقصى سبع أو ثماني ساعات، فالأعمال كلها يعرج بها إلى الله تعالى، لكن تقديم بعضها على البعض في نيل رضا الله مرهون بمودة من أوجب الله مودتهم على جميع الخلق، ومن أعظم مصاديق المودة لآل البيت عليهم السلام هو زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام، ولأجلها ينال الزائر كل هذا الأجر والثواب والمغفرة وأكبر من ذلك كله؛

<وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ> (2).

ولذلك؛ فقد زحرت كتب الحديث والفقه والأدعية بتأكيد استحباب زيارة قبر الحسين عليه السلام في بعض الأزمنة المخصصة فضلاً عن ليلة عرفة ويومه، كليلة الفطر ويومه، وليلة الأضحى ويومه، وليلة الأول من رجب ويومه، وليلة النصف منه، وكذلك ليلة النصف من شعبان، وليلة القدر، وليلة عاشوراء ويومه.

وجميع هذه الأزمنة كان لها خصوصية التقرب إلى الله عزّوجلّ وطلب عفوه ومغفرته، وقد عرفت بين المسلمين بأنها ليالٍ وأيام مباركة يلوذ بها الداعي إلى ربه. فكيف إذا أضيف إليها ما حواه قبر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خصوصية خاصة في استجابة الدعاء ونزول الرحمة وشمول العفو والمغفرة للزائرين والداعين.

1- سورة القدر، الآية: 5.

2- سورة التوبة، الآية: 72.

## المبحث الثاني: خصوصية يوم عاشوراء

### المسألة الأولى: خصوصية يوم عاشوراء قبل فاجعة الطف عند أهل البيت عليهم السلام

أن ليوم عاشوراء خصائص عدة؛ منها ما كان مرتبطاً بهذا اليوم قبل فاجعة الطف؛ ومنها ما كان مرتبطاً به بعد وقوع الفاجعة.

أما ما كان منها مرتبطاً بهذا اليوم قبل الفاجعة فقد وردت بعض الأحاديث الشريفة لتدل على خصوصية يوم عاشوراء عند الله عزّ وجلّ وأنه اليوم الذي كان له مع بعض الأنبياء عليهم السلام شأن خاص في التقرب إليه جلّ شأنه كما هو واضح في الأحاديث التالية:

1. روى السيد ابن طاووس بسنده، عن علي بن فضال، بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«استوت السفينة يوم عاشوراء على الجودي، فأمر نوح من معه من الجن والإنس أن يصوموا ذلك اليوم»<sup>(1)</sup>.

2. وقال أبو جعفر \_ الباقر \_ عليه السلام:

«أتدرون ما هذا اليوم؟ هذا اليوم الذي تاب الله عزّ وجلّ فيه علي

---

1- إقبال الأعمال: ج 3، ص 51، نشر مكتب الأعلام الإسلامي. دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي: ج 1، ص 284، نشر دار المعارض بالقاهرة. مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج 7، ص 523، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام \_ قم. جامع الأحاديث للسيد البروجردى: ج 9، ص 476، ط مهر قم.

آدم عليه السلام وحواء وهذا اليوم الذى فلق الله فيه البحر لبنى إسرائيل فأغرق فرعون ومن معه، وهذا اليوم الذى يقوم فيه القائم عليه السلام»(1).

3. وروى أيضاً بإسناده إلى هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن أبيه، أن علياً عليه السلام قال: «صوموا من عاشوراء العاشر والتاسع منه، فإنه يكفر ذنوب سنة»(2).

4. قال الشيخ المفيد رحمة الله: روى النعمان بن سعد، عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل:

«إن كنت صائماً بعد شهر رمضان فصم المحرم، فإنه شهر تاب الله فيه على قوم، ويتوب الله فيه على آخرين»(3).

- 
- 1- إقبال الأعمال لابن طاووس: ج 3، ص 51، نشر مكتب الإعلام الإسلامى. مستدرک الوسائل للنورى: ج 7، ص 23، نشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام. جامع أحاديث الشيعة للبروجردى: ج 9، ص 476، برقم 1411.
- 2- إقبال الأعمال: ج 3، ص 51. تذكرة الفقهاء للعلامة الحلى: ج 6، ص 193. الحدائق الناظرة للمحقق البحرانى: ج 13، ص 371. مستند الشيعة للمحقق النراقى: ج 10، ص 489. جواهر الكلام للجواهرى: ج 17، ص 105. الاستبصار للشيخ الطوسى: ج 2، ص 134، ط نشر دار الكتب الإسلامية. وسائل الشيعة للحر العاملى: ج 10، ص 457.
- 3- المقنعة للشيخ المفيد رحمة الله: ص 376، ط مؤسسة النشر الإسلامى. منتهى المطلب للعلامة الحلى: ج 2، ص 614. مشارق الشموس للمحقق الخونسارى: ج 2، ص 456. الحدائق الناظرة للمحقق البحرانى: ج 13، ص 377. وسائل الشيعة (آل البيت) للحر العاملى: ج 10، ص 469. مسند احمد بن حنبل: ج 1، ص 154، ط دار صادر. سنن الترمذى: ج 2، ص 122، ط دار الفكر. المصنف لابن أبى شيبة: ج 2، ص 457، ط دار الفكر بيروت. مسند أبى يعلى الموصلى: ج 1، ص 232، ط دار المأمون. فضائل الأوقات للبيهقى: ص 432.

وهذه الأحاديث أظهرت حرمة هذا الشهر عند الله عزّوجلّ، وأنه الشهر الذى استجاب فيه لأوليائه وفرج عنهم، وفيه تاب على أقوام كثيرة. فكان هذا الشهر أحد الأزمنة التى يتقرب بها إلى الله عزّوجلّ بأنواع العبادات ولاسيما الدعاء.

الآن بنى أمية أرادوا أن يجعلوا لقتلهم الحسين عليه السلام مشروعية فأكثرُوا من أحاديث تعظيم هذا اليوم وجعلوه يوم بركة لذا صاموه لكونه يوم نصرهم وسرورهم، مما جعل فقهاء أهل البيت عليهم السلام يحثوا على مرجوحية هذا الصوم لئلا يكون تشبهاً ببنى أمية وأوصوا بالامساک فيه دون صومه ويتأتى بقية الكلام فيما بعد.

ولذلك.. كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم أن لهذا الشهر حرمة عند الله تعالى وأن يوم عاشوراء هو يوم استجابة الدعاء وقضاء الحاجات، ولذلك كان عليه السلام كثير الدعاء فيه كما سيمر بيانه؛ وإن أعداءه كانوا يعلمون أن هذا الشهر هو من الأشهر الحرم، بل أخصها حرمة، ولأجله سمي بـ(المحرم) إلا أنهم لم يراعوا أية حرمة، واستهتروا بكل القيم الدينية والاجتماعية.

### المسألة الثانية: خصوصية يوم عاشوراء بعد فاجعة الطف

إن الخصوصية التى كانت ليوم عاشوراء قبل فاجعة الطف قد اختلفت بعد وقوعها، أى: أن نوعية الأعمال التى تؤدى إلى حصول القربة إلى الله تعالى فى يوم عاشوراء قد اختلفت. فقد أصبح الصوم فى يوم عاشوراء بقصد الشماتة وإظهار الفرح والسرور كما يفعله المنافقون والنواصب لآل البيت عليهم السلام من أكبر الموبقات التى تحط العمل وتحرز غضب الله عزّوجلّ كما دلت عليه الأحاديث الشريفة.

والتي منها:

1. روى ثقة الإسلام الكليني رحمة الله بسنده عن عبدالملك، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من شهر محرم؟. فقال:

«تاسوعاء يوم حوَّصر فيه الحسين عليه السلام وأصحابه بكر بلاء، واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها واستضعفوا فيه الحسين وأصحابه وأيقنوا أن لا- يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدّه أهل العراق بأبي المستضعف الغريب.

ثم قال:

وأما يوم عاشوراء فيوم أصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله؛ أفصوم يكون في ذلك اليوم؟ كلا ورب البيت الحرام ما هو يوم صوم وما هو إلا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام (غضب الله عليهم وعلى ذرياتهم) وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة، فمن صامه أو تبرك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوطاً عليه، ومن ادخر فيه إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده وشاركه الشيطان في جميع ذلك» (1).

---

1- الكافي: ج 4، ص 147، باب: صوم عرفة. وسائل الشيعة (آل البيت): ج 10، ص 460، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام. مشارق الشموس للمحقق الخونساري: ج 2، ص 458. الحدائق الناظرة للمحقق البحراني: ج 13، ص 371. مستند الشيعة للمحقق النراقي: ج 10، ص 491.

2. وروى الكليني أيضاً، عن محمد بن عيسى بن عبيد عن جعفر بن عيسى أخيه، قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه؟ فقال:

«عن صوم ابن مرجانة تسألني! ذلك يوم صامه الأعداء من آل زياد لقتل الحسين عليه السلام؛ وهو يوم يتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويتشاءم به أهل الإسلام، واليوم الذي لا يصام ولا يتبرك به، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وما أصيب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا في يوم الاثنين فتشاءمنا به وتبرك به عدونا، ويوم عاشوراء قتل فيه الحسين عليه السلام وتبرك به ابن مرجانة وتشاءم به آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، من صامهما أو تبرك بهما لقي الله تبارك وتعالى ممسوخ القلب وكان محشره مع الذين سنوا صومهما والتبرك بهما»<sup>(1)</sup>.

3. وعنه أيضاً عن زيد، قال: سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن صوم يوم عاشوراء؟.

فقال:

«من صامه كان حظه من صيام ذلك اليوم حظ ابن مرجانة وآل زياد.

قال قلت: وما كان حظهم من ذلك اليوم؟، قال:

---

1- الكافي للكليني: ج 4، ص 146. منتهى المطلب للعلامة الحلي: ج 2، ص 611. الاستبصار للشيخ الطوسي: ج 2، ص 135، ط دار الكتب الإسلامية. التهذيب للطوسي: ج 4، ص 301، ط دار الكتب الإسلامية. وسائل الشيعة (الإسلامية) للعاملي: ج 7، ص 340، ط دار إحياء التراث. الحدائق الناظرة للبحراني: ج 13، ص 372.



النار، أعاذنا الله من النار، ومن عمل يقرب من النار»(1).

4. وروى الشيخ الطوسي رحمة الله عن الحسين بن أبي غندر عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن صوم يوم عرفة؟. فقال:

«عيد من أعياد المسلمين، ويوم دعاء ومسألة».

قلت: فصوم يوم عاشوراء؟. قال \_\_ عليه السلام \_\_:

«ذلك يوم قتل فيه الحسين عليه السلام؛ فإن كنت شامتاً فصم».

ثم، قال:

«إن الصوم لا يكون للمصيبة، ولا يكون إلا شكراً للسلامة؛ وإن الحسين عليه السلام أصيب يوم عاشوراء فإن كنت ممن أصبت به فلا تصم؛ وإن كنت شامتاً ممن سره سلامة بنى أمية فصم شكراً لله تعالى»(2).

ومن هنا.. نجد أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد اتخذوا أيام محرم، أيام حزنهم وعزائهم ومواساتهم لجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بولده وريحانته من الدنيا. فإذا

1- الكافي: ج 4، ص 147. منتهى المطلب للعلامة الحلي: ج 2، ص 611. الاستبصار للطوسي: ج 2، ص 135، ط دار الكتب الإسلامية. التهذيب للطوسي: ج 2، ص 302، ط دار الكتب الإسلامية. خاتمة المستدرک للنورى: ج 1، ص 69، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام. الحدائق الناظرة للبحراني: ج 13، ص 373.

2- الآمالى للشيخ الطوسي: ص 667. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام) للعاملى: ج 10، ص 462. البحار للمجلسى: ج 45، ص 95. الحدائق الناظرة للبحراني: ج 13، ص 373. وقد نسب للصدوق فى المجالس، مستند الشيعة للترافى: ج 10، ص 491. جواهر الكلام للجواهرى: ج 17، ص 107، نشر دار الكتب الإسلامية. جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ج 9، ص 478، ط مهر-قم.

كان يوم عاشوراء، عند أعدائهم يوم سرور وفرح فإنه عند أهل البيت يوم بكاء وتجمع. كما أشارت إلى ذلك العديد من الروايات.

أ— روى الشيخ الصدوق رحمة الله عن محمد بن علي ماجيلويه، قال حدثنا علي بن إبراهيم عن أبيه، عن الريان بن شبيب، قال: دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال:

«يا بن شبيب، أصائم أنت؟».

فقلت: لا.

فقال:

«إن هذا اليوم الذى دعا فيه زكريا عليه السلام ربه عزّوجلّ، فقال:

>هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.<

فاستجاب به، وأمر الملائكة فنادت زكريا وهو قائم يصلى فى المحراب:

>أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى.<

فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عزوجل استجاب الله له، كما استجاب لزكريا عليه السلام».

ثم قال:

«يا بن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذى كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتال لحرمة، فما عرفت الأمة حرمة

شهرها ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً.

يا بن شبيب، إن كنت باكياً لشيء، فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فإنه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً مالهم في الأرض من شبيهه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره، وشعارهم يا لثارات الحسين.

يا بن شبيب، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب اذنبته، صغيراً أو كبيراً، قليلاً أو كثيراً.

يا بن شبيب، إن سررت أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام.

يا بن شبيب، إن سررت أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ذكرته: يا يلتنى كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

يا بن شبيب، إن سررت أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان، فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا فلو أن رجلاً تولى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة»(1).

---

1- الآمالى للشيخ الصدوق رحمة الله: ص 192، ط مؤسسة البعثة. عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق: ج 2، ص 268، ط الأعلمی. وسائل الشيعة (الإسلامية): ج 10، ص 324. إقبال الأعمال لابن طاووس: ج 3، ص 29، نشر مكتب الإعلام الإسلامى. بحار الأنوار: ج 44، ص 286.

ب \_\_ وروى الشيخ الصدوق رحمة الله فى أماليه، عن إبراهيم بن أبى محمود قال، قال الرضا عليه السلام:

«إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فيه حرمتنا، وسبى فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النيران فى مضاربنا، وانتهب ما فيه من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة فى أمرنا، إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء، إلى يوم الانتضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإن البكاء يحط الذنوب العظام.

ثم قال عليه السلام:

كان أبى عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكا، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضى منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم، يوم مصيبتته وحزنه وبكائه، ويقول: «هو اليوم الذى قتل فيه الحسين عليه السلام»<sup>(1)</sup>.

فهذه الأحاديث الشريفة تكشف عن اختلاف العمل التقربى إلى الله تعالى فى يوم عاشوراء قبل فاجعة الطف وبعدها. والعلة فى ذلك تعود إلى السياسة التى اعتمدها بنو أمية فى تغيير فحوى الخطاب الشرعى فى جعل يوم العاشر من المحرم

---

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 191. علل الشرايع للصدوق: ج 1، ص 327، ط المكتبة الحيدرية. روضة الواعظين للنيسابورى: ص 169، منشورات الشريف الرضى. وسائل الشيعة آل البيت عليهم السلام: ج 14، ص 504، ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام. أقبال الأعمال لابن طاووس: ج 3، ص 28، نشر مكتب الأعلام الإسلامى.

يوم فرح وسرور وإنفاق على العيال كى يرسخ فى أذهانهم أنه يوم مبارك. فيلتبس الأمر على كثير من الناس وتضيع بينهم تلك الحادثة العظيمة التى انتهكت فيها حرمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فأى بركة بقيت فى يوم عاشوراء وفيه ذبح الحسين بن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أهل بيت وأصحابه عليهم السلام.

وأى سرور فى يوم عاشوراء وقلب النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم قَطَعَهُ الألم بذلك المصاب، وهو ما عكسه حال الأئمة فى حلول شهر المحرم من كل عام.

ولذلك.. لولا هذه الفاجعة التى اقترفها بنو أمية يوم عاشوراء لبقى هذا اليوم «يوم الدعاء إلى الله عزّوجلّ» وطلب عفوه ومغفرته كما كان عليه قبل سنة 61هـ.

إذن:

جَمَعَ دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى عاشوراء وعلى أرض كربلاء الخصوصية المكانية والخصوصية الزمانية، فكان له هذا الوقع الكبير فى سرعة الإجابة، لاسيما وإن الداعى عليه السلام أضاف إلى تلك الخصوصيةين، خصوصية أخرى وهى: كونه عليه السلام لا ترد له دعوة.

ولذا؛ ينبغى للمسلم أن يغتنم هذه الخصوصية المكانية والزمانية فى التوجه إلى الله تعالى بالدعاء وضروب العبادة وطلب عفوه ومغفرته، والتقرب إليه بالبكاء على مصائب آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبخاصة صاحب المصيبة العظمى والرزية الكبرى الإمام الحسين عليه السلام، لأنها دعوة لا ترد.



## الفصل الرابع: علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالدعاء

إشارة





## المبحث الأول: كثرة دعائه عليه السلام

### إشارة

أول مظهر من مظاهر علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالدعاء فى يوم عاشوراء — بوصفه نواة البحث — كان فى ليلة العاشر من المحرم، حين نادى عمر بن سعد فى عسكره بالزحف نحو الإمام الحسين، وكان عليه السلام جالساً أمام بيته محتبياً بسيفه وخفق برأسه فرأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«إنك صائر إلينا عن قريب».

وينقل لنا التاريخ أيضاً أن زينب سمعت أصوات الرجال. فقالت لأخيها:

«قد اقترب العدو منا».

فقال لأخيه العباس عليهما السلام:

«اركب بنفسى أنت حتى تلقاهم واسألهم عما جاءهم وما الذى يريدون».

فركب العباس فى عشرين فارساً، فيهم زهير وحبیب وسألهم عن ذلك، قالوا: جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم النزول على حكمه أو ننازلكم الحرب.

فانصرف العباس عليه السلام، وأعلم أخاه أبا عبدالله بما عليه القوم.

فقال عليه السلام:

«ارجع إليهم واستمهلهم هذه العشية إلى غد لعلنا نصلى لربنا الليلة وندعوه ونستغفره؛ فهو يعلم أنى أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار»(1).

هذا الموقف الحسيني الذي تجلى بأنواره في كربلاء قد كشف ما تلبد في سمائها من غيوم داكنه، حين زحفت هذه الجموع تدق طبول الحرب، وتعلن الموت بوجه كل من يعترض طريقها.

وهذا الموقف قد سجل بأحرف نورانية في سجل الحياة منهجاً تربوياً يعلم الإنسان كيف يعد نفسه لمواجهة أصعب الظروف؛ بل يعلمه كيف يواجه الموت بالحياة، والذعر بالاطمئنان، والخوف بالسكينة.

وهو فضلاً عن كل ذلك قد تضمن الحقيقة الآتية:

### استثمار دقائق الحياة بالعبادة

ربما يستطيع بعض الناس أن يحدد ما بقي له من ساعات عمره ومدة حياته؛ كالمريض الذي يصارع الحياة بسبب مرض عضال فيخبره الأطباء عن مقدار مقاومة بدنه لمدة يومين أو ثلاثة، أو كالسجين الذي تلقى أمر إعدامه وينتظر تنفيذ الحكم؛ أو كالمقاتل الذي تجهز لخوض مهمة قتالية في زمن محدد؛ أو غيرها من الأمثلة الحياتية. التي تحكى عن مقدرة الإنسان على معرفة ما بقي له من ساعات عمره.

ففي هذه الحالات كيف للإنسان أن يتصرف فيها؟! أينتظر نهايته ببطء

---

1- اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص 54، ط أنوار الهدى \_ قم. البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 191، ط ونشر دار إحياء التراث. المجالس الفاخرة للسيد عبد الحسين شرف الدين: ص 271، ط ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية \_ قم. مقتل الحسين عليه السلام للمقرم.

شديد، أم إن عينيه لا تفارقان عقارب الساعة تتبعانها بصمت مطبق، أم إنه يستدركها بوصيته التي يضمنها ما يهيمه ويشغل ذهنه؟!.

إنها حالات صعبة ومؤلمة للنفس ومربكة للذهن تشل فكر صاحبها وتعجزه عن اتخاذ أى قرار.

لكنها عند الإمام الحسين عليه السلام الذى علم أنها الليلة الأخيرة من حياته. بدأ المشهد مختلفاً عن جميع المشاهد الحياتية، إذ إنه عليه السلام استقبلها بالحياة وهى التى تنذر بالموت القريب، وأمضاها بالتهيؤ والتجهز ليوم سفره الطويل وهى التى دقت أجراس الرحيل.

ليلة استمهلها من أعدائه كى يأنس فيها بتهجده لمولاه، فقلبه لم يرتو بعد من طول التهجد فى لياليه التى أسلفت، وكيف له أن يفارق مولاه ويحرم القلب من رؤياه، وهو الذى لم يعرف للهجر لونها ولم يذق له طعماً. فكان كأبيه على أمير المؤمنين عليهما السلام كثير الدعاء مشغولاً بذكر الله عزّ وجل حتى لقب بـ«الدعاء»<sup>(1)</sup>.

ولذا.. قال لأخيه العباس عليهما السلام:

«إن استطعت يا أخى أن تصرفهم عنا هذه الليلة فلعلنا نصلى لربنا فإنه يعلم أنى أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار».

فكانت هذه الليلة بما حوته من مظاهر التهجد والعبادة قد قدمت للإنسان درساً فى معنى أن يحيا المرء هذا العدد من السنين فينقضى بها عمره؛ وأن الريح والخسارة لا يحسبان بظهور الزيادة أو النقصان فى عدد الليالى والأيام؛ وإنما الريح والخسارة فيما يصرفه الإنسان من هذه الليالى فى طاعة الله عزوجل.

1- وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام): ج 7، ص 26، طبع ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

## المبحث الثاني: دور التهجد في الإعداد الروحي والقلبي لخوض المهمات وتحمل الملمات

كثيراً ما يتعرض الإنسان لحوادث مختلفة خلال فترة حياته، منها حوادث قد أَلَمَّتْ به كالفقر والمرض والعسر وغيرها من الشدائد ونوازل الدهر وقد سميت (بالملمات)(1).

ومنهما ما لم يقع كتهديد العدو فلا يعلم حاله أكان عازماً أم مدعياً؛ أو كالخروج للقتال فلا يعلم الإنسان مصيره ولا يدري لمن النصر والهزيمة؛ أو كالدخول على الحاكم الجائر لا يدري الداخل ما يحل بأمره وغيرها من مهمات الأمور(2).

هذه الحوادث كيف يستقبلها الإنسان؟ وكيف يتعايش معها؟ وماذا أعد لها؟ وهل يمتلك القدرة في المواجهة؟ أسئلة كثيرة ومختلفة كاختلاف الظروف والحالات التي يمر بها الإنسان؛ كما أن أجوبتها متعددة كتعدد الأسئلة، وكلها يمكن حدوثها لاختلاف مستوى التفكير عند الناس واختلاف ظروفهم الحياتية.

إلا أن عاشوراء قد قدمت دروساً تضمنت جميع هذه الأسئلة وأجوبتها! لأنها جمعت أعظم الشدائد والنوازل على مر الدهر. ولاسيما ليلة العاشر فقد أَلَمَّتْ بهمومها وأحزانها وحذرها على الإمام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، فكيف استقبلها حجة الله؟ وماذا أعد لهذه النازلة والشدّة؟!.

1- مجمع البحرين: ج 6، ص 165.

2- المهمات من الأمور: الشدائد، كتاب العين للفراهيدي: ج 3، ص 357.

سؤال قد فرض نفسه فى ساحة الذهن وألقى بظلاله على فكر الباحث والمنتبع لقضية كربلاء وما دار فيها من مأسٍ ومهام جسيمة أرهقت كاهل الفارئ لها فكيف بمن عاشها وعاشته حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من ملحمة عاشوراء.

ولذا؛ فقد أعد الإمام الحسين عليه السلام لهذه النازلة العظيمة ركائز أربعاً، اشترك فيها الزمان والمكان فكانت كالاتى:

أولاً: الصلاة.

ثانياً: تلاوة كتاب الله تعالى.

ثالثاً: كثرة الدعاء.

رابعاً: الاستغفار.

فأما الزمان الذى اتخذه حجة الله فى قيام هذه الركائز؟ فكان الليل، والعلة فى ذلك هى النهج الذى خطه القرآن الكريم للحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فى تخصيص هذا الوقت للتزود بالطاقات والفيوضات الربانية التى عرفها القرآن بـ«التهجد» كما جاء فى قوله تعالى:

<وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا> (1).

وقوله تعالى:

<يَا أَيُّهَا الْمُرْتَلُّ (1) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (2) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (3) أَوْ زِدْ

عَلَيْهِ وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (4) إِنَّا سَأَلْنَاكَ عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلاً (5) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً <(1)>.

والتهجد عند أهل اللغة هو: الاستيقاظ إلى الصلاة في الليل، والمتهجد: هو القائم إلى الصلاة من النوم آخر الليل (2). وقيل: تكلف السهر للعبادات (3).

ولقد حظى التهجد في مدرسة العترة المحمدية عليهم السلام بحيز كبير من الأحاديث الشريفة التي كانت بمجموعها دليلاً عملياً للمؤمنين في نظم أمورهم الدنيوية والأخروية وإعدادها.

فالتهجد ليس مجرد قيام وصلاة في جوف الليل يتحمل فيه القائم عناء السهر، وإنما هو — في مدرسة أهل البيت عليهم السلام — منهج للإعداد النفسى، والروحي، والإيماني، والجسدى.

أو هو بالمعنى الذى يتعاهده طلاب العلوم البايولوجية أشبه ما يكون بـ «الحاضنة» التى تحتضن الخلية الحيوانية لتعدها إعداداً خاصاً يتناسب مع حاجة الباحث والعالم المحيط بشؤونها فيهيئ لها درجة الحرارة المناسبة وكمية الضوء، ونسبة الهواء وغيرها. كى تعطيه نموذجاً خاصاً يحمل صفات متميزة فى قوة البقاء والجودة.

ويمكن للباحث المتتبع أن يلمس هذا الإعداد للنفس والروح والجسد من خلال هذه الأحاديث التى كشفت هذه الخواص بشكل جلى، وهى كما يلى:

1- سورة المزمل، الآيات: 1 \_ 6.

2- تاج العروس للزبيدي، مادة: «هجد».

3- مجمع البحرين: ج 3، ص 167.

1. نزل جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له:

«يا جبرائيل عطني».

فقال:

«يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب ما شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك ملاقيه. شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه كف الأذى عن الناس»(1).

2. وعن الصادق عليه السلام قال:

«إن من روح الله عزوجل، ثلاثة: التهجد بالليل، وإفطار الصائم، ولقاء الإخوان»(2).

3. وعنه عليه السلام، قال:

«عليكم بصلاة الليل فإنها سنة نبيكم، وأدب الصالحين قبلكم، ومطرده الداء عن أجسادكم»(3).

1- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج 1، ص 471. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام): ج 8، ص 152. تذكرة الفقهاء للعلامة

الحلي: ج 2، ص 263. منتهى المطلب للحلي: ج 4، ص 18. جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردى: ج 7، ص 102.

2- من لا يحضره الفقيه: ج 1، ص 472. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام): ج 8، ص 153. مستدرک الوسائل للنورى: ج 6، ص

327. الأمالى للطوسى: ص 172.

3- ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص 41، علل الشرايع: ج 2، ص 362. التهذيب للطوسى: ج 2، ص 120. روضة الواعظين

لنيسابورى: ص 321. وسائل الشيعة: ج 8، ص 149. مستدرک الوسائل: ج 6، ص 331. الفصول المهمة للعاملى: ج 3، ص 328.

بحار الأنوار: ج 59، ص 268.

4. وروى هشام بن سالم عنه عليه السلام أنه قال:

«فى قول الله عزوجل:

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

قال: قيام الرجل عن فراشه يريد به وجه الله عزوجل، لا يريد به غيره»(1).

5. وروى عنه الفضيل بن يسار، أنه قال:

«إن البيوت التى يصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض»(2).

6. وقال عليه السلام:

فى قول الله عز وجل:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾(3).

قال:

صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب بالنهار؛ ومدح الله تبارك وتعالى أمير المؤمنين عليه السلام فى كتابه لقيام صلاة الليل،

---

1- علل الشرايع للصدوق: ج 2، ص 363. مفتاح الفلاح للبهائى: ص 225، ط مؤسسة الأعلمى. من لا يحضره الفقيه: ج 1، ص 472.

التهذيب للطوسى: ج 2، ص 120.

2- تذكرة الفقهاء للعلامة الحلى: ج 1، ص 71، ط ونشر المكتبة المرتضوية. ذكرى الشيعة للشهيد الأول: ج 2، ص 292. كشف اللثام

للفاضل الهندى: ج 1، ص 8. ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص 28. من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج 1، ص 473.

3- سورة هود، الآية: 114.



فقال عزوجل:

«أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ».

وآناء الليل: ساعاته(1).

7. وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»(2).

8. وروى جابر بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام، أن رجلاً سأل على بن أبي طالب عليه السلام عن قيام الليل بالقراءة، فقال له:

«أبشر من صلى من الليل عشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء ثواب الله، قال الله تبارك وتعالى لملائكته: اكتبوا لعبدي هذا من الحسنات عدد ما أنبت في الليل من حبة وورقة وشجرة وعدد كل قصبة وخص وخط ومراعى(3).

ومن صلى ثُمن ليلة أعطاه الله أجر شهيد صابر صادق النية وشفع في أهل بيته.

1- من لا يحضره الفقيه: ج 1، ص 473. نهاية الأحكام للحلى: ج 2، ص 90. جامع أحاديث الشيعة للبروجردى: ج 7، ص 120.  
2- من لا يحضره الفقيه: ج 1، ص 474. الرواشح السماوية للميرداماد: ص 285، ط ونشر دار الحديث \_ قم. سنن ابن ماجه: ج 1، ص 422.

3- الخوص: ورق النخل، الواحدة خوصة، كما فى الصحاح. وفى ثواب الأعمال وردت: «خوط ومراعى»، والخوط والخوطة: الغصن الناعم.

ومن صلى سُبْعَ ليلة خرج من قبره يوم يبعث ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يمر على الصراط مع الآمنين.

ومن صلى سدس ليلة كتب في الأوابين، وغفر له ما تقدم من ذنبه.

ومن صلى خمس ليلة زاحم إبراهيم خليل الرحمن في قبته.

ومن صلى ربع ليلة كان في أول الفائزين حتى يمر على الصراط كالريح العاصف، ويدخل الجنة بغير حساب من أى أبواب الجنة الثمانية شاء.

ومن صلى ثلث ليلة لم يبق ملك إلا غبطه بمنزلته من الله عزوجل، وقيل له: أدخل من أى أبواب الجنة الثمانية شئت.

ومن صلى نصف ليلة فلو أعطى ملء الأرض ذهباً سبعين مرة لم يعدل جزاءه، وكان له بذلك عند الله عزوجل أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد إسماعيل.

ومن صلى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج، أدناها حسنة أثقل من جبل أحد عشر مرات.

ومن صلى ليلة تامة تالياً لكتاب الله عزوجل، راکعاً وساجداً وذاكراً أعطى من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته أمه، ويكتب له عدد ما خلق الله عزوجل من الحسنات ومثلها درجات، وينبت النور في قبره، وينزع الإثم والحسد من قلبه، ويجار من عذاب القبر، ويعطى براءة من النار، ويبعث من الآمنين، ويقول الرب تبارك وتعالى لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى عبدى أحيا ليلة ابتغاء مرضاتى اسكنوه الفردوس، وله فيها مائة ألف مدينة، في كل مدينة جميع ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين، ولم يخطر على بال

سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة»(1).

ولأجل هذه المزايا وغيرها اتخذ الإمام الحسين عليه السلام ليلة عاشوراء، ليلة للمناجاة والصلاة وتلاوة كتاب الله تعالى، وكثرة الدعاء والاستغفار، والتزود بالطاقات والفيوضات الإلهية.

فكان هو وأصحابه عليهم السلام بين قائمٍ وراكعٍ وساجدٍ، لهم دوى كدوى النحل لا يفترون من ذكر الله تعالى ومناجاته والتضرع(2) إليه، والرهبه(3) منه، والتبتل(4) إليه، والابتهاال(5) له، عزّ شأنه راجين في ذلك رضاه ورضا رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ملتسمين توفيقه في نصرة شرعه ودينه.

فكان لهم ما سألوا الله من أجله، فقد أجاب دعوتهم فمضوا مضرجين بدمائهم مجزرين كالأضاحي في ساحة قدسه في البقعة المباركة من جانب الطور الأيمن، ضحىً من يوم عاشوراء.

- 
- 1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 367. من لا يحضره الفقيه: ج 1، ص 476. ثواب الأعمال: ص 43. روضة الواعظين للفتال: ص 320. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام) للحر العاملي: ج 6، ص 139. المصباح للكفعمي: ص 419.
  - 2- التضرع: هو رفع اليدين بالدعاء، وقيل: هو تحريك السبابة اليمنى، يميناً وشمالاً (كشف الغطاء: ج 2، ص 307).
  - 3- الرهبه: أن تظهر ظهرهما.
  - 4- التبتل: تحريك السبابة اليسرى ترفعها وتضعها.
  - 5- الابتهاال: تبسط يدك وذراعك إلى السماء، والابتهاال حيث ترى أسباب البكاء؛ وإذا سألت فبطن كفيك، وإذا تعوذت فبظهر كفيك؛ وإذا دعوت فبأصبعك (كشف الغطاء للشيخ جعفر كاشف الغطاء رحمة الله: ج 2، ص 307).

## المبحث الثالث: آثار تهجد الإمام الحسين عليه السلام على الأعداء

### إشارة

لقد أثر تهجد الإمام الحسين وصحبه عليهم السلام على الأعداء تأثيراً بالغاً ومن عدة جوانب:

### المسألة الأولى: الجانب الرسالي

فقد كشف هذا الوقوف بين يدي الله ومناجاته أن لهؤلاء القوم قضيةً ربانية مرتبطة بالرسالات السماوية، وأنهم ليسوا طلاب سلطة ولا دعاة ملك أو رئاسة وإنما هم امتداد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته. فهذه الفعال هي فعال الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وعباد الله الصالحين.

### المسألة الثانية: الجانب النفسي

في الجانب النفسي نجد أن للمناجاة تأثيراً معاكساً على الأعداء، بمعنى: كل ما يدخله الدعاء والمناجاة والعبادة من ارتياح وانسباط نفسى على المؤمن، يكون على عكسه حال الظالم. وخاصة حينما يرى أمام عينيه وقوف المظلوم ومناجاته لله رب العالمين.

والسبب في ذلك؛ إن الظالم يمتلكه شعور نفسى خاص يتكون من مجموعة إدراكات ذهنية مختلفة وهي كالاتى: 1. كإدراكه بأنه متلبس بالظلم، 2. وأنه من صنف أهل الشر، 3. وأن عاقبته سيئة، 4. وأن مصيره إلى النار والعذاب، 5. وأنه ضييع، 6. وأنه أداة تستهلك بيد غيره، 7. وأنه يدمر نفسه كى يتنعم بالدنيا غيره، 8. وأنه عار على أبنائه وعشيرته، 9. وأنه موضع لعنة الله على مر الأجيال.

وغيرها من الإدراكات التى تدور فى الذهن فتستشعرها النفس بمرارة وحسرة فتكون هذه الأحاسيس أشد ألماً على النفس من آلام الجراح. ولذلك؛ نجد الكثير من الظالمين حينما يعيش هذه الحالة النفسية تأخذ العزة بالإثم كما دلّ عليه قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (1).

فلا يجد من الناحية النفسية غير المضى بهذا الظلم، إلا في حالة واحدة وهي تغليب العقل على النفس فيأخذ من هذه المشاهد التي يراها من أهل الخير والصالحين فيشد النفس إلى اللحاق بهم بعد التوبة والمغفرة.

### المسألة الثالثة: الجانب العسكري

في الجانب العسكري أوجد تهجد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام رعباً في نفوس الأعداء بمستوى كبير جداً؛ فقد بدا هذا الوقوف وهذا التهجد وكأنه وقعة حرب شرسة تدور رحاها على مقربة من الناظر. فهؤلاء الذين انتصبوا وقوفاً فبدوا للناظر رماحاً يزهر من أسننتها النور، هم في يوم غد تتصدع من قارعة سيوفهم القلوب المتحجرة. وهذا الدوى الآتي من هذه الشفاه التي رطبها الاستغفار، بدا للسامع قرقعة امتزج فيها صوت الأتراس حينما تصطك فوق أكتاف الفرسان وهم يجولون بخيولهم فيعلو صوت السنابك وهي تدق الصخور.

إنه مشهد تداخلت فيه الصور فاحتار الرائي والسامع بأيهما يعقل!؟

ولذلك: «انحاز من معسكر عمر بن سعد في هذه الليلة إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام اثنان وثلاثون رجلاً لما رأوا منهم هذا التهجد» (2).

1- سورة البقرة، الآيات: 205 \_\_ 206.

2- البحار للمجلسي: ج 44، ص 394، ط دار إحياء التراث العربي. اللهوف للسيد ابن طاووس: ص 57، أنوار الهدى \_\_ قم. المجالس الفاخرة للسيد شرف الدين: ص 240، مؤسسة المعارف الإسلامية \_\_ قم. العوالم \_\_ الإمام الحسين عليه السلام \_\_: ص 245. لواعج الأشجان للسيد محسن الأمين: ص 121. أعيان الشيعة: ج 1، ص 601.



## الفصل الخامس: مواضع دعاء الإمام الحسين عليه السلام

### إشارة

قبل البدء في القتال





## توطئة

تعددت مواضع دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، واختلاف المواضع يعود إلى سببين:

الأول: كثرة دعائه عليه السلام في هذا اليوم.

والثاني: تنوع الأسباب الباعثة للدعاء.

ونستظهر من ذلك أموراً عديدة:

أولاً: التجاء الإمام الحسين عليه السلام إلى الركن الشديد، والمدد الذي لا ينقطع، والسلطان الذي لا يتبدل، والقوة التي لا تقنى، وهو الله تعالى.

ثانياً: إظهاراً منه عليه السلام لدور الدعاء وآثاره الغيبية والتكوينية.

ثالثاً: تيقناً منه عليه السلام بأن الله تعالى لا يرد دعوة الداعي.

رابعاً: اعتماده عليه السلام على سلاح هو في حقيقته أقوى من العدة والعدد الذي تجمع من حوله.

خامساً: إنه في عبادة الله تعالى في جميع اللحظات ومهما اختلفت الأجواء.

سادساً: إنه عليه السلام يقدم من خلال كثرة الدعاء منهجاً تربوياً يرتكز على الإيمان بالغيب واليقين بصدق وعد الله الذى وعد به عباده الصالحين.

سابعاً: إنه عليه السلام يظهر فى ذلك شدة افتقاره إلى الله عزوجلّ على الرغم من وجود الأهل والأصحاب.

ولذلك يبدأ عليه السلام مع اللحظات الأولى لتحرك الفلك الذى يطوى ستار الظلام لينكشف يوم العاشر عن محتواه ويظهر مكنونه فىرى عليه السلام هذه الجموع المؤلفة إلى اللحظات الأخيرة التى يدير فيها طرفه إلى أهله وعياله وهو على رمضاء كربلاء، فبين هذه اللحظة وتلك فصول ومواضع عديدة للدعاء.

وفى الواقع إنها رحلة بدا فيها الدعاء لا يفارق الدموع والدماء وقرقعة السيوف وتصاكت التروس وأزيز سنابك الخيل.

رحلة كانت الأيدى ترفع فيها تضرعا، ورهبة، واستكانة، وتذللاً، لخالقها — جلّ وعلا — قبل أن ترفع فيها السيوف، والرماح والنصول؛ إنه يوم تكاد فيه العيون لا تملك القدرة على الفصل بين رفع الأيدى، وقد اختلفت فى رفعها الغايات، فبين يد ترفع للدعاء وأخرى ترفع للضراب، والآذان لم تعد تميز بين أصوات تكسر الزفرات فى الصدور، وتهشم الأضلاع، وضجيج سيدات الخدور، وصراخ الأطفال.

وبين هذا وذاك يبقى صوت الإمام الحسين عليه السلام يدور بين ألوية الجيوش المتجمعة من حوله يطوف على آذان الناس فهو للظالمين قارعة ترتعد منه فرائص الظالمين، وهو للمؤمنين سكن تغفو على ترانيمه قلوب الموقنين.

## الموضع الأول: دعاؤه عليه السلام حينما رأى الجيوش من حوله

### إشارة

من غرائب يوم عاشوراء \_\_ وما أكثرها! \_\_ أن ينتظر عمر بن سعد (1) انكشاف الظلام في صبيحة يوم العاشر ليزحف لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقر بأنه نبيه الذي شهد له بالنبوة!! إنها مفارقة عجيبة!

أما في معسكر الحسين عليه السلام فقد بدت الصورة مختلفة تماماً، فقد ذكر ابن قولويه والمسعودي أنه: (لما أصبح الحسين يوم عاشوراء وصلى بأصحابه صلاة الصبح قام خطيباً فيهم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

«إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلى في هذا اليوم فعليكم بالصبر والقتال» (2).

ثم صفهم للحرب وكانوا اثنين وثمانين فارساً ورجالاً فجعل زهير بن القين في الميمنة وحبيب بن مظاهر في الميسرة وثبت هو عليه السلام وأهل بيته في القلب (3)، وأعطى رايته أخاه العباس عليه السلام (4)، لأنه وجد قمر الهاشميين أكفأ ممن معه لحملها وأحفظهم لدمامه وأرافهم به وأدعاهم إلى مبدئه وأوصلهم لرحمه وأحماهم لجواره وأثبتهم للطعان وأربطهم جاشاً وأشدهم مراساً (5).

- 1- عمر بن سعد بن أبي وقاص.
- 2- كامل الزيارات: ص 73. إثبات الوصية: ص 139، المطبعة الحيدرية.
- 3- مقتل الخوارزمي: ج 2، ص 4.
- 4- تاريخ الطبري: ج 6، ص 241. تذكرة الخواص: ص 143، طبع الحجر.
- 5- اختلف المؤرخون في عدد أصحاب الحسين عليه السلام: الأول: أنهم اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ذكره الشيخ المفيد في الإرشاد والطبرسي في أعلام الوري: ص 142، والفتال في روضة الواعظين: ص 158، وابن جرير في التاريخ: ج 6، ص 241، وابن الأثير في الكامل: ج 4، ص 24، والقرماني في أخبار الدول: ص 108، والدينوري في الأخبار الطوال: ص 354. الثاني: أنهم اثنان وثمانون رجلاً نسبة في الدمعة الساكبة: ص 327، إلى الرواية وهو المختار. الثالث: ستون رجلاً ذكره الدميري في حياة الحيوان في خلافة يزيد: ج 1، ص 73. الرابع: ثلاثة وسبعون رجلاً ذكره الشريشي في شرح مقامات الحريري: ج 1، ص 193. الخامس: خمسة وأربعون فارساً ونحو مائة رجل ذكره ابن عساكر كما في تهذيب تاريخ الشام: ج 4، ص 337. السادس: اثنان وثلاثون فارساً وأربعون رجلاً ذكره الخوارزمي في مقتل: ج 2، ص 4. السابع: واحد وستون رجلاً ذكره المسعودي في إثبات الوصية: ص 35، طبع المطبعة الحيدرية. الثامن: خمسة وأربعون فارساً ومائة رجل ذكره ابن نما في مشير الأحزان: ص 28، وفي اللهوف: ص 56، أنه المروى عن الباقر عليه السلام. التاسع: اثنان وسبعون رجلاً ذكره الشبراوي في الاتحاف بحب الأشراف: ص 17. العاشر: ما في مختصر تاريخ دول الإسلام للذهبي: ج 1، ص 31، أنه عليه السلام سار في سبعين فارساً من المدينة.

وأقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً<sup>(1)</sup> وهي أقل الروايات وقيل غير ذلك بكثير<sup>(2)</sup>.

1- اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص70.

2- مقتل الإمام الحسين عليه السلام بحر العلوم: ص284، المجلس السادس. وجاء فيه: (قال ابن شهر آشوب أن عددهم (35 ألفاً) وفي شرح شافية أبي فراس (50 ألفاً) وفي سفينة النجاة للعيناتي (170 ألفاً) وفي تحفة الأزهار لابن شدقم (80 ألفاً) وفي هامش تذكرة الخواص (100 ألف وأكثر).

(ولما صَبَّحت الخيل الحسين بن علي عليه السلام (1)، ونظر إلى جمعهم كأنهم السيل المنحدر (2)، رفع يديه بالدعاء، فقال:

«اللهم أنت تقتي في كلِّ كَرْب، ورجائي في كلِّ شدة، وأنت لي في كلِّ أمرٍ نزل بي ثقة، وعُدَّة، كم من هِمِّ يَصِّدُّ عَفْ فيه الفؤاد، وتقلِّ فيه الحيلة، ويخدُّل فيه الصِّديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوتُهُ إليك، رغبةً مني إليك عمَّن سِواك، ففرَّجته وكشفته، فأنت وليُّ كلِّ نعمةٍ، وصاحب كلِّ حَسنةٍ، ومنتهى كلِّ رغبةٍ» (3).

مباحث الدعاء:

## المبحث الأول: الأسباب الباعثة للدعاء

### إشارة

إن كثرة مواضع دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء يستلزم الوقوف عند الأسباب الباعثة لكل دعاء كي نتعرف على مضامين هذه الأدعية وآثارها.

أما هذا الدعاء فينفرد من بين الأدعية في هذا اليوم بكثرة الأسباب الباعثة لصدوره عن حجة الله تعالى على خلقه، فكانت كالاتي:

### أولاً: وقت الدعاء

إن تحرك الجيوش المعادية لحرب الإمام الحسين عليه السلام في ساعات الفجر الأولى كما بيّن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام من خلال قوله:

1- الإرشاد للمفيد: ج2، ص96. تاريخ الطبري: ج4، ص321.

2- مقتل الإمام الحسين عليه السلام لبحر العلوم: ص295. مقتل الحسين عليه السلام، للمقرم: ص236.

3- الإرشاد للمفيد: ص96. مستدرک الوسائل للنوري: ج11، ص112. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج45، ص4. العوالم للبحراني: ص248.

«لما صبّحت الخيلُ الحسين».

أى أنه عليه السلام أول شيء استصبح به في يوم عاشوراء هو هذه الخيل فإنه عليه السلام استقبلها برفع يديه للدعاء.

### ثانياً: آثار الدعاء في وقت الصباح

إن من أسباب الدعاء الباطنية، هي أن الساعة التي تحرك فيها العدو وزحف نحو الحسين عليه السلام كان قبل الشروق، وهذه الساعة هي ساعة الإجابة.

وقد دلت على هذه الآثار نصوص كثيرة منها:

1 \_\_ قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ (1).

2 \_\_ روى البرقي رحمة الله عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«من كبر الله مائة تكبيرة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها كتب الله له من الأجر كأجر من أعتق مائة رقبة» (2).

3 \_\_ روى الصفار رحمة الله عن أبي حمزة الثمالي، عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«يا أبا حمزة لا تنامَنَّ قبل طلوع الشمس فإنني أكرهها لك، إن الله تعالى يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد، وعلى أيدينا يجريها» (3).

1- سورة طه، الآية: 130.

2- المحاسن للبرقي: ج 1، ص 36.

3- بصائر الدرجات للصفار: ص 363.

4— روى الشيخ الكليني رحمة الله عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام فى قول الله تعالى:

<وَوَضَّلَهُمْ بِالْعُدْوِ وَالْأَصَالِ>(1).

فقال عليه السلام:

«هو الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وهى ساعة إجابة»(2).

5— وعنه رحمة الله أيضا، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إن الدعاء قبل طلوع الشمس وقبل غروبها سنة واجبة»(3).

ولذا.. جمع عليه السلام بين هذه الآثار الغيبية وأضاف إليها خصوصية دعائه من حيثية أنه لا ترد له دعوة لكونه حجة الله على خلقه، وكأنه ثبت نتائج هذا اليوم وأركان مجرياته من خلال المعانى التى حملتها كلماته، وهو ما سنعرض له فى المباحث الآتية.

### المبحث الثانى: بحث سايكولوجى (نفسى)

#### الثقة عامل نفسى تتوقف عندها الهزيمة والنصر

قال عليه السلام:

اللهم أنت تفتى.

تعرف الثقة عند أهل اللغة بأنها مأخوذة من (الوثق) وهو مصدر قولك وثق به يثق، بالكسر فيهما.

1- سورة الرعد، الآية: 15.

2- الكافى للشيخ الكلينى: ج2، ص522.

3- الكافى للشيخ الكلينى: ج2، ص532.

وثيقة وثقة: ائتمنه، وأنا واثق به وهو موثوق به.

والوثيقة، مصدر الشيء الوثيق المحكم، والوثاق: اسم الإيثاق.

والجبل أو الشيء الذي يوثق به وثاق(1).

ويقال: استوثقت من فلان وتوثقت من الأمر إذا أخذت فيه الوثيقة؛ وأخذ الأمر بالأوثق، أى: الأشد الأحكم(2).

ومن هنا: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام بدأ في أول خطوة في يوم الطف هو الأخذ بالأمر الأوثق والأشد والأحكم وهو الله جل جلاله.

وفي جو الحرب وهو أشد أنواع الكروب في الحياة بسبب تعدد أنواع الضرر من الأسر إلى الإصابة بالجروح المختلفة، إلى الإعاقة بفعل فقدان عضو من الأعضاء أو الحواس، أو أن ينتهي الأمر بالإنسان إلى الوفاة وقد يختلف نوعها حسب طبيعة السلاح ونوعه والمكان والأفراد.

ناهيك عن تعرض الإنسان إلى الانفعالات النفسية المختلفة من الخوف والفرع والضعف والرعب وفقدان الخاطر وتلجج اللسان وارتعاد الفرائص وغيرها.

هذه الانفعالات النفسية تدفع بالإنسان إلى التشبث بأى وسيلة للنجاة أو على الأقل التخفيف من الضرر أو دفع الخطر، حتى وإن كانت هذه الوسيلة عند البعض من القادة في مثل هذه الظروف دفع المقاتلين للمواجهة، أو

1- لسان العرب لابن منظور، مادة (وثق): ج10، ص371.

2- المصدر السابق.



الترس بالنساء والأطفال أو تقديم الأسرى كدروع بشرية سواء أكانوا من العدو المقاتل أم غيرهم كالمدنيين إذا اشتد الخطر، أى تقديم أهل البلد الذى ينتمى إليه هذا القائد أو ذاك المحارب.

أو لعل البعض من القادة يلتجئ من أجل دفع الهزيمة أو إحراز النصر فى استخدام أبشع الطرق وأخس الأساليب لغرض تحقيق هدفه.

والسبب فى هذه الحالات المتعددة هو: (الثقة) لأنها حالة عقلية لا يمكن قياسها مباشرة بالاعتماد على الإحساس وإنما من خلال التصرف، فهو الذى يكشف عن حجم اعتماد الإنسان على الأمر الذى وثق به.

والثقة تدور مدار الإفراط والتفريط فى النفس فتندفع للوقوع فى تلك الانفعالات والاضطرابات السلوكية، فالإفراط بها يؤدى إلى الغرور والاستدراج، كمن يثق بالدنيا، أو بالقوة البدنية، أو المال، وكلها قابلة للتغير؛ والتفريط بها يؤدى إلى التراجع والتعثر، وضياع الهدف، وقتل الطموح، وفى جميع ذلك تتوقف النتائج على الأمر الذى نثق به.

والسؤال المطروح هو: من أين تبدأ الثقة وبمن نثق، وهل الثقة بالنفس كافية للخروج من المآزق أو نيل المقصود؟.

بالطبع لا يمكن أن يتخذ الإنسان من النفس مصدرا للتحرك، فكم من امرئٍ وقع فى شباك الثقة بنفسه فأدى به الحال إلى الغرور، والتهور، والتعجر، والاستهزاء بالآخر، وعدم الثبت من المعطيات، لتكون النتائج فى كل ذلك وبالاً على صاحبها.

وكم من واثق بماله فيدفعه هذا الشعور إلى التعالي، والظلم، والخسران، بل وكم من واثقٍ بسلطانه فينتهي به الحال إلى الزنزانة أو القتل، وغيرها من مجالات الحياة التي تختلف فيها موارد التثبيت والوثاقة.

إذن: ما هو المقياس في حالة الثقة؟

المقياس والضابطة: هو التفريق بين الأشياء الثابتة والمتغيرة، فالمال متغير، والسلطان متغير والصحة والعافية متغيرة، والصدقة متغيرة، والعلاقة الاجتماعية متغيرة، سواء أكانت فردية أم أسرية، لأن الثابت فيها هو ما بنى على الإيمان بالله عز وجل.

ولو كانت هذه الأمور قابلة للتثبيت لما وضع الله تعالى أحكاماً وتشريعات ابتداءً من العلاقة الزوجية ثم الوالدية، ثم القرابية، ثم العشائرية، ثم العلاقة داخل المجتمع كالجوار، والصدقة، وجلسات التحاور، والتذاكر، وعقود المعاملات القائمة بين الناس، كلها وضع الله لها تشريعاتها لأنها من المتغيرات.

ولكونها كذلك صار الحكم الشرعي هو الثابت والضابط والمقياس الذي يعود إليه الناس لتعديل مسارهم الحياتي، وأسلوبهم المعاملاتي سواء الفردي أو الجماعي.

ومن هنا:

خلصت الدراسات العلمية الحديثة في مجال الصحة النفسية إلى أن الثقة تبدأ مع الإنسان منذ الرضاعة وإن الله تعالى قد جعل لها هارموناً في عقل الأم ينزل إلى الرضيع من خلال الرضاعة.

بل قالوا: (إن الرضاعة في حد ذاتها قائمة على الثقة بين الأم ووليدها، وإن الرضيع عندما يبدأ في مص الحليب من ثدى أمه، تنطلق سلسلة متصلة من العمليات في دماغ الأم تؤدي إلى نشوء هرمون الثقة.

وقال فريق العمل في جامعة ووردريك الذي أنجز البحث إنَّ الهرمون المسمَّى (أولسيتوسن) كان معروفاً أنه عند إطلاقه في الدم يسبب في انسكاب الحليب من الغدة الثديية. لكن ما لم يكن معروفاً أنه عند إطلاق الهرمون (أوكسيتوسين) في الدماغ فإنه يساعد على تعزيز الرابطة بين الأم والرضيع من خلال الثقة التي تنشأ بين الطرفين.

وينشأ الهرمون في جزء الدماغ المسؤول عن التحكم في حرارة الجسم والعطش والجوع والغضب والتعب.

وخلص فريق البحث إلى أن الهرمون المذكور يفرز مشاعر ثقة الرضيع في أمه واتكاله عليها، فضلاً عن تقليص خوفه من العالم الجديد الذي وفد إليه(1).

ولذلك؛ أصبح العالم اليوم يعيش أزمة ثقة بسبب استغناء الأمهات عن الرضاعة الطبيعية فينشأ الإنسان وهو محروم من عامل نفسى مهم وهو الثقة ولا يعرف كيف ينميه في نفسه، بل حتى لا يعرف مفهوم الثقة، وكيف له أن يثق بنفسه أو بغيره من الأشياء التي يتعامل معها.

ناهيك عن فقدان ثقافة الثبات والمتغير في الحياة، أى فقدان معرفة تطبيق الحكم الشرعى، أو الجهل به أصلاً مما يؤدي إلى تلك الانفعالات النفسية والاضطرابات السلوكية التي تنتهى في الغالب إلى الفشل والدمار.

وفى خضم هذه المفاهيم الحياتية تبقى مدرسة عاشوراء مصدرا للمعرفة والتعلم ونشر ثقافة الحياة، إذ لا يخفى على أهل المعرفة ما للحرب من أجواء نفسية معقدة، وما لها من آثار خطيرة لا يسع البحث إيرادها، مع ما تحمل واقعة كربلاء من خصوصية خاصة من حيث الأجواء العسكرية التي أحاطت بسيد شباب أهل الجنة عليه السلام، وهو موقن أن هؤلاء الذين تجمعوا من حوله عازمون على قتله، وقتل أبنائه وأطفاله وأخوته وأصحابه وتسليب بنات الرسالة المحمدية.

إنها أجواء انفردت بها واقعة الطف على مر العصور، فماذا أعد لها سيد الشهداء عليه السلام من عدة الثقة؟! وبمن استوثق؟.

إنّ جواب السؤال بات معروفا لكثير من أهل المعرفة، إلا أن الفارق في بيانه هو أن الإمام الحسين عليه السلام ابتداءً بعامل الثقة في أول عدته لهذه الحرب الطاحنة، فكيف هي الثقة عنده؟.

بمعنى آخر للسؤال هل وثق بالمال، أم بالأهل، أم بالأصحاب، أم بصحته، أم بمهارته في القتال وإتقانه فنون الفروسية فهو ابن علي بن أبي طالب عليه السلام، فضلاً عن انه إمام معصوم مما يستلزم احرازه لجميع الكمالات التي يحتج بها على المكلف يوم القيامة. ومن البديهي أن أهل بيته هم خير أهل بيت وأوصل، وأن أصحابه أوفى الأصحاب وأبرهم إلا أن السؤال ماذا أعد له ولهم في هذه الحرب وبماذا استوثق؟

وبمعنى آخر: إنّ الأهل والأصحاب هم في دائرة المتغير فقد فدوه بأنفسهم ورحلوا إلى ربهم فبماذا استوثق أبو عبد الله عليه السلام؟! سؤال هو يجيب عليه — بأبي وأمي —، قائلًا:

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب».

هنا يظهر الإمام صلوات الله وسلامه عليه الأمر الثابت الذى لا يتغير وهو الله عزوجل، فهو ثقته فى كل كرب وليس فى هذا الوقت، بل فى كل كرب حدث قبل هذا الكرب أو سيحدث بعده \_\_ كما سيمر علينا \_\_، فالثابت فى كل ذلك هو الثقة بالله عزوجل.

والسؤال المطروح هو: لماذا كانت ثقة الإمام الحسين عليه السلام بالله تعالى دون غيره من الولد والأهل والأصحاب مع مالهم من الخصوصية الخاصة والتفرد فى منحهم الثقة لسيد الشهداء عليه السلام؟ ثم بماذا تختلف ثقة الإمام الحسين عليه السلام بالله تعالى عن ثقتنا به جلت قدرته؟.

والجواب: هو التوكل.

فالتوكل عند الإمام الحسين عليه السلام هو الثقة بالله وحده لا شىء معه، والتوكل عندنا هو التعلق بالأسباب بالولد والأهل والأقارب والأصحاب والعشيرة والمال والسلاح وفنون القتال، و... و... و... وما أكثرها! فهذه الأسباب هى سواء عند سيد الشهداء عليه السلام فى وجودها وفقدائها وجلانها وخفائها، ولا يبقى منها سوى الغريزة الإنسانية المتمثلة بالأبوة والأخوة والصحبة، ولذا بكى عليهم أشد البكاء لأنه مثال الإنسانية وعنوان وجودها.

فالتواصل مع هذه الروابط طريق لدوام الإنسانية وليس لغرض الإنكال عليها والاستغناء بها، فهاهم قد رحلوا عنه \_\_ بأبى وأمى \_\_ وبقي وحيدا على من يعتمد بعدهم، وبمن كان يعتمد قبلهم؟ إته الله تعالى.

والعلة فى ذلك هو حقيقة التوكل التى تحملها الذات الحسينية المشرفة.

ولذلك: نجده عليه الصلاة والسلام يظهر لنا فى مدرسة عاشوراء عامل الثقة

بالله ودوره في الهزيمة والنصر في جميع مجالات الحياة، فيعيد بيانه في دعائه مرتين؛ فيقول:

«اللهم أنت تفتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بين ثقة وعدة»(1).

وفي ذلك يقول العلامة الطباطبائي قدس سرّه: (إن معنى التوكل على الله أنه ليس اعتماداً عليه سبحانه بإلغاء الأسباب الظاهرية بل سلب الاعتماد القطعي على الأسباب الظاهرية لأن الذي يبدو للإنسان منها بعض يسير منها دون جميعها، والسبب التام الذي لا يختلف عن مسببه هو الجميع الذي يحمل إرادته سبحانه).

فالتوكل هو توجيه الثقة والاعتماد على الله سبحانه الذي بمشيئته تدور رحى الأسباب اللائحة عليه من غير أن يلغى شيئاً منها فيركب مطية الجهل(2).

وعليه؛ ما هو طريق تحصيل الثقة؟

حينما ظهر أن الثقة تنمو في النفس وتؤدي دورها من خلال حسن التوكل على الله عزوجلّ لزم من ذلك معرفة طريق تحصيل التوكل، والذي يمكن معرفته من خلال النقاط الآتية التي خلص إليها العلامة النراقي قدس سرّه:

1\_\_ بعد تقوية التوحيد والاعتقاد بأن الأمور بأسرها مستندة إليه سبحانه، وليس لغيره مدخلة فيها، أن يتذكر الآيات والأخبار المذكورة الدالة على فضيلته ومدحه، وكونه باعث النجاة والكفاية.

1- الكافي للشيخ الكليني: ج2، ص579.

2- تفسير الميزان: ج9، ص177.

2\_\_ أن يتذكر أن الله سبحانه خلقه بعد أن لم يكن موجودا وأوجده من كتم العدم، وهياً له ما يحتاج إليه، وهو أرفأ بعباده من الوالدة بولدها، وقد ضمن بكفايته من توكل عليه، فيستحيل أن يضيعه بعد ذلك ولا يكفيه مؤونته ولا يوصل إليه ما يحتاج، ولا يدفع عنه ما يؤذيه، لتقدسه من العجز والنقص والخلف والسهو.

3\_\_ كما ينبغي له أن يتذكر الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول الأرزاق إلى صاحبها، وفي دفع البلايا والأسوء عن بعض عبده، والحكايات التي فيها عجائب قهر الله في إهلاك أموال الأغنياء وإذلال الأقياء وكم من عبد ليس له مال وبضاعة ويرزقه الله بسهولة، وكم من ذى مال وثروة هلكت بضاعته أو سرقت وصار محتاجاً، وكم من قوى صاحب كثرة وعدة وسطوة صار عاجزاً ذليلاً، بلا سبب ظاهر، وكم من ذليل عاجز صار قويا واستولى على الكل، ومن تأمل في ذلك، يعلم أن الأمور بيد الله فيلزم الاعتماد عليه والثقة به.

4\_\_ والمناطق: أن يعلم أن الأمور لو كانت بقدرة الله سبحانه من غير مدخلية للأسباب والوسائط فيها، فعدم التوكل عليه سبحانه \_\_ والثقة بغيره غاية الجهل، وإن كانت لغيره سبحانه من الوسائط والأسباب مدخلية فالتوكل من جملة أسباب الكفاية وإنجاح الأمور، إذ السمع والتجربة شاهدان بأن من توكل على الله وانقطع إليه كفاه الله كل مؤونة.

فكما أن شرب الماء سبب لإزالة العطش، وأكل الطعام سبب لدفع الجوع، فكذا التوكل سبب رتبه مسبب الأسباب لإنجاح المقاصد وكفاية الأمور، وعلامة

حصول التوكّل، ألا يضطرب قلبه، ولا يبطل سكونه بفقد أسباب نفعه وحدوث أسباب ضره.

فلو سرقت بضاعته، أو خسرت تجارته، أو تعوق أمر من أموره، كان راضياً به، ولم تبطل طمأنينته، ولم تضطرب نفسه، بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً، فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب بفقده، ومن اضطرب لفقد شيء سكن إليه واطمأن به (1).

إذن:

ميزان الثقة في النفس وفي الآخر هو الله سبحانه وتعالى فمتى ما عظم إيماننا بالله وأيقنا بأنه مسبب الأسباب ومهيئ السبل وبيده مقادير الحياة والموت، والغنى والفقر، والصحة والمرض، عرفنا كيف نتعامل مع أنفسنا ومع من حولنا، وعرفنا كيف نبني الحياة ونحدد المستقبل، لأن المستقبل خاضع للمقدمات، ومداره مدار التوكّل على الله تعالى.

وأيقنا أن الفشل والنجاح، والهزيمة والنصر، تنبع من معرفتنا بأنفسنا، ومواطن ضعفها وقوتها، ومحاسنها ومساوئها، وطرق تقويمها، ففاقد الشيء لا يعطيه لغيره وفاقد الإيمان بالله لا يعطى الثقة لنفسه ولا لأحد من حوله، ومصيره دائماً الهزيمة والفشل.

ولذا نراه مضطرباً ومتردداً يحيطه الخوف ويؤزّقه الحذر، وما ذاك إلا لاختلال التوكّل على الله تعالى.



## المبحث الثالث: مبحث أخلاقي

### إشارة

آداب الخطاب مع الله تعالى وأثر ذلك في السلوك الإنساني

### المسألة الأولى: تقديم ذكر النعم قبل عرض الحاجة

من المباحث التي اكتنزهها الدعاء الأول لسيد الشهداء عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء هو آداب الخطاب مع الله تعالى، والتي تبنى على قاعدة:

(تقديم ذكر نعم المولى والافتقار إليه قبل عرض الحاجة).

وهذه القاعدة الأخلاقية في مجال الخطاب مع الله تعالى كثيرا ما ركزت عليها مدرسة العترة الطاهرة عليهم السلام ولاسيما مدرسة عاشوراء بوصفها جمعت أصعب عوامل البقاء والموت، وأدق مواطن التعرض للحاجة، وطلب العون، والنصرة.

وهذه الأجواء الخاصة والحيوية أفرزت الكثير، الكثير من الدروس الأخلاقية والتربوية في مختلف المجالات الحياتية والروابط الإنسانية.

وحيث إن الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته كانوا نموذجا عمليا لتعاليم السماء، فإن طلب الحاجة وعرض المسألة على الله تعالى يحف به عدد من الآداب التي أظهرتها كلمات الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء، لاسيما وأن هذا التأدب المحمدي النبوي في عرض المسألة وطلب الحاجة من الباري عزّ شأنه، هو عينه خلق النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما دعا بهذه الكلمات في خروجه إلى الطائف وتلقيه الحجارة.

أما مظاهر هذه الآداب، فمنها:

أولاً: إن الإمام الحسين عليه السلام بيتدئ دعاءه بلفظ «اللهم» ولم يقل يارب؟!.

والفرق بينهما هو رتبة التوحيد، فالرب يمكن أن يكون من مصاديق الوالد والمربي والملك كما في قوله تعالى:

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ (1).

في حين كان مصداق لفظ (اللهم) هو الخلوص في إظهار العبودية لله عزوجل، وأنه المالك لهذه النفس والمتصرف بها؛ وأنها العائدة إليه، وأنها أى هذه اللفظة مظهر جلي للإقرار بالإلوهية لله تعالى.

ولذلك يبدأ عليه الصلاة والسلام بالإقرار بالعبودية والفردانية لله عزوجل والافتقار إليه وأنه لا حول ولا قوة له إلا به جلت قدرته، وأنه متوكل عليه وموضع عدته وعونه وثقته.

ثانياً: أن تقديم الافتقار إلى الله تعالى على الحاجة في هذا الدعاء يشتمل على ثلاثة مظاهر من مظاهر الافتقار إلى الله تعالى وهي: قبل الدخول في عرض الحاجة؛ ومع الدخول في طلب الحاجة؛ وبعد ذكرها.

فقال عليه السلام في القسم الأول:

«اللهم»، «أنت ثقتي»، «في كل كرب»، «ورجائي في كل شدة»، «وأنت لي»، «في كل كرب»، «ثقة وعدة»، فهنا يقدم عليه السلام الإقرار بالربوبية، والافتقار إلى الله تعالى، قبل عرض حاجته.

القسم الثاني: وهو تقديم الافتقار إلى الله تعالى مع عرض الحاجة في سياق واحد، فقال عليه السلام:

«كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيل، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو»، «أنزلته بك وشكوته إليك»، «رغبة منى إليك  
عمن سواك»،

فيكون السياق في عرض الحاجة والافتقار إلى الله تعالى في نسق واحد.

القسم الثالث: توسط الحاجة بين عرض الافتقار إلى الله تعالى، فقال عليه السلام في مقدمة دعائه:

«اللهم أنت ثقتي، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة».

ثم يذكر حاجته ثم يختم بقوله:

«فكشفته وفرجته» أي لأنك القادر على ذلك، ولأنك \_\_ سبحانه \_\_ «ولي كل نعمه»، «وصاحب كل حسنة»، «ومنتهى كل رغبة». كانت جميع حاجتي مقضية، وادعيتي مستجابة، ورغباتي محققة، وأمانى منجزة.

فيكون الدعاء الأول هو البوابة التي يفتحها الإمام الحسين عليه السلام للانتقال منها إلى حرم القداسة ومحل نزول الفيض الإلهي، والعروج إلى:

<مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ> (1).

في جوار جده وأبيه وأمه وأخيه صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

## المسألة الثانية: الخوف والرجاء ودورهما في تقويم السلوك

### إشارة

إن من الحقائق العلمية في علم السلوك هو تعرض النفس في مواقف الشدة إلى الاضطراب في السلوك، وذلك لأن السلوك حصيلة تفاعل  
فسيولوجي \_\_ نفسي \_\_ بيئي مستمر.

وحيث إننا بحاجة إلى فهم سلوكنا والوقوف عند انفعالاتنا ومعاملتنا مع أنفسنا ومع من حولها، أفرادا ومكانا، فإننا لابد لنا من الوقوف مليا فى مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتأمل فى تلك العلوم الجملة التى زخرت بها هذه المدرسة لأجل أن نتعلم كيف نكون متخلقين بأخلاق سيد النبيين صلى الله عليه وآله وسلم.

ولعل ثمة سؤالاً يتصدر هذا المبحث الأخلاقى والنفسى، مفاده: ما هو السلوك؟.

وفيه قال أهل الاختصاص: (السلوك الإنسانى: يعنى التفسير السيكولوجى للتصرفات، الأفعال أو الاستجابات، مع إيجاد تلك العمليات السيكولوجية وتسميتها والسمات أو حالات الإنسان التى تشكل سببا لهذا السلوك.

ويمكن مثلا تفسير سلوك الإنسان فى موقف ما حسب مقاصده ومشاعره، وميولاته، كما ويمكن فهم استجابات الإنسان إلى الإشارات فى المحيط الفيزيائى بشكل مختلف انطلاقا من حاجاته فى لحظة الاستجابة، وتكيفه لنمط سلوك معين، وحالة الجهاز العصبى، والخصائص النوعية لهذه الإشارات(1).

كما أن لأجهزة الجسم مدخلية كبيرة فى السلوك الإنسانى، إذ (يتوقف السلوك على الفروق البنيوية فى مختلف أجهزة الجسم وعلى مستوى الفعالية الخاصة بهذه البنية أو بتلك.

فيعمد ذوو الطاقة القوية إلى تفريغ التوتر بالفعالية العصبية العضلية، ويميل ذوو الطاقة المنخفضة إلى تفريغ توترهم بالتخيل والتفكير، وشأن الرضيع فى ذلك شأن الراشد(2).

1- مبادئ علم النفس للدكتور محمد بنى يونس: ص 69، 70.

2- علم الاضطرابات السلوكية للدكتور ميخائيل أسعد: ص 55.

ويمكن أن يكون التفسير العلمى للسلوك أحادى الجانب \_\_ أى إظهار سبب أو عدة أسباب ممكنة للسلوك \_\_ وعديد الجوانب يتضمن إظهار الأسباب الممكنة كافة لسلوك الإنسان، كما يمكن أن يكون التفسير العلمى للسلوك أحادى المستوى، فمثلا يمكن أن يصل التفسير الفسيولوجى للسلوك إلى مستوى العمليات البيوكيميائية فى الخلية، أو يمكن أن يقتصر على مستوى العمليات المتعلقة بالآليات العامة لعمل الجهاز العصبى، أو يقتصر فقط على قوانين قشرة الدماغ للإنسان ووظائفها.

بعبارة أخرى فإن التفسير الفسيولوجى للسلوك يمكن أن يكون على مستوى الجهاز العصبى أو يصل إلى مستوى أعضاء الجهاز العصبى، ويمكن أن يتغلغل ويتعمق ليصل إلى مستوى الخلية العصبية، وكلما كان التفسير الفسيولوجى للسلوك على المستوى الخلوى فما دون، كلما كان التفسير أكثر علمية وشمولية ودقة.

أما بالنسبة للتفسير السيكولوجى للسلوك فيمكن أن يكون على مستوى العمليات المعرفية الواعية أو على مستوى اللاوعى، أى على مستوى الدوافع والحاجات الواعية واللاواعية(1).

وفى ضوء ما ذكر سابقا يمكن تعريف السلوك لمفهوم معقد بأنه: يوجد لدى الكائنات الحية كافة، لكن بدرجات وأنواع مختلفة، ويشتمل على دورة مستمرة ومتكاملة من التفاعلات المتبادلة الوثيقة ما بين الكائنات الحية والإشارات المختلفة فى شدتها وطبيعتها فى الواقع الموضوعى، والتي لا يتم تحقيقها فى الحيوانات الراقية

عامّة والإنسان خاصة إلا بمشاركة جهاز المحللات وجهاز الأفراد الداخلى أو هو عبارة عن تفاعل دائم بين المدخلات (البيانات) الحسية + جهاز المحللات وجهاز الأفراد الداخلى يتم فيها الإجراءات أو المعالجة الكاملة (تحليل وتركيب) للبيانات الحسية والتي تؤدي إلى مخرجات (معلومات) أو استجابات متنوعة (معرفية، فسيولوجية، نفسية، انفعالية، حركية، لفظية... الخ).

إذ يمكن القول بأن السلوك عبارة عن تفاعل متبادل دائم بين الذات + الموضوع(1).

ومن هنا: فإن تفاعل الذات مع موضوع الشدة، التي تكون أبرز مظاهرها لدى الإنسان في الحرب بسبب المساحة الواسعة التي يشغلها الفكر في التوقعات التي تصل غالباً إلى درجة حتمية الوقوع والتعرض للضرر مع تعدد أنواعه وحجمه.

كيف للإنسان أن يضبط سلوكه وهو يتعرض لتلك المؤثرات والعمليات المختلفة في النفس، وما هي الضابطة العقلية والروحية والنفسية التي يستند إليها الإنسان في تقويم سلوكه في هذه المواقف التي يظهر فيها خبايا نفسه وما تحمله من مكونات أخلاقية موروثه ومكتسبة!؟.

وعليه:

لابد من الرجوع إلى يوم الطف والتعلم من سيد الشهداء عليه السلام هذا الدرس المعرفي والتطبيقي في علم النفس والأخلاق والسلوك، وذلك من خلال دعائه الأول الذي استقبل به جموع الجيوش الكثيرة.

قال عليه السلام:

«اللهم أنت تفتى في كل كرب، ورجائي في كل شدة».

وهنا يشير الإمام الحسين عليه السلام إلى دور الرجاء في تقويم السلوك وضبط النفس في مواطن الشدة، فما هو الرجاء وكيف له أن يقوم السلوك ويضبط النفس الإنسانية؟.

بالطبع \_\_ وحسب منهج القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة عليهم السلام \_\_ لا يستقيم أثر الرجاء على النفس والسلوك بدون الخوف.

وقد قدم الإمام الخوف \_\_ كما هو النهج القرآني \_\_ على الرجاء في دعائه بشكل مستتر، أي لم يأت بلفظ الخوف كما هو الحال بالنسبة للرجاء فقد جاء مباشرة وظاهراً، فلاحظ: «ورجائي في كل شدة». والسبب في ذلك \_\_ أي في إخفائه لعامل الخوف في ملازمته للرجاء في ألفاظ الدعاء \_\_ هو: أن الإمام الحسين عليه السلام في هذا الموقف \_\_ موقف القائد المحارب \_\_ لا ينبغي له إظهار الخوف حتى ولو في دعائه وتضرعه إلى الله تعالى لحكمة بالغة يمكن الوقوف عندها من خلال النقاط الآتية:

1 \_\_ كونه القائد للجيش فإن ذلك يلزمه باخفاء كل ما من شأنه أن يحرك الإحساس بالخوف لدى جنده وأتباعه، حتى ولو كان من خلال الدعاء، لما له من أثر سلبي على التعبئة العامة \_\_ وبالطبع \_\_ نحن نتحدث من المنظور العسكري لا العقائدي، إذ كونه حجة الله يدفع عنه جميع النواقص فلا- ترهبه كثرة الجيوش كما لا تزيد كثرة الناس الذين حوله عزة ولا تفرقهم عنه وحشة لانقطاعه إلى ربه(1)، ولذلك لم يذكر الخوف كمفردة في دعائه.

---

1- وهو ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «لا تزيدني كثرة الناس حولي عزة ولا تفرقهم عني وحشة»، المزار، الشهيد الأول: ص72.

2\_ ولأن من يسمع الدعاء هم أهل بيته وفيهم النساء والأطفال فإن ورود لفظ (الخوف) في الدعاء يؤثر على المشاعر ويحرك الإحساس بالخوف لديهم، ناهيك عن الحزن الذي يتركه هذا اللفظ على قلب العقيلة زينب عليها السلام التي أغمى عليها ليلة العاشر حينما سمعتها عليها السلام ينعى نفسه فيقول:

يا دهر أفٍ لك من خليلٍ

كم لك بالإشراق والأصيل (1)

3\_ ولأن الأعداء لو سمعوا هذه المفردة يستعملها الإمام في دعائه لظنوا أنه خائف وأنهم حققوا تقدماً في كثرة الجيوش التي زحفت إليه وأحاطت به من كل جانب فيزداد معها شعور الثقة بالنفس وما يترتب عليه من آثار في سير المعركة، ولذا لم يمكنهم عليه السلام من هذه الظنون، وهو القائد الخبير بشؤون الحرب والنفس.

ولذلك عمد الإمام الحسين عليه السلام إلى إيراد الخوف كمقوم للسلوك الإنساني مستتراً وقد دلت عليه الهيئة النبوية للفظ (الثقة) بلحاظ أنها \_\_ أي الثقة \_\_ نتيجة عقلية ونفسية لحالة الاطمئنان، بل إن الاطمئنان باب لولوج الثقة إلى النفس وبعكسها أي الخوف الذي هو ضد الاطمئنان ينعلم استحصال الثقة.

ولأن الله تعالى هو المقصود بالخوف والرجاء فإن الثقة حاصلة ونافذة لدرجة السكينة التي هي فوق رتبة الاطمئنان عند الإمام الحسين عليه السلام.

إذن: يسلك المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام مسلك الخوف والرجاء في تقويم السلوك الإنساني في الكرب والشدة فكيف نعى دورهما وآثارهما على السلوك؟ هذا ما سنعرض له في النقاط الآتية:



**أولاً: معنى الخوف والرجاء**

قال اللغويون: إن الخوف هو الفزع(1)، والحذر(2)، وإن الرجاء هو: تقيض اليأس(3)، وهو من الأمل(4).

بهذا يكون الإنسان فى سلوكه بين الفزع والحذر، والأمل، ولكن كيف تكون مصاديق هذه المعانى عند علماء الأخلاق؟.

قالوا:

(إنّ الخوف: هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال مشكوك الوقوع، فلو علم أو ظن حصوله سمي توقعه (انتظار مكروه)، وكان تألمه أشد من الخوف، وكلامنا فى كليهما، وفرقه عن الجبن ظاهر، فإن الجبن هو سكون النفس عما يستحسن شرعا وعقلا من الحركة إلى الانتقام أو شىء آخر، وهذا السكون قد يتحقق من غير حدوث التألم الذى هو الخوف، مثلا من لا يجترئ على الدخول فى السفينة أو النوم فى البيت وحده أو التعرض لدفع من يظلمه ويتعرض له يمكن اتصافه بالسكون المذكور مع عدم تألم بالفعل، فمثله جبان وليس بخائف، ومن كان له ملكة الحركة إلى الانتقام وغيره من الأفعال التى يجوزها الشرع والعقل ربما حصل له التألم المذكور من توقع حدوث بعض المكاره، كما إذا أمر السلطان بقتله، فمثله خائف وليس بجبان.

1- لسان العرب لابن منظور: ج 9، ص 99.

2- مجمع البحرين للطريحي: ج

3- كتاب العين للفراهيدى: ج 6، ص 176.

4- لسان العرب لابن منظور: ج 14، ص 309.

ثم الخوف على نوعين:

(أحدهما) مذموم بجميع أقسامه، وهو الذى لم يكن من الله ولا من صفاته المقتضية للهيبة والرعب، ولا من معاصى العبد وجنباياته، بل يكون لغير ذلك من الأمور التى يأتى تفصيلها(1)، وهذا النوع من رذائل قوة الغضب من طرف التفريط، ومن نتائج الجبن، و(ثانيهما) محمود وهو الذى يكون من الله ومن عظمته ومن خطأ العبد وجنبايته، وهو من فضائل القوة الغضبية، إذ العاقلة تأمر به وتحسنه، فهو حاصل من انقيادها لها(2).

والرجاء هو: (ارتياح القلب لانتظار المحبوب، وله إفراط وتفريط، فتفريطه اليأس، وإفراطه الأمن وهو مع الخوف خاطران يردان على القلب من دون تعمل للعبد فيهما فلا تكليف فيهما إلا فى مقدماتهما وهى الأسباب الموصلة إليهما، وكلما خطر بالبال من مكروه أو محبوب فإما أن يكون موجودا فيما مضى من الزمان ويسمى الذكر والتذكر، أو فى الحال ويسمى الوجد والذوق، أو فى المستقبل ويسمى الانتظار والتوقع، فإن كان محبوبا عنده حصل من انتظاره وتعلق القلب به وأخطار وجوده بالبال نشاط وفرح وهو الرجاء فإن كان مكروها حصل منه انقباض وغم وهو الخوف.

فالرجاء والخوف مبيان على انتظار ما يستقبل، فالمستغرق بذكره تعالى المشاهد لجمال الحق على الدوام يفقدهما لكونه ابن الوقت الحاضر لا التفات له إلى المستقبل لشغفه بوجده وذوقه(3).

- 
- 1- للإحاطة بهذه الأمور أنظر: جامع السعادات، مبحث الخوف.
  - 2- جامع السعادات للنراقى: ج 1، ص 243، 244.
  - 3- التحفة السننية لعبد الله الجزائرى: ص 68.

## ثانياً: التلازم بين الخوف والرجاء

لقد مرّ آتفاً: (أن الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار المحبوب، وهو يلازم الخوف؛ إذ الخوف \_\_ كما عرفت \_\_ عبارة عن التألم من توقع مكروه ممكن الحصول، وما يمكن حصوله يمكن عدم حصوله أيضاً، وما كان حصوله مكروهاً كان عدم حصوله محبوباً، فكما أنه يتألم بتوقع حصوله يرتاح ليتوقع عدم حصوله أيضاً، فالخوف من الشيء وجوداً يلزمه الرجاء عدماً، ومنه عدماً يلزمه الرجاء وجوداً.

وقس عليه استلزام الرجاء للخوف، فهما متلازمان، وإن أمكن غلبة أحدهما نظراً إلى كثرة حصول أسبابه.

وإن تيقن الحصول أو عدمه لم يكن انتظارهما خوفاً ورجاءً، بل سمي انتظاراً مكروه أو انتظاراً محبوباً.

ثم كما أن الخوف من متعلقات قوة الغضب، وأن الممدوح منه من فضائلها، لكونه مقتضى العقل والشرع، وباعثاً للعمل من حيث الرهبة، فكذا الرجاء متعلق بها ومن فضائلها، لكونه مقتضاهما وباعثاً للعمل من حيث الرغبة، إلا أن الخوف لترتبه على ضعف القلب يكون أقرب إلى طرف التفريط، والرجاء لترتبه على قوته يكون أقرب إلى طرف الإفراط وإن كان كلاهما ممدوحين.

ثم لا بد أن يحصل أكثر أسباب حصول المحبوب حتى يصدق اسم الرجاء على انتظاره، كتوقع الحصاد ممن ألقى بذراً جيداً في أرض طيبة يصلها الماء، وأما انتظار ما لم يحصل شيء من أسبابه فيسمى غروراً وحمافة، كتوقع من ألقى بذراً في أرض سبخة لا يصلها الماء.

وانتظار ما كان أسبابه مشكوكة يسمى تمنيا، كما إذا صلحت الأرض ولا ماء.

وتفصيل ذلك:

أن الدنيا مزرعة الآخرة، والقلب كالأرض، والإيمان كالبذر، والطاعات هي الماء الذى تُسقى به الأرض، وتطهير القلب من المعاصى والأخلاق الذميمة بمنزلة تنقية الأرض من الشوك والأحجار والنباتات الخبيثة، ويوم القيامة هو وقت الحصاد.

فينبغى أن يقاس رجاء العبد (المغفرة) برجاء صاحب الزرع (التنمية)، وكما أن من ألقى البذر فى أرض طيبة، وساق إليها الماء فى وقته، ونقاها من الشوك والأحجار، وبذل جهده فى قلع النباتات الخبيثة المفسدة للزرع، ثم جلس ينتظر كرم الله ولطفه مؤملاً أن يحصل له وقت الحصاد مائة قفيز مثلاً، سمي انتظاره رجاء ممدوحاً، فكذلك العبد إذا طهر أرض قلبه عن شوك الأخلاق الرديئة وبث فيه بذر الإيمان بماء الطاعات، ثم انتظر من فضل الله تشييته إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة، كان انتظاره رجاء حقيقياً محموداً فى نفسه.

وكما أن من تغافل عن الزراعة واختار الراحة طول السنة، أو ألقى البذر فى أرض سبخة مرتفعة لا يصل إليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر وإصلاح الأرض من النباتات المفسدة للزرع، ثم جلس منتظراً إلى أن ينبت له زرع يحصده سمي انتظاره حمقاً وغروراً.

كذلك من لم يلق بذر الإيمان فى أرض قلبه أو ألقاه مع كونه مشحوناً برذائل الأخلاق منهمكاً فى خسائس الشهوات واللذات، ولم يسق إليها ماء الطاعات،

ثم انتظر المغفرة، كان انتظاره حمقا وغرورا، وكما أن من بث البذر في أرض طيبة لا ماء لها، وجلس ينتظر مياه الأمطار حيث لا تهطل الأمطار، وإن لم يمتنع أيضا، سمى انتظاره تمنيا.

كذلك من ألقى بذر الإيمان في أرض قلبه، ولكنه لم يسق إليه ماء الطاعات، وانتظر المغفرة بلطفه وفضله، كان انتظاره تمنيا.

فإذن؛

اسم (الرجاء) إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف القواطع والمفسدات، فالأحاديث الواردة في الترغيب على الرجاء وفي سعة عفو الله وجزيل رحمته ووفور مغفرته. إنما هي مخصوصة بمن يرجو الرحمة والغفران بالعمل الخاص المعد لحصولهما وترك الانهماك في المعاصي المفوت لهذا الاستعداد.

فاحذر أن يغرك الشيطان ويثبطك عن العمل ويقنعك بمحض الرجاء والأمل.

وانظر إلى حال الأنبياء والأولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم العمر في العبادات ليلا ونهارا، أما كانوا يرجون عفو الله ورحمته؟ بلى والله! إنهم كانوا أعلم بسعة رحمة الله وأرجى لها منك ومن كل أحد، ولكن علموا أن رجاء الرحمة من دون العمل غرور محض وسفه بحت، فصرفوا في العبادات أعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم(1).

1- جامع السعادات، محمد مهدي النراقي (ج 1، ص 223\_225).

### ثالثاً: توازن الخوف والرجاء في قلب المؤمن

حينما تكون الحكمة هي ضالة المؤمن ومبتغاه، فقد وضع لها القرآن الكريم والعترة النبوية شروطاً لتحصيلها.

قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (1).

وقال عزّ من قائل:

﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (2).

وقال سيد الخلائق صلى الله عليه وآله وسلم:

«رأس الحكمة مخافة الله» (3).

وحيث إن الحكمة هي عنوان يدل على الأنبياء والصالحين من عباد الله تعالى فقد حدها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بحد الخوف من الله تعالى فهو سنامها الذي منه ترتوى فلا دوام لها إلا به، كذلك جعل الرجاء تابعاً وملازماً للخوف يحل معه حيث ما حل.

ومن هنا ينبغى على المؤمن أمور منها:

1— يجب عليه أن يخاف الله ربه المطلع على أمره في سره وعلايته خوفاً

1- سورة البقرة، الآية: 269.

2- سورة فصلت، الآية: 35.

3- من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج4، ص376، ح5766. كنز العمال للمتقى الهندي: ج3، ص141، ح5873.

شديداً يبعثه على طاعته، ويردعه عن جميع معاصيه، ويمنعه عن اتباع الشهوات التي تبعده عن مرضاته، وتوجب له استحقاق غضبه ومقتته.

2— ويجب عليه أن يرجو رحمة الله وعفوه وإن سبقت منه المعاصي وعنده الذنوب كثرت، ففي الخبر عن أبي عبد الله عليه السلام:

«أرج الله رجاءً لا يجرتك على معصيته، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»<sup>(1)</sup>.

وعن أبي جعفر عليه السلام:

«ليس من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، ولو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»<sup>(2)</sup>.

3— كما ويجب عليه أن يكون عاملاً لما يخاف ولما يرجو، وقد قيل لأبي عبد الله عليه السلام:

«قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت»<sup>(3)</sup>.

فقال عليه السلام:

«هؤلاء قوم يترجحون في الأمانى، كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه»<sup>(4)</sup>.

1- وسائل الشيعة، الحر العاملي: ج 15، ص 218.

2- مشكاة الأنوار لعلی الطبرسی: ص 215، الفصل الرابع.

3- الكافي للشيخ الكليني رحمة الله: ج 2، ص 68، ح 5.

4- تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص 362.

(فإذا خاف العبد ربه ورجاه وتوازن الخوف والرجاء في قلبه، وعمل لهما \_\_ كما ذكرته الأحاديث \_\_ واستقام في عمله ولم ينحرف أنتج ذلك له نتيجة معلومة محتومة، وهي تقوى الله، فالتقوى هي حصيلة اجتماع الخوف والرجاء الشديدين المتوازنين في قلب المؤمن، والعمل الدائب لخوفه ورجائه، والحفاظ عليهما حتى تكون ملكة ثابتة في نفسه، وقد أشارت إلى ذلك الآية الكريمة:

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ (1).

ومن متممات هذه المنزلة، ومقربات الوصول إلى هذه الغاية أن يشتد الخوف في قلب المؤمن، فيبكي خشية من الله لما اقترف من الذنوب، أو يبكي ندما على ما قابل به ربه الكريم العظيم من العصيان، أو خجلا مما تفضل عليه من النعم والأيدى، فعن الإمام أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن الصادق عليه السلام:

«إن الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الثرى إلى العرش لكثرة ذنوبه، فما هو إلا أن يبكي من خشية الله عز وجل ندما عليها حتى يصير ما بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته» (2).

وإذا توازن الخوف والرجاء في قلب المؤمن، وأثمر اجتماعهما له ملكة التقوى \_\_ كما ذكرنا في ما سبق \_\_، قبل الله منه عمله، وإن كان يسيرا، كما قال سبحانه:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (3).

1- سورة محمد، الآية: 17.

2- عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق رحمة الله: ج 1، ص 6، ح 4.

3- سورة المائدة، الآية: 27.



وبوَاهِ المَقَامِ الرَّفِيعِ مِنْ رِضَاهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَتَاهِ العِزَّةَ وَالكَرَامَةَ، كَمَا يَقُولُ تَعَالَى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (1).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل» (2).

وعن الصادق عليه السلام:

«من أخرج الله من ذل المعاصى إلى عز التقوى أغناه الله بلا- مال، وأعزه بلا عشيرة، وأنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شىء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شىء».

وكلما ازدادت ملكة التقوى فى نفس المؤمن ثباتا ورسوخا ازداد عطاؤها وعظم نتائجها (3).

#### رابعاً: أثر الخوف والرجاء على تقويم السلوك الإنسانى

قال العلامة الطباطبائى قدس سرّه: (إن البعث \_\_ من القبور \_\_ هو السبب العمدة الداعى إلى الإيمان بالكتاب واتباعه فيما يدعو إليه.

وأما الاعتقاد بيوم الحساب هو الذى يستتبع الخوف والرجاء، خوف العقاب، ورجاء الثواب، الداعين إلى عبادة الله تعالى (4).

1- سورة الحجرات، الآية: 13.

2- الكافى للشيخ الكلينى رحمة الله: ج2، ص75، ح5.

3- كلمة التقوى للشيخ محمد أمين زين الدين: ص331، 332.

4- تفسير الميزان للعلامة الطباطبائى قدس سرّه: ج17، ص305.

ويظهر هنا من كلام العلامة رضى الله عنه أن للخوف والرجاء ذراعين يعمل بهما المؤمن على تقويم سلوكه وهما الثواب والعقاب، اللذان لا يتحققان في القلب إلا من خلال الاعتقاد بيوم الميعاد والحساب ولذلك عد (المعاد) أصلاً من أصول الدين التي يجب على المسلم الاعتقاد به لما يشكله من خطر كبير على سير الإنسان وسلوكه وبه يقوم المجتمع وتصلح النظم والمعاملات.

وقد أفرد علماء الطائفة (أعزها الله) في أبحاثهم حيزاً واسعاً لبيان هذا الأصل لما يحمله من آثار إصلاحية كبيرة.

أما ارتباط الخوف والرجاء بالاعتقاد بيوم المعاد فيظهر من خلال إدراك كل عاقل: (أن العالم والجاهل، والمتخلق بالأخلاق الفاضلة والمتخلق بالأخلاق الرذيلة، والمحسن والمسيء في الأقوال والأعمال، ليسا سواء، والتسوية بين الفريقين فضلاً عن ترجيح المرجوح على الراجح القبيح عقلاً، ظلم وسفاهة.

ومن جهة أخرى، فإننا نرى أن المحسنين والمسيئين لا ينالون جزاءهم في الحياة الدنيا كما ينبغي، فمقتضى العدل والحكمة وجود البعث والحساب، والثواب والعقاب كما جاء في القرآن الكريم:

<وَلْتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ> (1).

على ما يقتضيه ارتباط العمل بالجزاء، فإنهم لا ينالون جزاء أعمالهم كما ينبغي في هذه الدنيا، فإذا كانت لا توجد دار أخرى يتحقق فيها الحساب والجزاء والعقاب المتناسب مع عقائد الناس وأعمالهم، لكان ذلك ظلماً.

إن عدل الله تعالى يستوجب وجود البعث والحساب والثواب والعقاب حيث قال تبارك وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

<أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ؟> (1)، <يَوْمَ يُذِىرُ النَّاسَ أَشْدَّ تَأْتًا لِّيرَوُا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ> (2).

إن الله تعالى حكيم، ولا يصدر عنه سفه وعبث، وهو لم يقتصر فى خلق الإنسان على تجهيزه بالقوى الضرورية لحياته النباتية والحيوانية، كقوة الجذب والدفع، والشهوة والغضب، بل جهزه بقوى أخرى تقوده إلى التكامل والتحلّى بالفضائل العلمية والعملية، وترتفع به إلى مستويات أعلى، لا يقف فيها عند حد، بل كلما ترقى فى هذا السبيل يتعطش لما هو أعلى، وقد بعث الله الأنبياء عليهم السلام لهداية الإنسان إلى الكمال الذى يكون مفطوراً على طلبه ومجبولاً على أن لا يقف على حد حتى ينتهى إلى ما قال سبحانه فى القرآن الكريم:

<وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ> (3).

فلو كان الإنسان مخلوقاً للحياة الحيوانية فقط لكان إعطاؤه العقل الذى لا يقتنع إلا بإدراك أسرار الوجود لغوا، وخلق على الفطرة التى لا تطمئن دون أية

1- سورة ص، الآية: 28.

2- سورة الزلزلة، الآيات: 6، 7، 8.

3- سورة النجم، الآية: 42.

مرتبة من الكمال حتى يصل إلى مبدأ الكمال الذى ليس له حد عثا.

فالحكمة الإلهية توجب أن لا تختتم حياة الإنسان بالحياة المادية والحيوانية، بل تتواصل لتحقيق الهدف الذى خلقت قوى عقله وروحه من أجله، قال الله تبارك وتعالى:

<أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ> (1).

إن فطرة الإنسان تحكم بأن كل صاحب حق لابد أن يعطى حقه، وكل مظلوم لابد أن يؤخذ له من ظالمه، وهذه الفطرة البشرية هى التى تدفع البشر فى كل عصر — على مختلف أديانهم مهما كانت أفكارهم ومعبوداتهم — إلى تشكيل أجهزة قضائية، ومحاكم لتحقيق العدالة.

ومن ناحية أخرى، نرى أن كثيرا من الظالمين والمجرمين يموتون دون أن يقتص منهم، ونرى مظلومين يموتون تحت سياط الظالمين ونيران اضطهادهم، لذا فإن حكمة الله تعالى وعدله وعزته ورحمته، تستوجب وجود حياة أخرى تؤخذ فيها حقوق المظلومين من الظالمين حيث جاء فى القرآن الكريم:

<وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ> (2).

إن حكمة الله تعالى تقتضى أن يهوى للإنسان وسيلة وصوله إلى ثمرة وجوده والغرض من خلقته، ولا يتحقق ذلك إلا بأن يأمره بما يوجب سعادته، وينهاه عما

1- سورة المؤمنون، الآية: 115.

2- سورة إبراهيم، الآية: 42.

يوجب شقاءه، وتنفيذ الأوامر والنواهي الإلهية المخالفة لهوى الإنسان، لا- يمكن إلا بوجود عاملى الخوف والرجاء فى نفسه، وهما لا يتحققان إلا بالتبشير والإنذار، والتبشير والإنذار يستلزمان وجود ثواب وعقاب ونعيم وعذاب بعد هذه الدنيا، وإلا كانا تبشيراً وإنذاراً كاذبين، والله تعالى منزه عن الكذب والقيح(1).

### خامساً: آثارهما النفسية

ارتبط السلوك بعلم النفس لما يمثله من صورة عملية لما يختلج فى النفس من مكونات، (وبفضل الدراسات والبحوث السيكولوجية تراكم كم هائل من المعارف التى تتعلق بقوانين حدوث العمليات العقلية المعرفية وغير المعرفية لدى الإنسان، هذه المعارف يمكن أن تساعدنا فى فهم وتفسير؛ كيف يقوم الإنسان بمعالجة المعلومات الحسية المتنوعة؟، لكنها لا تكفى لتفسير السلوكات الإنسانية المعقدة.

إن المشكلة ليست فى قلة كمية المعارف السيكولوجية المتوافرة لتفسير السلوك الإنسانى، وإنما تكمن المشكلة فى أن كثيراً من عمليات الدفاعية، أو دوافع السلوك تحدث على مستوى اللاوعى، والذي لا نعرف عنه شيئاً تقريباً(2).

ولذلك لا بد من الرجوع إلى القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة من حيثية أن الله تعالى هو الخالق لهذه النفس وهو العالم بمكوناتها ومكوناتها وانفعالاتها ودوافعها، ناهيك عن ارتباطها بالقوة العقلية والخيال والعوامل البيئية، واستجابتها للخصائص الفيزيائية والاجتماعية.

1- منهاج الصالحين، آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراسانى: ج 1، ص 129 إلى 132.

2- مبادئ علم النفس لمحمد بنى يونس: ص 69.

ولذا فقد وضع تعالى لها قوانين وضوابط تقومها وتصلحها، من بينها الخوف والرجاء، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن هذه القوانين والضوابط السلوكية التي تنبثق عن النفس. ومنها قوله تعالى:

<لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ> (1).

فالآية تخبر عن قانون الخوف والرجاء ممثلاً- في الشكر ومبعثه الرجاء والكفر ومبعثه انعدام الخوف من الله تعالى فيتمنى الإنسان على المنعم سبحانه ويسىء استخدام النعم فيصرفها في معصية الله تعالى وظلم الناس.

(فقد جمع صدر الآية وعجزها بين رتبتي الخوف والرجاء، وقدم الرجاء على الخوف \_\_ لأنه سوط النفس الناطقة المحرك لها نحو الضماح، أى: الاعتلاء والتسامى، فإن النفس البشرية بطبيعتها طامحة إلى التعالي والترقى، ومتصلة إلى التسامى.

وأخر الخوف: لأنه زمامها العاطف بها عن الجماح، أى: أن النفس تكون كالفرس الجموح التي لا تسلك طريق الاعتدال فهي بذلك بحاجة إلى الزمام الذي يعيدها إلى الطريق المستقيم والسير القويم، وهذا الزمام هو الخوف(2).

وحيثما يأتي علماء الأخلاق إلى مراتب الإيمان وعوامل الارتقاء بالنفس في هذه المراتب يجعلون الخوف والرجاء بعد اليقين، والسبب في ذلك: (أن الخوف والرجاء يؤديان إلى الصبر على المكاره والمشاق، وهو المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام، ويقوى دوام الذكر على الأُنس، ودوام الفكر على

1- سورة إبراهيم، الآية: 7.

2- شرح اللمعة الدمشقية، الشهيد الثاني: ج 1، ص 324.

كمال كمال المعرفة، ويؤدى الأنا وكمال المعرفة إلى المحبة، ويتبعها الرضا والتوكل وسائر المقامات، وهذا هو الترتيب فى سلوك منازل الدين، فليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء، ولا بعدها مقام سوى الصبر، ولا بعده سوى المجاهدة والتجرد لله تعالى ظاهرا وباطنا ولا بعده سوى الهداية والمعرفة، ولا بعدهما سوى الأنا والمحبة.

ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته، وهو التوكل، فاليقين هو سبب الخوف فىجب تحصيل السبب ليؤدى (المسبب) (1).

إذن:

حينما نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى جمعهم كأنه السيل (2)، ورفع يديه بالدعاء وقال:

«اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، ورجائى فى كل شدة، وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة» (3).

إنما هو نتيجة لمحبة الله تعالى التى غمرت قلبه المقدس فكان الرضا بفعل المحبوب، والثقة بعنايته، هى هذه المحبة، فتوكل عليه ورجاه فى كل شدة.

ولكونه الموقن حق اليقين بربه فقد كان له فى كل أمر نزل به ثقة وعدة.

ولذا نراه استظهر الرجاء وهو الأحب إلى الله تعالى لأنه ينطلق من الحب والتعلق به وحسن الظن والأنا بكل ما يقدر ويقسم.

1- جامع السعادات: ج 1، ص 213.

2- مقتل الإمام الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ص 236.

3- الإرشاد للشيخ المفيد رحمة الله: ج 2، ص 96.

## المبحث الرابع: نظريته عليه السلام في منشأ الهموم وعوامل تفريجها

### إشارة

بعد أن قدّم المولى أبو عبد الله الإمام الحسين بن عليّ عليهما السلام الخوف والرجاء في دعائه كمنهج لمن أراد أن يتعلم كيف يعالج ما نزل به من البلاء وفي مواطن الشدة والكرب، ينعطف عليه السلام إلى منهج جديد في تجاوز الأزمات التي تمر بها النفس الإنسانية، وهو منهج تفريج الهموم وكشف الكروب.

وبالطبع حينما يبدأ المولى أبو عبد الله عليه السلام بالخوف والرجاء فهذا يعنى تحصيل الأسس النفسية والمراتب الإيمانية لغرض تحصيل مقومات السلوك الإنساني، إذ لا يخفى على القارئ ما للهموم من أثر كبير على النفس والقلب والإيمان فينعكس جميع ذلك على السلوك فيبدو الإنسان على غير الصفة المعهودة وقد تخرجه تلك الهموم والغموم عن الانضباط فيتصرف بما لا يليق به وبأسرته.

ولذلك: ينبغى التوقف أولاً عند معنى الهم والغم ثم ننظر كيف انتهج المولى أبو عبد الله عليه السلام هذا المنهج الجديد في معالجة الهموم والغموم، وما هي نظريته في منشأ الهموم وعوامل تفريجها.

يقول عليه الصلاة والسلام:

«كم من همٍ يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك عمن سواك فكشفته وفرجته فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة»<sup>(1)</sup>.

وللوقوف عند هذه النظرية نظرق المسائل الآتية:

1- تاريخ الطبري: ج4، ص231.



## المسألة الأولى: ما هي النظرية؟ وبم نختلف نظرية المعصوم عليه السلام عن نظرية غيره من الناس؟

### أولاً: ما هي النظرية؟

(النظرية هي تقرير يوضح قطاعاً خاصاً من الظواهر، ولها عدة نماذج هي:

ألف/ النظرية الفرضية، الاستنتاجية: تقوم هذه النظرية على التماسك المنطقي، منطلقة من مسلمات صحيحة، وتتألف من:

1 \_\_ مجموعة من التعريفات للمصطلحات الحاسمة.

2 \_\_ مجموعة من التقريرات الفرضية المتعلقة بالعلاقات المفترضة بين الظواهر التي تمثلها المصطلحات الحاسمة.

3 \_\_ مجموعة من الاستنتاجات المشتقة منطقياً من التقريرات الفرضية.

باء/ النظرية الوظيفية: يقول بعض العلماء إن الاهتمام الزائد بترتيب الواقع وبناء النظريات يؤدي إلى إنهاء فعالية التفسير، وما النظرية إلا أداة مؤقتة، لذلك لا يهتمون بالإجراءات الاستنتاجية المنطقية كتركيزهم على الملاحظة القائمة بالأدلة، ويرون أن التفاعل بين الملاحظة والاستنتاجات المنطقية هام لتقدم العلم.

جيم/ النظرية الاستقرائية: تقوم على التفسير التالي: الوقائع أولاً، ثم تنبثق النظرية في تأمل دقيق لهذه الوقائع.

دال/ النموذج: يكون النموذج رسماً أو نسخة مصغرة عن الشيء الواقعي، أو قد يكون شيئاً أكثر تجريداً، كالمعادلات الرياضية، أو التقريرات اللفظية أو الأوصاف الرمزية أو الخطوط البيانية.

ويرى بعض الباحثين أن النموذج والنظرية هو الشيء ذاته، لكن البعض يميز بينهما كالاتى: إن النظرية والنموذج عبارة عن مخطط مفهومي يفسر العلاقات بين المتحولات المدروسة، ولكن النموذج يتصف بالمماثلة للشيء، هذا الأمر يماثل ذاك، ويستطيع الباحث أن يتسامح فى قبول أو رفض بعض الوقائع التى لا تتسجم مع الظواهر الواقعية.

### ثانياً: وظائف النظرية

النظرية أداة وهدف، فهى كهدف تساعد فى تفسير الظواهر بأكثر ما يمكن من الضبط وهى كأداة توفر إطاراً للملاحظة والاكتشاف، وتساعد النظرية الباحثين فى:

1\_ تحديد الظواهر المناسبة: تبين النظرية نوع الوقائع التى يدرسها الباحث، لذا تقتضى منه أن يهتم بقطاعات محدودة يركز عليها انتباهه الكامل، لأن لكل موضوع يتناوله الباحث جوانب متعددة، وما لم يقم الباحث ببناء الإطار النظرى لمشكلته، فإنه لن يعرف ما الذى يجب عليه أن يلاحظه من وقائع، فالنظرية توضح للباحث أى الوقائع التى ينبغى أن يهتم بها دون غيرها.

2\_ صياغة المفهوم المنطقى للموضوع: ينشئ الباحث مفاهيم ذهنية كالتقرير والتوتر من أجل تفسير السلوك، أو النتيجة التى يلاحظها، وتسمى هذه المفاهيم بناءات منطقية أو بناءات نظرية، ومعلوم أن المفهوم هو نتاج ملاحظة مواقف عديدة، وتجريد وجه الشبه بينها، وإجراء تعميمات حولها، فالنظرية ترشد التفكير النظرى والعملى، وتسهل على الباحثين معالجة الوقائع وإيصال المكتشفات.

3\_ تصنيف الظواهر: يصعب على الباحث التعامل بكفاية مع وقائع كثيرة

ومبعثرة، فهو بحاجة لترتيب الوقائع فى ميدان عمله، لذلك يقوم على إعداد إطار نظرى لتصنيف الوقائع مع صياغة فرضيات تفسر هذه الوقائع.

4\_\_ تلخيص الوقائع: تتراوح الخلاصات بين التعميمات البسيطة والعلاقات النظرية المعقدة، حيث يصف التلخيص مجالاً محدداً من الوقائع، لكن التلخيص على مستوى عالٍ، قد يشمل دون شك على دمج التعميمات الخبرية الأساسية فى إطار نظرى أكثر شمولاً.

5\_\_ التنبؤ بالوقائع: تساعد النظرية الباحث على التنبؤ بما يجب أن يكون قابلاً للملاحظة حين لا تتوفر الوقائع، فهى أداة جيدة لإرشاد الباحثين فى متابعة الظواهر.

6\_\_ الكشف عن البحث اللازم: النظرية مصدر غنى يزود الباحث بالأدلة المؤيدة لبحثه.

### ثالثاً: الفرق بين النظرية والفرضية

الفرضية بيان ذو صيغة إعلانية يشير إلى العلاقة بين متحولين، أو أكثر، وتعنى كلمة بيان أن هناك تقريراً صادراً عن الباحث يدل على وجود علاقة بين متحولين، وكلمة إعلانية تعنى أن الفرضية ليست سؤالاً يطرحه الباحث، وإنما هى حل مؤقت لمشكلة أعلن عنها من قبل الباحث، بينما النظرية كما هو معلوم، تعنى محاولة تفسير قطاع محدود من الظواهر والفرق بينهما:

1\_\_ الفرق الأول: يشمل اتساع قطاع الظواهر التى تنصب عليه محاولة التفسير، فالفرضية تفسر قطاعاً محدداً يشمل العلاقة بين متحولين، بينما النظرية تتسع لتفسير عدد غير محدد من العلاقات فهى أوسع من الفرضية.

2\_ الفرق الثاني: يرتبط بالتحقيق واختبار الصحة، والفرضية تشمل علاقة بين متحولين لتفسير قطاع صغير محدود، لذلك فالتحقيق التجريبي والصدق كبير جدا فيها، بينما النظرية بسبب اتساعها يبقى صدقها احتماليا مهما بلغ النجاح فيها(1).

وعلى هذا نجد أن نظرية المعصوم هي عين الواقع فلا- وجود لاحتمالات فيها ولا ظنون نافذة إليها فهي عين الصدق، لأنها تركز على فيض من سن السنن وأجراها ومن بيده مقاديرها وتصريفها، فكان علم الإمام بها علماً ربانياً (لدينا).

### رابعاً: الفرق بين نظرية المعصوم عليه السلام وغيره من الناس

ترتكز النظرية عند المعصوم عليه السلام على تفسير الظاهرة أو القانون أو القاعدة طبقاً لعين الواقع، ولذا فهي علمية لاستحالة نفوذ الاحتمال أو الظن إليها، بمعنى لا يكون بيان الإمام مستنداً على الظن أو عدم الاحاطة الكاملة والشاملة والدقيقة للسنن والقوانين والظواهر الكونية، ونقصد بالكونية جميع ما يمكن أن يدركه الإنسان ويحسه بل وحتى الأشياء التي لم يتمكن من إدراكها ومعرفتها فجميع ذلك علمه عند الإمام المعصوم عليه السلام.

وذلك أن علم المعصوم هو علم حضوري أو لدني قال تعالى: في معرض حديثه عن الخضر عليه السلام:

<وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا>(2).

1- أسس البحث في التربية وعلم النفس، د. محمد نجيب ود. محمود ميلاد: ص 40\_\_43.

2- سورة الكهف، الآية: 65.

وقال عزوجل عن سيد الأئمة وخازن النبوة أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

<وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ> (1).

وفى بيانه عز شأنه لعلم نوح عليه السلام حينما أمره ببناء السفينة وحمل المخلوقات فيها قال له:

<أَحْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ> (2).

وهذا الجمع يستلزم المعرفة التامة والاحاطة الشاملة بجميع ما خلق الله تعالى؛ كى يتمكن نوح عليه السلام من حمل هذه المخلوقات بل يستلزم ذلك معرفته وعلمه بأصناف هذه المخلوقات وأجناسها أى الذكر من الأنشى حتى يتمكن من إعادة دورة الحياة على الأرض، فكم من حيوان ونبات وحشرة خلقها الله تعالى على الأرض، وحملها معه نوح عليه السلام فى السفينة.

ولذا لا يمكن أن يكون فعل نوح عليه السلام بغير علم لدنى علمه الله تعالى إياه:

<وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا>، بل كما أسلفنا: <وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ>.

وعليه: تكون نظرية المعصوم عليه السلام هى عين الواقع ونظرية غيره من الخلق تبنى على مجموعة من الظنون تتفاوت فى نسبها وقوتها ومرجحاتها فقد يصل هذا

1- سورة يس، الآية: 12.

2- سورة هود، الآية: 40.

العالم أو ذاك من خلال الدراسة والبحث إلى معرفة الحكم بنسبة محدودة تقترب أو تبتعد عن الحكم الواقعي والمطابق لعين الحق، وقد يبتعد كل البعد عن عين الواقع فتكون نظريته واهية سرعان ما يظهر فشلها حينما يأتي عالم آخر يقدم أدلته التي تكتسب أهميتها من خلال قربها من الواقع، ومن ثم إحراز نسبة من الحقيقة التي سنها الله تعالى، من هنا ذهب البعض إلى: (أن النظرية بسبب اتساعها يبقى صدقها احتماليا مهما بلغ النجاح فيها)(1).

### المسألة الثانية: ما هو (الهم) و(الغم)؟ وبم يختلفان

قال اللغويون:

(الهم) هو الحزن(2)، و(الغم) هو الكرب(3).

في حين يعطى القرآن الكريم معنى دلاليا آخر يشير إلى وجود فرق مهم بينهما مع اتحادهما في الأثر النازل على القلب.

فالحزن والكرب أو الهم والغم شعوران وجدانيان يلقيان بثقلهما على القلب فيصاب بالكدورة والانقباض، ناهيك عن تعثر البال وتزلزل الخاطر.

والآيات الكريمة كثيرة في هذا الصدد فعلى سبيل الاستشهاد لبيان المعنى، قال تعالى:

<وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ>(4).

1- أسس البحث العلمي، د. محمد نجيب ود. محمود ميلاد: ص 43.

2- الصحاح، الجوهري: ج 2، ص 278.

3- تاج العروس، الزبيدي: ج 17، ص 522.

4- سورة طه، الآية: 40.

وهو إشارة إلى نبي الله موسى الكليم عليه السلام.

﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(1)</sup>.

وهو نبي الله يونس عليه السلام صاحب الحوت.

والآيتان الكريمتان تدلان على وقوع أمر معين لكلا من نبي الله موسى ويونس عليهما السلام، فتسبب هذا الأمر الواقع عليهما بالغم.

بمعنى آخر: إن الغم لا يكون إلا عند نزول أمر معين ووقوع فعل يسوء صاحبه فيصاب بالغم، فنبي الله موسى عليه السلام حينما قتل نفساً أصيب بالغم، ويونس عليه السلام حينما ترك قومه وذهب مغاضباً التقمه الحوت فكان في ظلمات ثلاث فأصابه الغم بسبب هذا الأمر الواقع.

أما الهم فهو عكس الغم من حيث الوقوع والأثر النفسى، أى: أن الهم لا يكون إلا بتوقع وقوع أمرٍ سىء أو أن الإنسان ينبئ بحدوث أمرٍ سىء؛ كمن أخبره الطبيب بأن هناك وباءً سوف يحل بالمدينة أو أنه حينما يبلغ العشرين ستسوء حالته الصحية، أو كمن أراد السفر فيقال له: أن الطريق معرض للصوص وغيرها.

إذن: الغم هو ما يصيب القلب من انقباض وكدورة نتيجة أمرٍ واقع، والهم هو ما يصيب القلب من الحزن، والذهن من القلق.

### المسألة الثالثة: اجتماع الهم والغم في بعض الأحيان فيكونان (المصيبة)

#### إشارة

حينما خلق الله تعالى الحياة الدنيا جعلها محفوفة بالبلايا والمكاره مما يجعل البلاء يتفاوت في مراتب الشدة ويتنوع في مجاريه الحياتية، فمرة يصيب العافية،

ومرة يصيب المال، وأخرى الولد وأخرى الإيمان \_\_ نعوذ بالله \_\_ من مواطن الابتلاء بالإيمان.

وقد أشار القرآن إلى كثير من هذه الابتلاءات وبين آثارها على الإنسان ونبه إلى طريقة التعامل معها ونهى عن الانزلاق في نتائجها كالجزع والتقصير والكفر وغيرها.

وفي نفس الوقت أشار القرآن الكريم إلى منزلة الفائز في هذه الابتلاءات لدرجة أنه خصهم بصلاة الرحمن جلّت قدرته لاسيما في مواطن المصيبة والتي كما أسلفنا تتكون من اجتماع الهم والغم في منزل واحد، قال تعالى:

<الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (156) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ> (1).

ولشدة ما يصيب القلب من الانقباض والكدورة وانحصار الدم فيه استحق أصحاب المصائب هذه الرتبة.

أما اختلاف أنواع الابتلاءات فقد دل عليها قوله تعالى:

<وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ> (2).

إذن:

تجتمع على الإنسان في مرحلة من مراحل حياته ابتلاءات يكون فيها الهم والغم قرينين وهو ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام في دعائه.

1- سورة البقرة، الآيتان: 156، 157.

2- سورة البقرة، الآية: 155.



فقد جعل اللهم دالتين وللغم دالتين فى دعاءه.

أما اللهم فقد دل عليه بقوله:

«كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة»(1).

وهذا كاشف عن أمرٍ لم يقع وإنما سيقع مستقبلاً وكلما كانت القرائن على قرب وقوع البلاء كلما كان الهم أعظم، وحيث إن البلاء الذى يختلج فى رحم الحرب لم يقع بعد فإن الإمام الحسين عليه السلام عبر عنه من خلال الجيوش التى تجمعت من حوله فهو فى هذه الحالة كان مهموماً بدلالة علامتين وهما:

1\_\_ ضعف الفؤاد.

2\_\_ قلة الحيلة.

ولأن الحرب تنبئ عن وقوع المكروه، ولمعرفته عليه السلام بما عزم عليه القوم، وبما أخبره به من قبل جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم عمّا سيلاقيه فى أرض كربلاء على يد بنى أمية، أصبح موقناً بأنه مقتول مسلوب لا محالة وهو القائل:

«كأنى بأوصالى تقطعها عسلان الفلوات»(2).

وعليه: اجتمع مع الهم، الغم وقد دل عليه أى على الغم بعلامتين وهما:

### 1\_\_ يخذل فيه الصديق

ولا يخذل الصديق إلا عند ملاحظته وملاسته لوقوع البلاء فيخذل صاحبه عندها.

1- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير: ج4، ص61.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج44، 367.

**2\_ ويشمت فيه العدو**

ولا يشمت العدو الا بوقوع مكروه فى خصمه. فكلتا الحاليتين \_\_ أى خذلان الصديق وشماتة العدو \_\_ لا تحصل إلا عند وقوع البلاء، فيخذل الأول ويشمت الثانى، وكلاهما من حيث حجم البلاء النازل به عليه السلام واحد، أى يصبح الصديق الخاذل والعدو الشامت فى رتبة واحدة من البلاء، مما يزيد فى غم المؤمن.

فأين يكون المخرج عند اجتماع الهم والغم؟ وهو المصيبة.

يجيب عليه السلام على ذلك فيقول:

«أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منى إليك عن سواك» (1).

وهذه حالة خاصة بسيد الشهداء عليه السلام؛ إذ فى الغالب يلجأ الإنسان فى المصائب إلى الأهل والأخوان وينسى لعظم مصيبته اللجوء إلى الله تعالى فيلتمس من المخلوق قبل أن يلتمس من الخالق.

لكن الإمام الحسين عليه السلام يبدأ من الله تعالى وإليه يعود فلا ينزل هذه المصيبة إلا فى حضرة قدسه ولا يشكو همه وغمه إلا إلى الله تعالى، وهذا يكشف عن حجم البلاء النازل به فهو بين هم ما ستوقعه الحرب من البلاء على أبنائه وعياله وأصحابه وأطفاله وبناته، وبين الغم الذى يكشف عن يقينه بما سيحل به وبأهل بيته، وهذه من خواصه الفريدة؛ إذ الداخلى إلى الحرب لا يصيبه الغم وإنما الهم لأنه غير متيقن مما سيحل به فقد لا يصيبه مكروه ويعود إلى أهله سالما غانما ولذا فهو مهموم تحسبا من وقوع أذى.

1- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير: ج4، ص61.

بينما سيد الشهداء عليه السلام كانت نتائج الحرب كلها حاضرة أمام عينيه، بل أينما وقع نظره رأى ما يدور فى هذا المكان أو ذاك من حوادث.

ولذلك لم يصب أحد من أولياء الله بمثل ما أصيب به حتى الأنبياء عليهم السلام فهم فى حالة الهم فى نزول البلاء وليس الغم لأنهم يرجون دفع البلاء عنهم فى جميع لحظات الحرب أو البلاء، قال تعالى:

<حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ > (1).

فى حين كان سيد الشهداء عليه السلام موقناً لا محالة بما سيحل به مفوضاً أمره إلى الله تعالى، لأنه مأمور بالذهاب إلى هذا البلاء وتلقيه بنفس راضية مطمئنة ولطالما بين ذلك فى يوم عاشوراء حيث قال:

«هون ما نزل بى أنه بعين الله» (2).

### المسألة الرابعة: علاقة الهم بالفؤاد

غالبا ما نجد الدلالة اللفظية بين أهل اللغة والقرآن مختلفة، فدلالة الفؤاد عند اللغويين هى القلب، وقيل: وسطه، وقيل: غشاء القلب، والقلب حبه وسويداؤه (3).

والدلالة اللفظية للفؤاد فى القرآن: هى الفكر (4).

1- سورة يوسف، الآية: 110.

2- الانتصار، العاملى: ج 9، ص 62.

3- لسان العرب لابن منظور: ج 3، ص 329.

4- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائى: ج 12، ص 312.

قال تعالى:

&gt; مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى &lt;(1).

وقال تعالى:

&gt; وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ &lt;(2).

قال العلامة الطباطبائي قدس سرّه: ( \_\_ والآية تشير \_\_ إلى مبادئ العلم الذى أنعم بها على الإنسان فمبدأ التصور هو الحس والعمدة فيه السمع والبصر، وإن كان هناك غيرهما من اللمس والذوق والشم ومبدأ الفكر هو الفؤاد)(3).

وفى موضع آخر يشير قدس سرّه إلى الحكمة فى ابتداء الآية الكريمة بالسمع والبصر ودورهما فى اكتساب العلم ودور الفؤاد فى ذلك فيقول: (افتتح سبحانه من نعمه التى أنعمها عليهم بذكر إنشاء السمع والبصر وهما نعمتان خص بهما جنس الحيوان خلقتا فيه إنشاء وإبداعا لا عن مثال سابق إذ لا توجدان فى الأنواع البسيطة التى قبل الحيوان كالنبات والجماد والعناصر.

وبحصول هذين الحسّين يقف الوجود المجهز بهما موقفاً جديداً ويتسع مجال فعاليته بالنسبة إلى ما هو محروم منهما اتساعاً لا يتقدر بقدر فيدر كخيره وشره ونافعه وضاره ويعطى معهما الحركة الإرادية إلى ما يريد و عما يكرهه، ويستقر فى

1- سورة النجم، الآية: 11.

2- سورة النحل، الآية: 78.

3- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ج12، ص312.

عالم حديث طرى فيه مجالى الجمال واللذة والعزة والغلبة والمحبة مما لا خبر عنه فيما قبله.

وإنما اقتصر من الحواس بالسمع والبصر — قيل — لأن الاستدلال يتوقف عليهما ويتم بهما.

ثم ذكر سبحانه الفؤاد والمراد به المبدأ الذى يعقل من الإنسان وهو نعمة بالإنسان من بين سائر الحيوان ومرحلة حصول الفؤاد مرحلة وجودية جديدة هى أرفع درجة وأعلى منزلة وأوسع مجالاً من عالم الحيوان الذى هو عالم الحواس، فيتسع به أولاً شعاع عمل الحواس مما كان عليه فى عامة الحيوان بما لا يتقدر بقدر، فإذا الإنسان يدرك بهما ما غاب وما حضر وما مضى وما غبر من أخبار الأشياء وآثارها وأوصافها بعلاج وغير علاج، ثم يرقى بفؤاده أى بتعقله إلى ما فوق المحسوسات والجزئيات فيتعقل الكلليات فيحصل القوانين الكلية، ويغور متفكراً فى العلوم النظرية والمعارف الحقيقية، وينفذ بسلطان التدبر فى أقطار السماوات والأرض.

ففى ذلك كله من عجيب التدبير الإلهى بإنشاء السمع والأبصار والأفئدة ما لا يسع الإنسان أن يستوفى شكره(1).

بل الأعجب من ذلك هو خلق هذه النفس الإنسانية وما ارتبط بها من أسرار عجيبة وأدوار محيرة وأفلاك عديدة فكانت بحد ذاتها عالماً غريباً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

1- تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائى: ج15، ص53، 54.

دواؤك فيك وما تشعر

وداؤك منك وما تصبر

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر(1)

ومن هنا أراد الإمام أبو عبد الله عليه السلام أن يظهر للناس العلاقة بين الفؤاد \_ الذى عرفته عنه الآية بأنه الفكر \_ وبين الهموم التى تضعف هذا الفكر، أى الفؤاد.

أما كيف يتم ذلك؟

فمن خلال انشغال فكر الإنسان بهذا البلاء يضعف فؤاده وينسى ذكر الله تعالى، ويرى أن مصيبتة ليس لها مثيل وأنه ابتلى بما لم يُبتلَ به غيره، وكلما ازداد البلاء وعظم أمره كلما كانت النتيجة عكسية على الفكر وانشغاله وتشتت البال وشروده.

فى حين يعيد الإمام عليه السلام الفؤاد إلى جادة الطريق ويرجعه إلى موطنه ومهدده حينما أنزله من منزل الانشغال والاضطراب إلى منزل الأُنس والطمأنينة، فقال عليه السلام:

«أنزلته بك وشكوته إليك»(2).

أى حينما يكون الدافع فى الشكوى إلى الله تعالى فى نزول البلاء وتعاضمه على الإنسان، هو الرغبة إلى الله تعالى عمّن سواه من الخلق فالنتيجة حتما ستكون:

«فكشفته وفرجته»(3).

---

1- أعيان الشيعة، محمد الأمين: ج1، ص552. تفسير الألوسى: ج30، ص157.

2- الكافي للكليني: ج2، ص579. الإرشاد للمفيد: ج2، ص96.

3- تاريخ الطبرى: ج4، ص322.

وهذا يكشف عن أمرين:

أحدهما: أن الإنسان في الشدائد والكروب والخوف والحزن يفرغ إلى الأقرب والأحب لديه دون أن يدرك ذلك فهو يتصور من اللاوعى أو من اللاشعور في هذا اللجوء والالتجاء والشكوى، لاسيما وأن الإنسان في المراحل الأولى من عمره يلجأ إلى الأم ومن ثم إلى الأب أو الزوجة أو الزوج أو إلى الأخ.

وحتى في الالتجاء إلى الأخوان نرى أن البعض من حيث اللاوعى أو اللاشعور يذهب إلى الأحب إلى قلبه منهم وهذا في لحظات ورود الشدة، أما في حالة الاستقرار فقد يبحث الإنسان في هذه الحالة بوعى عن الأكفأ والآنس لحل مشكلته.

في حين نرى الإمام الحسين عليه السلام يفرغ في كل كرب وشدة وهمٍ — وهو الذي يضعف معه الفؤاد ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو — إلى الله تعالى رغبة منه عمن سواه، وإن هذه الرغبة من صميم الفؤاد — أى الفكر —.

وهذا يعنى: أنه فرغ والتجأ وشكا إلى الأقرب والأحب إلى قلبه لأن الرغبة أحد مصاديق الحب وهي شعور وجداني إنساني ينبعث من القلب فيحرك المشاعر نحو المقصد وهو الله تعالى.

والأمر الآخر:

هو الخلوص في التوحيد لله تعالى، بمعنى لم يكن في قلبه من هو أحب إليه من الله تعالى وأن جميع المتعلقات الدنيوية من الأبناء والأخوان والوالدين والأقرباء والأصحاب والمال وغير ذلك، كل هذه المتعلقات الدنيوية لم تكن تنال

الشراكة فى قلبه وحبه لله تعالى، وإلا لكان قد شكى هذا الهم إلى أحد أولئك.

ولذا.. نال به الكشف والتفريح — أى للغم وللهم، فالكشف يكون للغم، والتفريح يكون للهم — وتقديمه عليه السلام هنا للغم على الهم، على الرغم من ابتداء الدعاء به فهو لما يلى:

1— ليقينه عليه السلام بما يؤول إليه اجتماع هذه الجيوش فهو عنده بمنزلة الغم.

2— كشف الغم يعنى رفع البلاء وتحقق العافية، وطلب العافية وتحصيلها أرجى للنفس من جهد البلاء، وأما الهم فمدار آثاره خارج النفس.

بمعنى: لم يقع البلاء؛ وفى هذه الحالة يكون المؤمن بين الخوف من تحقق وقوع البلاء، وبين رجاء رفعه ودفعه.

3— لثقل الغم على القلب والنفس؛ ولذا: اقترن بالكشف لأنه يتناسب مع جنسه، أى سمي بالغم تشبيها بالغيوم التى تحجب الشمس والضوء عن الأرض، فإذا ذهب الغيوم انكشفت السماء وعادت الشمس تشرق بنورها على الأرض وبها تدب الحياة.

إذن: طلبه عليه السلام للعافية أرجى عنده من انتظار وقوع البلاء وهو أقرب إلى الرجاء منه إلى الخوف، وحيث أن الرجاء أحب عند الله تعالى من الخوف كان تقديمه عليه السلام للكشف على التفريح.

ولذا.. اتبعه بقوله عليه السلام:

«فأنت ولى كل نعمة ومنتهى كل رغبة»(1).

1- الإرشاد للمفيد: ج2، ص96. تاريخ الطبرى: ج4، ص322.



أى: أن حفظ النعم التي مننت عليّ بها والتي ستمن بها، انت وليها، فإن شئت سلبتها وإن شئت أدمتها، بمعنى التسليم لما قضى الله تعالى، والرضا بما قدر له عليه السلام، لكن العافية أرجى لى من البلاء.

### المسألة الخامسة: عوامل دفع الهموم والغموم

يتناول المولى أبو عبد الله الحسين عليه السلام فى هذا المورد من دعائه عوامل دفع جميع الهموم والغموم، وهى كالاتى:

1\_ قوة الفؤاد

2\_ توفر الحيلة

3\_ وقوف الصديق ومساندته

4\_ فقدان العدو

5\_ الشكوى إلى الله تعالى

6\_ اليقين بالفرج

فهذه العوامل التى تناولها الإمام فى دعائه التى أظهرت حجم هذه الهموم والغموم، أى المصائب وأثرها على النفس فهى فى نفس الوقت تعد عوامل لدفع جميع أنواع الهموم والغموم.

ف\_ (قوة الفؤاد):

تدفع الهم من مد أنيابه ومخالبه إلى الفكر فتمنع تشنته، بل تعطى نتيجة عكسية، بمعنى: يصبح الإنسان واعياً ومدركاً وعارفاً بمخارج هذه الأزمة أو تلك الشدة، فينجو من هذا الكرب وهذه الشدة.

و(توفر الحيلة): هي الأخرى تدفع بالهموم، لأن الهم هو ما يؤدي إلى فقدان الحيلة، بسبب تشتت الفكر أو بسبب تحقق وقوع البلاء، فيرى الإنسان نفسه لا محالة مصيبه هذا البلاء، ومثاله كمن أحاط بداره اللصوص وهو لا يملك ما يدفع به عن نفسه فيبقى محتاراً لا يدري ماذا يصنع، فإذا توفرت لديه الحيلة أى السبيل للخروج والنجاة أو دفع هذه الشدة، انكشف غمه وفرج همه.

وكذا (وقوف الصديق):

فمما لا شك فيه أن حضور الصديق ووقوفه في الشدائد يدفع بقسم كبير من الهموم، وإذا قام الصديق بخذلان صديقه يتضاعف الهم على الإنسان لأنه يولد في نفسه الشعور بالوحدة ويتعاضم عنده الإحساس بالخسارة من خلال انكشاف حقيقة هذا الصديق.

ولذلك: كان أئمة أهل البيت عليهم السلام يوجهون المؤمنين إلى خطورة اتخاذ المرء صديقاً لما يترتب على صحبته من فوائد وأضرار، ومما ورد في الأخبار من هذه التوجيهات الشريفة ما يلي:

1\_\_ روى الشيخ الكليني رحمة الله عن عبيد الله الحلبي، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«لا تكون الصداقة إلا بحدودها فمن كانت في هذه الحدود أو شيء منها فأنسبه إلى الصداقة، ومن لم يكن فيه شيء منها فلا تنسبه إلى شيء من الصداقة.

فأولها \_\_ أن تكون سريره وعلايته لك واحدة.

والثانية \_\_ أن يرى زينك زينه وشينك شينه.

والثالثة \_\_ أن لا تغيره عليك ولاية ولا مال.

والرابعة \_\_ أن لا يمنعك شيئاً تناله مقدرته.

والخامسة؛ وهى تجمع هذه الخصال أن لا يسلمك عند النكبات»(1).

قال الشيخ مرتضى الأنصارى(2) قدس سره (توفى سنة 1281هـ): (ولا يخفى أنه إذا لم تكن الصداقة لم تكن الأُخوة، فلا بأس بترك الحقوق المذكورة بالنسبة إليه)(3).

2\_\_ وروى عن على أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى ثلاث: فى نكبته، وفى غيبته، وفى وفاته»(4).

وأما (فقدان العدو) فهو كذلك من العوامل التى تؤدى إلى كشف الهموم، بمعنى: إذا وجد العدو وحلّ البلاء بالإنسان فإن من الأمور التى يتحسب لها المرء

1- الكافى للشيخ الكلينى رحمة الله: ج2، ص 639، ح6.

2- الشيخ مرتضى بن محمد أمين التستري الأنصارى مربي العلماء، له الكتاب المعروف بالرسائل فيما عدا مباحث الألفاظ صار عليه المعول فى التدريس مع المعالم والقوانين واستدرك فيه على من تقدمه فى جملة مسائل الأصول المهمة وتبعه فيها من تأخر عنه وحقق مسانله وصارت أنظاره قدوة لمن بعده وكتب عليه حواش كبيرة مدونة مطبوعة مشهورة، وجمعت عدة كتب من تقريرات بحثه فى الأصول انتفع بها الناس. وللمزيد أنظر: أعيان الشيعة: ج1، ص138. معجم المؤلفين، كحالة: ج12، ص216. الأعلام للزركلى: ج7، ص201. هدية العارفين، البغدادى: ج2، ص425. الذريعة للطهرانى: ج1، ص210. مصفى المقال: ص455، 456. الفوائد الرضوية، عباس القمى: ص664، 665.

3- المكاسب، الشيخ مرتضى الأنصارى: ج1، ص368.

4- نهج البلاغة، الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: ص33.

هى شماتة العدو حتى قد ينسبه هذا الأمر أصل البلاء الذى أصابه لما تخلفه الشماتة على الإنسان من آثار نفسية كبيرة.

وقد تحدث القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام عن تلك الآثار التى تخلفها الشماتة على النفس وعلى العلاقة الاجتماعية.

1\_ قال تعالى:

﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ (1).

2\_ وفى وصف المتقين قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أوسع الناس صدرا، وأذلهم نفسا، ضحكه تبسما، وإفهامه تعلما، مذكر الغافل، معلم الجاهل، لا يؤذى من يؤذيه، ولا يخوض فيما لا يعنيه، ولا يشمت بمصيبة، ولا يذكر أحداً بغيبته...» (2).

والصفات كثيرة أوردنا مما يناسب البحث.

ومعنى الشماتة: هى فرح العدو بما يصيب الإنسان من مصيبة، وإظهار الشماتة: إظهار للفرح والسرور والبشاشة والضحك عند المصائب، وبالقول مثل الهزء والسخرية به.

وقد نهى أئمة العترة عليهم السلام عن إبداء الشماتة لما يترتب على صاحب المصيبة من آلام نفسية كبيرة، وتعاضم للخصومة والعداوة، بل إن إظهار الشماتة يعزز الاعتقاد بعداوة العدو فيجر ذلك إلى التبرص والانتقام، وتحميل الآخر جريمة

1- سورة الأعراف، الآية: 150.

2- مستدرک الوسائل، الميرزا النورى: ج 11، ص 179.

الشامت؛ أى وقوع الظلم وتوسيع دائرة الخلافات الاجتماعية، فينشغل الطرفان بهذه الآثار النفسية عن الواجبات الدينية والحياتية مما يدفع بالطامع والعدو الحقيقي للمسلمين بالنفوذ إلى هذه الخلافات وتعزيزها وإنهاك أطرافها إن لم تؤدّ إلى الإبادة كما يحصل فى المجتمعات البدائية لقلّة الوعى الدينى وثقافة التسامح ونبذ الخلافات والالتفات لما هو أولى بالاهتمام، أى إصلاح النفس والأسرة فبها تصلح الأمم.

ومما ورد عن أئمة العترة عليهم السلام من الأحاديث الشريفة فى بيان خطورة الشماتة على العلاقة الاجتماعية وتكون الأمراض النفسية، ما يلى:

1\_\_ فعن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«من شمت بمصيبة نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن»(1).

2\_\_ وعنه عليه السلام أيضا أنه قال:

«لا تبدِ الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيرها بك»(2).

وأما (الشكوى إلى الله تعالى)

فهى من أهم العوامل التى تعمل على تفريغ الهموم لأنها تعيد القلب إلى وضعه الطبيعى وهو أشبه ما يكون بإرجاع السمكة إلى النهر، أو إعادة الطفل الرضيع إلى محالب أمه، وكذلك قلب الإنسان فإنه بالرجوع إلى الله تعالى وشكايه الهموم إليه يتحقق له الاستقرار والطمأنينة، لقوله تعالى:

<أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ>(3).

1- الكافى للشيخ الكلينى رحمة الله: كتاب الإيمان والكفر، باب الشماتة، ج2، ص359.

2- المصدر السابق.

3- سورة الرعد، الآية: 28.

بل يبين أهل البيت عليهم السلام من خلال المناجاة أن الشكوى إلى الله تعالى لا تعطى فقط الاطمئنان وتقريح الهموم وإنما تخلف حلاوة خاصة في القلب.

أى يصبح الإنسان من الشعور بالوحدة والغربة وأن لا ملجأ، ولا ناصر، ولا معين، له إلى الشعور بالأنس، والحصانة، والقوة والنصرة؛ فينتقل من تشتت الفكرة واضطراب القلب إلى حسن التدبير والسكينة.

بل: يتقلب الحال به تماما فيصبح مسرورا، ثم متلذذا بهذا البلاء؛ لأنه من فعل الحبيب وهو يحقق للقلب التواصل في الشكوى.

وهو ما أظهره الإمام الحسين عليه السلام فقال:

«رغبة منى عمن سواك»<sup>(1)</sup>.

هذه الرغبة التي أصلها الحب ستظهر بتجلياتها عليه حينما يباشر البلاء فعله عليه. ولذلك كان وجهه يتألأ كلما اشتد به البلاء، أى كان وجهه المقدس مرآة تعكس التجليات التي تصحب عروجه إلى حظيرة القدس الإلهية ونزول الفيوضات الربانية.

حتى إذا كان على رمضاء كربلاء وأوداجه تشخب دما ينتقل عليه السلام في هذه اللحظات إلى رتبة من المناجاة التي لم يبلغها ولى من الأولياء فمن كان منهم بتلك الحالة من الجراحات وتقديم الولد والأخوان والأصحاب؟.

ولذا: فقد حملت هذه المناجاة بيانا لمراتب التوحيد ودرجات اليقين ومنازل الحب ما لم تحملها مناجاة أخرى، وهي بذاك تكون كاشفة عن هذا السير الحسيني إلى الله تعالى.

1- الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج4، ص61.

إذن: نظريته عليه السلام في دفع الهموم وتفريجها تستند إلى ستة عوامل، وهي: (قوة الفؤاد، وتوفير الحيلة، ووقوف الصديق، وفقدان العدو، والشكوى إلى الله تعالى، واليقين بالفرج وهو سنام العوامل) فمن لا يمتلك اليقين بالفرج لم تنفعه العوامل المتقدمة في إزالة الآثار التي توجد الهموم في القلب والفؤاد، أي فكر الإنسان، فكم من شدة بقيت آثارها النفسية والعقلية والروحية إلى سنين عديدة مع توفر بعض تلك العوامل وافتقادها إلى التعيين بأن الله المفرج لكل هم والكاشف لكل كرب وشدة، بل لا ينتفع المبتلى بالشكوى إلى الله تعالى لكونه غير موقن بأن الله تعالى يفرج عنه.

### المبحث الخامس: دور الدعاء في التربية الروحية

#### المسألة الأولى: التلازم بين أركان الدعاء

##### إشارة

ينقسم دعاء الإمام الحسين عليه السلام في صبيحة يوم عاشوراء على عشرة أركان شكلت بمجموعها منهجا تربويا وروحيا يعلم المؤمن كيفية التوجه إلى الله تعالى وكيفية عرض حاجته وضوابط هذا الخطاب، وإحراز ثمرته، وهي القرب الإلهي فهو: الغاية المرجوة من الابتلاء وهو السبب الداعي لعبادة الله بالدعاء، حتى عد (مخ العبادة)(1).

وحيثما نتأمل في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في صبيحة يوم عاشوراء، نجد له خصوصية خاصة تمثلت بهذا الكم الكبير من العلوم والمعارف الأخلاقية والنفسية والتربوية فضلاً عن الخصوصية الولائية بصفته يكشف عن غربة المولى صلوات الله وسلامه عليه وتعاضم الظلم، وكثرة أعدائه، وقلة ناصره.

1- مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي: صفحة المقدمة 4.

كما أن كلماته تشعر قلب الإنسان بالحزن والأسى، بل وتعتصره تلك الكلمات التي تردت من قبل على لسان جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما ذهب إلى الطائف بعد فقدان الناصر، ورحيل المحامي، والمدافع، والذاب عنه، وهو عمه أبو طالب رضوان الله تعالى عليه(1).

وكذا هو حال ولده وريحانته وسبطه الإمام الحسين عليه السلام فقد تلفظ بهذه الكلمات حينما رأى الجيوش تجمعت من حوله في أول ساعات الصباح من يوم العاشر من المحرم.

ولذلك: زخر هذا الدعاء \_\_ ولهذا الظرف الخاص \_\_ بجملة من المعارف الإلهية والأخلاقية والتربوية والتي من الله علينا ببيان بعضها ونلتمس من أهل الفضل والعلم المزيد في بيانها.

أما أركان هذا الدعاء فقد بلغت عشرة أركان، وهي كالاتي:

### **الركن الأول: التوجه إلى الله تعالى بجميع الجوارح**

وهذا دليل الحب، فالإنسان حينما يلقي من يحب فإنه يتوجه إليه بكله بقلبه ووجهه وحواسه وفكره، وكلما عظم الحب وارتفعت درجته في القلب كلما انصرف الإنسان إلى هذا الحبيب حتى لا يرى ولا يسمع غير حبيبه.

وهنا: يظهر الإمام صلوات الله وسلامه عليه هذا النوع من التربية الروحية فيتوجه إلى الله تعالى بكله \_\_ أي بجميع جوارحه فيبدأ بقوله:

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة».

فبين الثقة والرجاء مراتب يسلكها المحب في التقرب إلى من يحب.

---

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج22، ص261، ح2.



وقد ورد في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال:

«إن الله لا يستجيب الدعاء من قلب لاه»<sup>(1)</sup>.

فابتدئ بالثقة وهي صفة تتولد عند الإنسان من خلال اطمئنان القلب وقطع العقل، بمعنى: أنه توجه إلى الله تعالى بقلب مطمئن وعقل قاطع بأن الله محل ثقته ثم يعود إلى القلب — بصفته محل نظر الله تعالى فيرتقى في رتبة الرجاء ليتوجه بهذا القلب إلى الله تعالى بمعنى: التوجه بالنوأة والجوهر.

### الركن الثاني: الابتداء بالحمد والثناء

بعد أن توجه الإمام الحسين عليه السلام بجميع جوارحه إلى الله تعالى انتقل إلى ركن آخر من أركان دعائه وهو حمد الله عز وجل والثناء عليه وهذا يدل على إظهار الربوبية وأنه المستحق للحمد من عباده، وهذه الرتبة وإن لم تظهر في كلمات الدعاء بلفظ (الحمد لله) إلا أنها دلت عليها (أنت تقتي) فمن وثق بشيء حمده وأثنى عليه ورأى أنه يستحق منه ذلك.

ولذا يذكرها الإمام مرتين (اللهم أنت تقتي)، (وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة).

### الركن الثالث: تقديم ذكر المنعم على طلب النعمة

بعد التوجه لله تعالى وحمده، ينتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى تقديم ذكر المنعم على طلب النعمة، بوصفها — النعمة — بيد صاحبها الذي جاد بها على العبد

1- حينما توفي أبو طالب عليه السلام نزل جبرائيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: (يا محمد أخرج فقد مات فيها ناصر)، أنظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج5، ص118، ح2520. جامع السعادات، محمد مهدي النراقي: ج3، ص293.

فيلزم تأدبا أن يقدم ذكر صاحب النعمة ومالكها على ذكر نفس النعمة، كمن يريد نعمة العافية، فعليه تقديم ذكر صاحب العافية قبل ذكر العافية.

وعلى من أراد الذرية فعليه تقديم واهب الذرية على الحاجة.

كما فى قوله تعالى:

﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (1).

فالتربية القرآنية للدعاء قدمت ذكر المنعم (ربى) على ذكر النعمة وهى الذرية.

ومن معنى الوحي القرآنى يربينا الإمام الحسين عليه السلام على التأدب فى الخطاب مع الله تعالى ولذا نراه \_\_ بأبى وأمى \_\_ قدم (أنت ثقتى)، (ورجائى)، (وأنت لى فى كل أمر نزل بى ثقة وعدة)، بعدها يعرض حاجته فيقول: (كم من هم يَصَدِّعُ فى الفؤاد)، (وتقل فى الحيلة)، (ويخذل فى الصديق)، (ويشمت فى العدو).

### الركن الرابع: عرض الافتقار إلى المنعم

فى هذا الركن: (إظهار الافتقار إلى المنعم) قضية فى غاية الأهمية؛ إذ قد يدعو الإنسان ربه وقلبه يحادثه بالذهاب إلى الأسباب كالتداوى فى المراكز الطبية وغيرها.

فى حين يلزم فى الدعاء إظهار الافتقار بصدق لا تشوبه هواجس بامكانية اللجوء إلى المسببات فيخرج عندها الطلب من المصدقية إلى المراوغة فلا ينال ما يطلب، فى حين نجد أن الدعاء الأول للإمام الحسين عليه السلام يغلب عليه الافتقار إلى الله تعالى.

### الركن الخامس: التعبد بالخوف والرجاء

وهذا الأمر مرّ تفصيله بشكل كافٍ، وهو يشير إلى ضرورة اشتغال الدعاء على جناحي العروج إلى الله تعالى بالخوف والرجاء.

### الركن السادس: الدخول في الحاجة والمسألة وتوجيه القصد إليهما

بعد هذه المراحل ينتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى الدخول في عرض الحاجة وبيان المسألة فيسوقهما بنسق واحد دلالة عظم الحاجة عند العبد وتصاغرهما بين يدي الله تعالى، ولذا قال (أنزلته بك وشكوته إليك).

### الركن السابع: العودة بعد عرض الحاجة إلى حمد المنعم سبحانه وتعالى

يعود الإمام الحسين عليه السلام إلى حمد الله تعالى بعد بيانه لحاجته ومسألته والغرض من ذلك بيان الاعتقاد بقدرة الله تعالى على قضاء هذه الحاجة، فقال عليه السلام:

«رغبة مني إليك عن سواك».

### الركن الثامن: اليقين بالاستجابة

لابد للمؤمن حينما يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يكون هذا التوجه مبنياً على يقينه بأن الدعاء مقرون بالاستجابة، وأن الله تعالى مع كونه يستجيب، هو أيضاً قادر على إمضاء ما يسأله العبد.

ولذلك نجده عليه السلام يقطع يقينا بقدرة الله تعالى على خلاصه وتحقيق حاجته فيقول عليه السلام:

«فكشفته وفرجته».

أي حاصل لديه القطع بإمضاء هذا الطلب وإنفاذ هذه المسألة.

### الركن التاسع: إظهار المعرفة بصفات الله تعالى

وهنا يكون بياناً لرتبة أهل العلم فمن يدعو الله وهو عارف وفاهم لتلك الصفات الإلهية غير الذى يتلفظ بما لا يعى ويدرك.

ومن هنا: تظهر الحاجة إلى الالتجاء إلى أدعية النبی الأكرم وعترته عليهم السلام لأنها تضع الألفاظ فى مواضع دلالاتها مع ما يناسبها من المصاديق فمن طلب العافية لا يتبعها بقوله وأنت شديد العقاب، فهذه لها مصداق خاص ينحصر فى الدعاء على الظالمين والكفار والمنافقين، ولذا نراه قال فى خاتمة دعائه:

«فأنت ولى كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة».

### الركن العاشر: الانصراف من الدعاء يكون مصحوباً بإظهار حب الله عزوجلّ

مثلاً ابتداء الإمام الحسين عليه السلام دعاءه بحب الله تعالى كذلك يختمه بحبه عزوجلّ، وهو كاشف عن الشوق فى مواصلة الحضور بين يدي الله تعالى، فمن أحب شيئاً حزن لمفارقته ورغب فى وصاله، وأنس بقربه.

ولذا اختتم كلماته بإظهار مكان الحب الذى تغلغل فى كل ذرات وجوده؛ بل يظهر عليه السلام أن الله تعالى هو غاية كل رغبة، ولذا كانت آخر كلماته:

«ومنتهى كل رغبة».

فيبدأ بالحب الإلهى ويختتم به.

فهذا المنهج فى التربية الروحية والإيمانية الذى اختزنه دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى صبيحة يوم عاشوراء يعلمنا كيف يكون توجيهنا ودعاؤنا إلى الله تعالى، ويعلمنا كيف تنتقل بين أركان هذا اللون من العبادة التى قدمها الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء.

## المسألة الثانية: دوام السياق التأديبي في الخطاب مع الله تعالى

### إشارة

مما لا شك فيه أن الإمام الحسين عليه السلام يمثل الجانب العملي لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحينما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أدبني ربي فأحسن تأديبي»<sup>(1)</sup>.

فإن الإمام الحسين عليه السلام أدبه جده النبي الأعظم فأحسن تأديبه \_\_ علماً أن أصل التأديب واحد وهو الخلق القرآني والتأديب به.

ومن هنا: فإن من أجلى مظاهر الخلق القرآني والنبوي والتأديب بهما هو العلاقة مع الله تعالى، ومن مظاهر هذه العلاقة هي الدعاء، وقوام الدعاء إنما يكون بالألفاظ التي اشتمل عليها، أي كيما نتعرف على آداب العلاقة مع الله تعالى وكيفية التأديب بهذه الآداب، فينبغي بنا التعرف على هذه المعاني والدلائل التي حملتها بنية الألفاظ.

وفي هذا الدعاء الذي ابتدأ به الإمام الحسين عليه السلام أدعيته في يوم عاشوراء يظهر لنا دوام السياق التأديبي في الخطاب مع الله تعالى من خلال الشواهد الآتية.

### أولاً: اختصاص مقاطع الدعاء منذ البداية وحتى النهاية بمظاهر الحب الإلهي

وهذه المظاهر تبدو واضحة في كلمات الدعاء: (اللهم، أنت ثقتي، ورجائي، أنت لي، ثقة وعدة، أنزلته بك، شكوته إليك، رغبة مني إليك، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة).

فكلها مراتب لإظهار الحب الإلهي حتى تكاد تختفي الحاجة وتضمحل المسألة، فقد انشغل الإمام بحب الله عن مسألته وحاجته وتجمع الجيوش من حوله فهو لم

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 11، ص 233.

يقول نجنى، أو أقلنى، أو خلصنى؛ ولم يسأله عن ولده، ونسائه، وأصحابه، وماله، على علمه أنهم كلهم معرضون للخطر والبلاء كل ذلك لم يكن حاضرا في دعائه سوى تلك القيم الروحية والتجليات الإيمانية في إظهار الحب الإلهي.

### ثانيا: إظهار مراتب المعرفة بالله في جميع مقاطع الدعاء

فالإمام الحسين عليه السلام يكشف من خلال هذا الدعاء عن مجموعة من المعارف في التوحيد، إذ انعطف عليه السلام بعد بيان إقراره بالتوحيد بما يحمله لفظ (اللهم) من الاعتقاد والخلوص لله عزوجلّ يتبعه الإمام بالرجاء ثم بالتسليم ثم الرضا ثم الرجوع إلى التوحيد.

ففي مقام التسليم يقول عليه السلام: «فأنت ولي كل نعمة» وهذا يكشف عن التسليم المطلق لما يتخذه صاحب النعمة من قضائه لما وهب من نعم صاحبها ووليها فإن أبقاها وأدامها فله الحمد والفضل والمنة، وإن سلبها، فلا اعتراض عنده، بل هو عين التسليم، لأن الله سبحانه هو المالك والواهب، إلا أن بقاءها أرجى للعبد من سلبها وإلا لما أعطها الله ووهبها لعبده، ولما سأل العبد ربه بقاءها وحفظها.

أما في مقام الرضا فإنه يعرض لهذا المقام في قوله:

«وصاحب كل حسنة»(1).

أى أنا لا أملك حق التنظير فيما هو صالح لى وضار، كما لا يحق لى القبول أو الرفض بما تقدر يا رب، لأن العبد غير عارف بعواقب الأمور وخواتيم الأعمال ولذا فهو مطلق الرضا لما يقضى الله ويقدر لأنه لا يقضى إلا بالحق، ولا يختار إلا الصالح لعبده. وهذا وذاك، أى: التسليم لقضاء الله تعالى، والرضا بما قدر؛ هو من أصدق مظاهر الخلوص فى الوجدانية لله تعالى ولطالما كان يردد عليه السلام فى يوم عاشوراء:

1- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير: ج4، ص61.

«رضا بقضائك لا معبود سواك»(1).

لأنه صاحب كل حسنة، وهو عليه السلام يرى كل شيء حسن من الله تعالى، وهل يرى الحبيب كل ما يبدر من حبيبه بمظهر غير حسن وهل ينال منه غير الرضا والقبول بما يصدر عنه. ولذا: يختم دعاءه بقوله عليه السلام:

«ومنتهى كل رغبة».

فهو مقام الخلوص في التوحيد وهو التجرد التام عن جميع العوالم الدنيوية وما حفت به من نعم لاسيما نعمة الوجود التي تعد أوجب النعم حفظا وصونا ورعاية.

فالرغبات التي تخالج النفس الإنسانية كثيرة منها متعلقة بالنعم التي أحاطت بالإنسان ابتداء من نعمة الحياة مروراً بنعمة الذرية ونعمة الزوجة والأهل ونعمة الأصحاب ونعمة المال وغيرها.

وأما التي تدفع النفس للجوء والمسألة لغير الله فكثيرة أيضا فكم يرغب الإنسان بأن يذهب في الشدائد والكروب والهموم إلى فلان وفلان وفلان من الناس، أو إلى تلك الجهة أو أنه يسأل هذا ويرجو ذاك ويلتمس منهم حاجته وقضاء طلبته.

إلا أن الإمام الحسين عليه السلام يقدم لنا معنى آخر للتوجه بهذه الرغبات وهذه الجهات فيشير إلى الله تعالى فهو (منتهى كل رغبة) فلا تشرق ولا تغرب فعودك إلى الله تعالى.

كما يظهر عليه السلام — وهذا خاص به — إن كل هذه الرغبات منتهاها إلى الله تعالى، فلا رغبة الحياة والبقاء، ولا رغبة الذرية، ولا الأهل والأصحاب، والمال، بمقدمة على الرغبة في لقاء الله تعالى. ولذلك: أعطى كل شيء لله عزوجل وأعطاه الله كل شيء؛ فما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

1- من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، عبد العظيم المهتدي البحراني: ص 14.

## الموضع الثاني: من أدعيته عليه السلام قبل البدء بالقتال

### دعاؤه عليه السلام على جيش عمر بن سعد

بعد أن أتم الإمام الحسين عليه السلام دعاءه الأول الذي استقبل به هذه الآلاف من الجند وبعد انكشاف الضوء، (أقبل عمر بن سعد نحو الحسين عليه السلام في ثلاثين ألفاً وكان رؤساء الأرباع بالكوفة يومئذ: عبد الله بن زهير بن سليم الأزدي على ربع أهل المدينة، وعبد الرحمن بن أبي سبرة الحنفي على ربع مذحج وأسد؛ وقيس بن الأشعث على ربع ربيعة وكندة، والحر بن يزيد الرياحي على ربع تميم وهمدان(1)؛ وكلهم اشتركوا في حرب الحسين إلا الحر بن يزيد الرياحي.

وجعل ابن سعد على اليميننة عمرو بن الحجاج الزبيدي، وعلى الميسرة شمر بن ذي الجوشن العامري، وعلى الخيل عزرة بن قيس الأحمسي، وعلى الرجالة شيب بن ربعي، والراية مع مولاه ذويد(2).

وأقبلوا يجولون حول البيوت فيرون النار تضطرم في الخندق، فنادى شمر بأعلى صوته: يا حسين تعجلت بالنار قبل يوم القيامة، فقال الحسين من هذا؟ كأنه شمر بن ذي الجوشن! قيل: نعم، فقال عليه السلام:

«يا ابن راعية المعزى أنت أولى بها صلوا»(3).

وأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام وقال أكره أن

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج1، ص81، ط مصر.

2- الإرشاد للشيخ المفيد رحمة الله: ج2، ص95.

3- تاريخ الطبري: ج4، ص322.



أبدأهم بقتال(1). ثم دعا براحلته فركبها ونادى بصوت عال يسمعه جلهم:

«أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم على، وحتى أعتذر إليكم في مقدمي هذا وأعذر فيكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأعطيتموني النصف من أنفسكم كنتم بذلك أسعد، وإن لم تقبلوا مني العذر ولم تعطوني النصف من أنفسكم فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم افضوا إلى ولا تنظرون، إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين»(2).

وبعد الخطبة أناخ راحلته وأمر عقبة بن سمعان فعقلها.

ثم خرج لوعظ القوم زهير بن القين، وبعده برير بن خضير فلم يستجيبوا لهما. ثم أن الحسين عليه السلام ركب فرسه وأخذ مصحفا ونشره على رأسه ووقف بإزاء القوم وقال:

«يا قوم إن بيني وبينكم كتاب الله وسنة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»(3).

ثم استشهدهم من نفسه المقدسة وما عليه من سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا مته وعمامته فأجابوه بالتصديق فسألهم عما أقدمهم على قتله؟ قالوا: طاعة للأمر عبيد الله بن زياد. فقال عليه السلام:

«تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم! حين استصرختمونا

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج45، ص5. اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ص60. العوالم للشيخ البحراني: ص253. لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص123.

2- إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، الشيخ محمد السماوي: ص32.

3- معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري: ج3، ص100.

ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان في أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضر مناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلهاً على أوليائكم، ويداً على أعدائكم من غير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلاً لكم الويلات إذ كرهتمونا والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأى لم يستحصف ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفها وضلة، فبعداً وسحقاً لطواغيت هذه الأمة! وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومطفئى السنن، ومؤاخى المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وعصاة الإمام، وملحقى العهرة بالنسب، ولبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون. أهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون!! أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه أصولكم، واتذرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الظالمين الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله عليهم كفيلاً، ألا وإن الدعى ابن الدعى قد تركنى بين السلة والذلة وهيهات له ذلك منى! هيهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون. وحجور طهرت وجدود طابت، أن يؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإتى زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر».

ثم تمثل فقال:

فإن نهزم فهزامون قدما

وإن نهزم فغير مهزamina

وما أن طبنا جبن ولكن

منايانا ودولة آخرينا

فلو خلد الملوک إذا خلدنا

ولو بقى الکرام إذا بقينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا(1)

«اما والله لا تلبثون بعدها إلا كريت(2) ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحي وتقلق بكم قلق المحور(3) عهد عهده إلى أبى عن جدى فأجمعوا أمرکم وشركاءکم ثم لا یکن أمرکم علیکم غمة ثم افضوا إلى ولا تنظرون.

﴿ثُمَّ كِيدُونَ فَلَا تُنظِرُونَ﴾(4).

إنى توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسنى يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف(5) يسقيهم كأسا مصبرة ولا يدع فيهم أحدا إلا قتلة بقتلة وضربة بضربة ينتقم لى ولأوليائى وأهل بيتى وأشياعى منهم فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير(6).

1- الاحتجاج، الطبرسى: ج2، ص25. مشير الأ-حزان، ابن نما الحللى: ص40. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص9. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج14، ص219. ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ ابن عساكر: ص321. شرح إحقاق الحق، آية الله السيد المرعشى: ج19، ص417.

2- كمقدار (منة).

3- المحور كمنبر العود الذى تدور عليه البكرة وربما كان من حديد (منه).

4- سورة الأعراف، الآية: 195.

5- هو المختار بن أبى عبيدة الثقفى رضى الله عنه.

6- اللهوف فى قتلى الطفوف، ابن طاووس: ص60. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص10. العوالم، البحرانى: ص253.

لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين: ص132. معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكرى: ج3، ص101. ينابيع المودة، القندوزى:

ج3، ص77. شرح إحقاق الحق، آية الله العظمى السيد المرعشى: ج11، ص625.

**المبحث الأول: أسباب الدعاء****إشارة**

حينما قام الإمام الحسين عليه السلام بوعظهم وتذكيرهم بعذاب الله ووجوب صون حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحفظ ولده وسبطه، فلم يجد فيهم من يتعظ بقوله ولم يلمس في أحدهم الخوف من الله تعالى، بل على العكس أصبح إصرارهم على قتله وسفك دمه أمضى في نفوسهم من ذى قبل، ولذا: قام فدعا عليهم أجمعين.

وعليه: فقد استوجبوا العذاب فكان أول هذا العذاب هو دعاء حجة الله تعالى عليهم أجمعين.

أما ظواهر هذا الإصرار الذى استحقوا به العذاب الإلهي، فهي كالآتي:

**أولا**

إنه قام بدفع الغموض عنهم وإزال الشبهة وكشف الغفلة من خلال وسائل بيانية عديدة وهي كما يلي:

ألف . تعريفه بنفسه وانتسابه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائلا:

«أما بعد: فانسبوني فانظروا من أنا، ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح لكم قتلى وانتهاك حرمتي؟ أأست ابن

بنت نبيكم، وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين المصدق لرسول الله بما جاء به من عند ربه، أوليس حمزة سيد الشهداء عمى؟ أوليس جعفر الطيار فى الجنة بجناحين عمى؟».

باء . تعريفه لهم بمنزلته الشرعية، فقال عليه السلام:

«أو لم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى ولأخى: هذان سيدا شباب أهل الجنة»(1).

جيم . دفعه لشبهة عدم سماعهم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفى أخيه الحسن عليهما السلام، فقال:

«وإن كذبتمنى فإن فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصارى وأبا سعيد الخدرى وسهل بن سعد الساعدى وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، يخبروكم أنهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لى ولأخى، أما فى هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!».

دال . وهنا أراد عليه السلام دفع شبهة الخروج الشرعى لقتاله، من خلال الاجتهادات المنحرفة التى وسمت تحرك الإمام الحسين عليه السلام بالخروج على الأمة ولذا: فإن كثيراً منهم زحفوا وهم يعتقدون تحصيل رضا الله والفوز بالجنة، أى إنهم خرجوا للجهاد الذى هو باب من أبواب الجنة.

ومن هنا: أراد الإمام الحسين عليه السلام كشف هذه الشبهة العقائدية وإظهار بطلانها وضلالها فكيف لمن أراد الجنة أن يقدم على قتل سيد شباب أهل الجنة؟!»

إلا اللهم أن تكون هناك جنتان واحدة جاء بها القرآن الكريم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه سيد شبابها الحسن والحسين عليهما السلام، والجنة الثانية جاء بها بنو أمية وأسيادها أبو سفيان وابنه وحفيده ومروان بن الحكم وولده!!.

وهذه الجنة لا يعرفها الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخلقها بل خلق:

<لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَقَقًا> (1).

ولذلك أراد شمر بن ذى الجوشن أن يذر الرماد في العيون كمحاولة فاشلة في صرف الأذهان عن هذه الكلمات التي جردت الجيش من أهم عناصر تجمعه إلا وهو العنصر العقائدى.

فقال تعقيبا على كلام الإمام الحسين عليه السلام: (هو يعبد الله على حرف إن كان يدرى ما يقول).

فرد عليه حبيب بن مظاهر الأسدى: (والله إنى لأراك تعبد الله على سبعين حرف، وأنا أشهد أنك صادق ما تدرى ما يقول قد طبع الله على قلبك).

هاء . دفع الشكوك في معرفتهم لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال:

«فإن كنتم في شك من هذا أفتشكون أنى ابن بنت نبيكم فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيرى فيكم ولا فى غيركم» (2).

1- سورة الكهف، الآية: 29.

2- الإرشاد للشيخ المفيد رحمة الله: ج2، ص98.

واو . دفع حجة قدومه لأخذ القصاص بوقوع الجناية فقال عليه السلام:

«ويحكم أطلبوني بقتيل منكم قتلته؟! أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟».

«فأخذوا لا يكلمونه».

وسبب سكوتهم بأجمعهم قادة للجند، وزعماء عشائر، وجنوداً إنما هو لإسقاط الحجة من أيديهم؛ لأن اجتماعهم هذا يستند إلى أحد هذه الأسباب الثلاثة:

1 \_ سبب شرعى يقتضى الخروج والجهاد، وقد أظهر الإمام فسادَه وبطلانه.

2 \_ سبب عرفى عشائرى يقتضى الخروج لأخذ الثأر من القاتل، وهذا لم يحصل فلم يكن عليه السلام قد قتل منهم أحداً على الرغم من اختلاف عشائرتهم وهو الحال نفسه فى أمر القصاص من جراحة.

3 \_ سبب مادى يقتضى استرجاع مال مأخوذ، وهو لم يقع أيضاً.

فحينما لم يكن هذا الخروج والتجمع يستند إلى هذه الأسباب فهو يعد ظلماً وعدواناً، فكيف إذا أضيف إليه أنهم قدموا لحرب رجلٍ هو من أهل بيتٍ قد أوجب القرآن مودتهم واتباعهم.

أى؛

انقلب السحر على الساحر، فأصبح هذا التجمع خروجاً على القرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاربة لهما.

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ (1).

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ (2).

وقوله عز وجل:

﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (3).

وقال سبحانه وتعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (4).

ناهيك عن أن هذه الجموع التي أحاطت بابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأطفاله وإنزال الأذى والخوف والذعر بهم لاسيما أولئك الأطفال الذين أהלهم صوت الطبول وقرقعة السلاح وهم على تلك المنزلة الخاصة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقربة القريبة منه لا شك أن ذلك قد ألمه صلى الله عليه وآله وسلم أشد الألم وأذاه أيما أذى.

1- سورة المجادلة، الآية: 5.

2- سورة المجادلة، الآية: 20.

3- سورة النساء، الآية: 115.

4- سورة الأنفال، الآية: 13.



وقد قال تعالى في محكم التنزيل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (1).

## ثانيا

إظهاره عليه السلام لنفاقهم وكذبهم فقد كتبوا إليه مستغيثين به لكشف ظلم الحاكم الأموي وولاته ثم زحفوا إليه يقاتلونه، فأى ظلم هذا؟! ولذا؛

حينما لم يسمع منهم رداً على بيانه لزيغ دعواهم الجهادية، والعرفية، والقضائية انتقل إلى دليل آخر يكشف حقيقة نفوسهم وعله قدومهم إلى كربلاء بهذه الآلاف المؤلفة، فنادى:

«يا شيبث بن ربعي، يا حجار بن أبجر، يا قيس بن الأشعث، يا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إلى أن قد أينعت الثمار وأخضر الجناب، وإنما تقدم على جند لك مجنّدة؟!» (2).

فقالوا له: لم نفعل. فقال عليه السلام:

«سبحان الله، بلى والله لقد فعلتم» (3).

1- سورة الأحزاب، الآية: 57.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 45، ص 7.

3- تاريخ الطبري: ج 4، ص 323. مقتل الإمام الحسين عليه السلام لأبي الأزدى: ص 119. معالم المدرستين، السيد مرتضى العسكري: ص 3، 97.

## ثالث

تعريتهم من جميع الأعذار وبيان حقيقة قدومهم، أى استخراج الأفعى من جحرها، وسوف يمر علينا من خلال أسلوب الإمام الحسين عليه السلام فى الحوار \_\_ وهو أسلوب لا يمتلكه إلا من اختاره الله تعالى لدينه وشرعه \_\_ وكيف سيضطر هؤلاء إلى التكشير عن أنيابهم ونفث سموهم.

فهذا التدرج فى إلقاء الحجة وتجريد الآ-خر من ادّعاءاته وإظهار حقيقة نفسه وخلقه ثم دفعه إلى الإقرار والبوح بنيته وظهوره بمظهره الحقيقى هو مما اختص الله تعالى به أهل هذا البيت عليهم السلام.

ولذا:

حينما أنكروا أنهم قد كتبوا إليه عليه السلام جاءهم بما يجبرهم على البوح بحقيقة أمرهم.

فقال عليه السلام:

«أيها الناس إذا كرهتمونى فدعونى أنصرف عنكم إلى مأمن من الأرض؟» (1).

فقال له قيس بن الأشعث \_\_ وهو أحد أبرز عصابة النفاق فى الكوفة \_\_: «أولا تنزل على حكم بنى عمك؟ فإنهم لن يروك إلا ما تحب ولن يصل إليك منهم مكروه» (2).

سبحان الله، كيف نطق أحد أعضاء المؤامرة بالبوح صراحة عن خطتهم

1- تاريخ الطبرى: ج 4، ص 323.

2- المصدر السابق.

وعزمهم على قتله عليه السلام، ولذلك نرى أن الإمام الحسين عليه السلام قد رد عليه بما يؤكد لهم معرفته بحقيقة نفوسهم وما عزموا على فعله، فقال عليه السلام له:

«أنت أخو أخيك؟ أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أفر فرار العبيد.

عباد الله إنى عدت بربى وربكم أن ترجمون، أعود بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

وهنا:

وبعد مفاجأتهم بمعرفته بما عزموا عليه من قتله وسفك دمه، بدليل قوله لابن الأشعث:

(أتريد أن يطلبك بنو هاشم أكثر من دم مسلم بن عقيل) (1).

فقد أثبت لهم وللتاريخ الذى يسجل هذا الحوار أنهم جاءوا لغاية واحدة وهى إجباره عليه السلام على البيعة ليزيد بن معاوية وأنهم قوم منافقون أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر بدليل عدم إيمانهم بتلك الحجج الشرعية التى قدمها لهم من كونه ابن بنت نبيهم، وسيد شباب أهل الجنة، وإنهم كتبوا إليه فلبى استغاثتهم، وإنهم رفضوا رجوعه من حيث قدم، فبدا نفاقهم ظاهراً بيناً لا يحتاج إلى بيان آخر، ولذا قال:

«أعود بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب».

فلو كان هؤلاء يؤمنون بيوم الحساب لفكروا كثيراً جداً قبل أن يقفوا هذا الموقف وبعد هذه الحجج التى احتج بها عليهم.

---

1- الكامل فى التاريخ، ابن الأثير: ج4، ص62، ذكر مقتل الحسين عليه السلام.

وعليه: سنرى أن هناك تغييراً في أسلوب الخطاب الحسيني لهم بعد هذا الإقرار والعزم على قتله وانتهاك حرمة الله عز وجل وحرمة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحرمة عليه السلام.

ثم بين لهم أنهم لا يدركون ما يطلبون وهو النزول إلى حكم يزيد بن معاوية مهما كثرت من حوله الجيوش حتى ولو جاءوه بأهل الأرض.

ولذا سنّ لجميع الأحرار في العالم منهجاً للوصول إلى الحرية والعزة والرفعة والكرامة فقال:

«لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفر فرار العبيد».

وهنا: جعلهم بين خيارين أهونه أمر من طعم الحنظل، فهو عليه السلام لا يستسلم لهم، ولا يجيبهم إلى ما طلبوه كي يؤخذ أسيراً أهل بيته إلى الشام فيرى فيه طاغية بنى أمية رأيه يعفو عنه، أو يطلقه، أو يسجنه، أو يأمر بقتله وهذا فعل الذليل، وهيئات منه ذلك.

وهو لا يفر من القتال لأن هذا الفعل فعل العبيد، ومحال منه ذلك لأنه ابن بنت سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، هذا إذا غضضنا الطرف عن الصفات الشرعية التي اتصف بها من مثل كونه حجة الله تعالى على خلقه وثالث أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسبط هذه الأمة وغيرها من الصفات.

وعليه: وجدوا أنفسهم مع ما عزموا عليه من جرم قتاله أن لا مفر لهم مما اختاروا وخططوا؛ بمعنى: كان الجيش من حيث التركيبة النفسية ينقسم إلى مجموعتين المجموعة الأولى منهم ترغب في إرضاء البلاط الأموي ونيل الجائزة من

خلال إرسال الحسين وأهل بيته إلى الشام دون قتال على تقدير أنه عليه السلام حينما سيرى تلك الجيوش سيستسلم لهم، وبذلك يلقون بتبعات هذه الخطوة في عنق الإمام الحسين عليه السلام لكونه هو الذى اختار هذا الخيار، فيكفيهم مؤونة القتال وذل العار فى حربهم لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوقعوا فى شرك جنائتهم التى اختاروها لأنفسهم وعلى رأس هذه المجموعة قائد الجيش عمر بن سعد \_\_ عليه لعنة الله \_\_ فقد كان فى أول أمره كارها لقتال الحسين عليه السلام إلا أن حبه لملك الرى واتباعه لهواه قاده إلى أن يكون أول من يرمى بسهم نحو مخيم الحسين عليه السلام.

ومما يدل على هذه الحقيقة آياته التى يفصح بها عن حقيقة نفسه فيقول:

فو الله ما أدرى وإنى لحائر

أفكر فى أمرى على خطرين

أترك ملك الرى والرى منيتى

أم أرجع مأثوما بقتل حسين

حسين ابن عمى والحوادث جمه

لعمرى ولى فى الرى قره عين

ألا إنما الدنيا بخير معجل

فما عاقل باع الوجود بدين

وأن إله العرش يغفر زلتى

ولو كنت فيها أظلم الثقلين

يقولون إن الله خالق جنة

ونار وتعذيب وغل يدين

فإن صدقوا فيما يقولون إننى

أتوب إلى الرحمان من سنتين

وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة

وملك عقيم دائم الحجلين(1)

والمجموعة الثانية: كانت عازمة بكل ما أوتيت من قوة على قتله هو وأهل بيته عليهم السلام، بل خططوا للتمثيل بالأجساد وتقطيع الرؤوس وعلى رأسهم شمر بن ذى الجوشن \_\_ لعنه الله \_\_ الذى يعد اليد الطولى لطاغيته يزيد بن معاوية والمطيع

---

1- اللهوف فى قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس: ص193. مناقب آل أبى طالب عليه السلام:

الودود لواليه على الكوفة عبيد الله بن زياد \_\_ لعنهم الله جميعاً \_\_ بما آذوا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتلهم لولده وذريته عليهم السلام.

ومما يدل عليه:

الكتاب الذى بعثه عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد وكان حامله إليه شمر بن ذى الجوشن، فقال فيه: (إني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتطاوله ولا لتمنيه السلامة والبقاء ولا لتعتذر له ولا لتكون له عندى شافعاً، أنظر فإن نزل الحسين وأصحابه على حكمى واستسلموا فابعث بهم إلى سلمى، وإن أبوا فأزحف إليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فإنهم لذلك مستحقون، وإن قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره، فإنه عات ظلوم، وليس أرى أن هذا يضر بعد الموت شيئاً، ولكن على قول قد قتلته لو قتلته لفعلت هذا به، فإن أنت مضيت لأمرنا فيه جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن آبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر بن ذى الجوشن وبين العسكر فإننا قد أمرنا بأمرنا، والسلام) (1).

فجميع هؤلاء سواء الذين كانوا يرغبون باستسلام الإمام الحسين عليه السلام أم المصممون على قتله والتمثيل بجسده هم فى الجرم سواء يجمعهم جامع مشترك النفاق وعدم الإيمان باليوم الآخر والسعى وراء المال.

---

1- الإرشاد، الشيخ المفيد: ج2، ص89. مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب: ج3، ص248. تاريخ الطبرى: ج4، ص314. الكامل فى التاريخ، ابن الأثير: ج4، ص56. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج44، ص390. مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف: ص101. إعلام الورى، الطبرسى: ج1، ص453. ينابيع المودة، القندوزى: ج3، ص28. شرح إحقاق الحق، المرعى: ج33، ص606.

## رابعاً

وعلى الرغم من هذا الإفصاح فى عزمهم على قتله عليه السلام لم يكتف عليه السلام بما تقدم من الخطاب، بل استمر فى إلقاء الحجّة عليهم ومحاولة إرجاعهم إلى جادة الصواب كى لا يقعوا فيما لم تفعله أمة من الأمم فى أهل بيت نبيها.

إلا أن الفارق بين الخطبتين هو:

1\_\_ اختصار إيراد الحجج، فقد اكتفى عليه السلام فى هذه الخطبة بحمل كتاب الله لنشره على رأسه ووقف بازاء القوم، وقال:

«يا قوم إن بينى وبينكم كتاب الله وسنة جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم استشهدهم عليه السلام عن نفسه المقدسة وما عليه من سيف النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولا مته، وعمامته. فأجابوه بالتصديق، فسألهم عما أقدمهم على قتله؟!.

قالوا: طاعة للأمر عبيد الله بن زياد.

2\_\_ تغيير الأسلوب الخطابى من الاحتجاج والوعظ، إلى التقرير والتوبيخ؛ ثم بيان حقائق أخلاقهم، ونحلهم، وأصنافهم؛ وهو قوله عليه السلام:

«تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً وبؤساً لكم! حين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، فشحذتم علينا سيفاً كان فى أيدينا، وحمشتم علينا ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلها على أوليانكم، ويذا على أعدائكم من غير عدل أفسوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ولا ذنب كان منا إليكم، فهلا لكم الولايات إذ كرهتمونا(1) والسيف مشيم، والجأش طامن، والرأى لم

1- وقد وردت فيه بلفظ: (تركتمونا) انظر: مثير الأحزان، ابن نما: ص 40. تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 14، ص 218.



يستحصف. ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدبا، وتهافتم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفها، فبعدا وسحقا لطواغيت هذه الأمة! وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، ومطفئى السنن، ومؤاخي المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضيّن، وعصاة الإمام، وملحقى العهرة بالنسب، ولبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون.

أفهؤلاء تعضدون، وعنا تتخاذلون!! أجل والله، خذل فيكم معروف، نبتت عليه أصولكم، واتذرت عليه عروقكم، فكنتم أخبث ثمر شجر للناظر، وأكلة للغاصب».

3\_\_ وضع عليه السلام النقاط على الحروف فى كشف ما انطوت عليه عزيمة عبيد الله بن زياد ومن سيقوم بتنفيذ هذا الأمر.

وجاء ذلك فى قوله عليه السلام:

«ألا وإن الدعى ابن الدعى قد تركنى بين السلة والذلة وهيهات له ذلك منى! هيهات منا الذلة!».

4\_\_ إظهار موقفه الشرعى من هذه الحرب.

وجاء ذلك فى قوله عليه السلام:

«هيهات منا الذلة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طهرت وجدود طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا وإئى زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد، وكثرة العدو، وخذلة الناصر».

5\_\_ إخبارهم بسنة كونية وهو ما يعرف بالسنن التاريخية كنتيجة حتمية الوقوع لما سيقترفون من ظلم.

وهو قوله عليه السلام:

«أما والله لا تلبثون إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحي، وتقلقون قلق المحور، عهد عهده إلى أبي عن جدى؛ فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمة، ثم اقصوا إلى ولا تنظرون؛ إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم»<sup>(1)</sup>.

ونتيجة لما تقدم:

يكونون قد استحقوا العذاب الإلهي، فكان أول مصادر نزوله وتحققه هو دعاء حجة الله تعالى عليهم بسوء العذاب؛ وإلا فإن أئمة أهل البيت عليهم السلام اصطفاهم الله تعالى لرحمة الأمة لا سبباً للعذاب.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾<sup>(2)</sup>.

لاسيما وأن هذا الدعاء جاء بعد الخطبة الثانية التي تغير فيها أسلوب الخطاب معهم، لأنهم صرحوا بقتله عليه السلام على الرغم من تلك الحجج البالغة التي قدمها إليهم.

1- أنظر هذه الخطبة في: تحف العقول، البحراني: ص 241. الاحتجاج، الطبرسي: ج 2، ص 24. مناقب آل أبي طالب عليه السلام: ج 3، ص 257. مثير الأحزان، ابن نما: ص 40. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 45، ص 8. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج 14، ص 218. كتاب الفتوح، ابن أعمش: ج 5، ص 116. مطالب السؤول، ابن طلحة الشافعي: ص 383. الفصول المهمة، ابن الصباغ: ج 2، ص 766.

2- سورة آل عمران، الآية: 33.

## المبحث الثاني: مبحث قانوني

### منهج الإمام الحسين عليه السلام في القصاص من الظالمين

#### إشارة

قال عليه السلام في دعائه على جيش عمر بن سعد وقد رفع يديه نحو السماء:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسنى يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصبرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لى ولأوليائى وأهل بيتى وأشياعى منهم، فإنهم غرونا، وكذبونا، وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير»<sup>(1)</sup>.

المسائل المتعلقة بالمبحث:

#### المسألة الأولى: إيكال الانتقام إلى الله تعالى

يسلك الإمام الحسين عليه السلام فى أمر القصاص من الظالمين نفس مسلك القرآن الكريم كما أنه لم يتعدَّ مسلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إلا أن السمة التى اتسم بها منهج الإمام الحسين عليه السلام فى القصاص من الظالمين هو إيكال أمر الانتصار على الظلمة إلى الله تعالى.

بمعنى:

أن الإمام الحسين عليه السلام كان يمكن أن ينتصر لنفسه من الظالمين بما أعطاه الله تعالى من ولاية كونية فيأتيهم بجنود — كما قال نبي الله سليمان عليه السلام:

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج45، ص10. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبد الله البحراني: ص253.

لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين: ص132. اللهوف فى قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس: ص60.

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قَبِيلَ لَهُم بِهَا﴾(1).

إلا أنه أوكل الأمر إلى الله تعالى لحكمة يظهرها الحديث الوارد عن الإمام الصادق عليه السلام.

فعن عبد الله بن سنان، عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: يا ابن آدم اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي لا- أمحكك فيمن أمحق وارض بي منتصرا فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»(2).

وفي لفظ آخر:

«وإذا ظلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»(3).

والحكمة في ذلك من وجوه:

أولاً: إن المنشأ النفسى للانتصار على العدو هو الغضب، والغضب يدفع للانتقام، وهنا تكمن الخطورة إذ قد يكون الانتقام من الظالم يفوق ظلم الظالم، فيتحول الانتقام إلى ظلم أيضا.

ثانياً: قد يكون الانتقام من الظالم يعزز في نفس الظالم الأخذ بالتأثر مما يؤدي إلى اتساع دائرة الظلم وإيقاع أطراف بريئة.

1- سورة النمل، الآية: 37.

2- الكافي للشيخ الكليني رحمة الله: ج2، ص304، ح8.

3- الكافي، الشيخ الكليني رحمة الله: ج2، ص304، ح9.

ثالثاً: إنّ انتقام الله تعالى من الظالمين يكون على قدر ظلمهم فلا ينقص مثقال ذرة ولا يزيد مثقال ذرة.

رابعاً: إن نوعية العذاب من الله تعالى في انتقامه من الظالمين تحدده المصلحة العامة والخاصة، فمنها ما يخص الظالم ومنها ما يخص المجتمع.

خامساً: إن انتقام المظلوم من الظالم يفوّت عليه ثواب وقوع الظلم عليه، لأنه حينما ينتقم من الظالم هو يقصد في هذا الفعل الانتصار لنفسه.

ومن هنا:

وإن كان الإمام الحسين عليه السلام لا يخرج الانتصار على الظالمين بالانتقام منهم عن رضا الله تعالى لأنه حجة الله تعالى، إلا أنه أوكل ذلك الانتصار إلى الله تعالى، لأنه أحب إلى قلبه، ولمعرفته بأن عذاب الله أشد نكالاً وأبقى أثراً، وطمعاً في نيل رضا الله تعالى الذي خرج لأجله.

### المسألة الثانية: مفهوم الانتقام ومصادقه

حينما نستعرض القرآن الكريم للبحث عن مفهوم الانتقام ومصادقه نجد أنه يتحدث عن الانتقام كمفهوم هو (الاستحقاق للعذاب)، ثم يتحدث كذلك عن المستحق للعذاب، وعن نوع الاستحقاق، وعن نوع العذاب، وهو في هذه الحالة يبين لنا مصادق الانتقام.

وحينما نعرض هذه المعطيات في المفهوم والمصادق على دعاء الإمام الحسين عليه السلام نجد حالة من التلازم في هذه المعطيات.

قال تعالى:

<وَلَذِيْقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (21) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ> (1).

قال العلامة الطباطبائي قدس سرّه، (توفى 1412هـ): (لما كان غاية إذقتهم العذاب رجوعهم المرجو، والرجوع المرجو هو الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة والإنابة كان المراد بالعذاب الأدنى هو عذاب الدنيا النازل بهم للتخويف والإنذار ليتوبوا دون عذاب الاستئصال ودون العذاب الذي بعد الموت؛ وحينئذ المراد بالعذاب الأكبر عذاب يوم القيامة.

والمعنى: أقسم لنذيقنهم من العذاب الأدنى أى الأقرب مثل السنين والأمراض والقتل ونحو ذلك قبل العذاب الأكبر يوم القيامة لعلهم يرجعون إلينا بالتوبة من شركهم وجحودهم.

قيل: سمى عذاب الدنيا أدنى ولم يقل: الأصغر، حتى يقابل الأكبر، لأن المقام مقام الإنذار والتخويف ولا يناسب عد العذاب أصغر، وكذا لم يقل دون العذاب الأبعد حتى يقابل العذاب الأدنى لعدم ملاءمته مقام التخويف.

وقوله تعالى:

<وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ>.

كأنه فى مقام التحليل لما تقدم من عذابهم بالعذاب الأكبر بما أنهم مكذبون فعلة بأنهم ظالمون أشد الظلم بالإعراض عن الآيات بعد التذكرة فىكونون مجرمين والله منتقم منهم.

فقوله:

<وَمَنْ أَظْلَمُ>، الخ.

تحليل لعذابهم بأنهم ظالمون أشد الظلم ثم قوله:

<إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ>.

تحليل لعذاب الظالمين بأنهم مجرمون والعذاب انتقام منتقم والله منتقم من المجرمين(1).

والإمام الحسين عليه السلام فى دعائه يبين استحقاق هؤلاء للعذاب لأنه بين لهم آيات الله وأنذرهم من عذابه إلا أنهم أعرضوا عن آيات ربهم فهم حينئذ مستحقون للعذاب وهم مجرمون؛ بل إنهم انحدروا إلى ما هو أعظم من ذلك فقد عزموا على قتله مع أهل بيته عليهم السلام.

ومثلما حدد القرآن نوع العذاب الذى استحقه هؤلاء وكيفية الانتقام كذلك فعل الإمام الحسين عليه السلام فى دعائه عليه السلام، فقال:

«أما والله لا تلبثون بعدها إلا كرىثما يركب الفرس، حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلى أبى عن جدى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

## المسألة الثالثة: نوع العذاب وكيفيته اللذان بهما يتحقق مصداق الانتقام

### إشارة

فى نوع العذاب وكيفيته اللذين بهما يتحدد مصداق الانتقام يعرض القرآن لنا ذلك فى قوله تعالى:

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْئًا يَعْذِيبُكُمْ بِهِمْ كَمَا بَأْسَ بَعْضِ النَّاسِ لَمَّا كَانُوا فِي أَعْيُنِنَا فَصَبْرًا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَأْمُرُوا بِالْعَدْلِ كَذَلِكَ هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي يُقْتَدِرُ اللَّهُ عَلَيْهِ لِيُخْرِجَ الْفُجُورَ مِنْ دُونِ الْبِرِّ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (1).

فالأية المباركة تعرض لنا نوعية العذاب وكيفيته كدليل عملى على مصداق الانتقام من المجرمين، فالآية المباركة تحدد الانتقام بثلاثة أنواع من العذاب، وهى:

1\_ العذاب من فوقهم

2\_ العذاب من تحت أرجلهم

3\_ العذاب من بينهم

وهذه الأنواع اختلف فيها المفسرون إلا أن المعنى العام لهذه الأنواع انحصر فى مصادر نزول هذا العذاب لا نوعيته.

ففى النوع الأول يكون مصدره السماء (كالمطر) كما حدث لقوم نوح، فقال تعالى:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّثَمَرٍ﴾ (2).

1- سورة الأنعام، الآية: 65.

2- سورة القمر، الآية: 11.



أو (الريح) كما حدث لقوم عاد، حيث قال تعالى:

<فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لَّنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ> (1).

أو (الحجارة) كأصحاب الفيل وقوم لوط، قال عز وجل:

<فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنصُودٍ> (2).

والنوع الثاني من العذاب يكون مصدره الأرض ك\_ (الخسف)، قال تعالى:

<أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ> (3).

أو (الزلزلة)، حيث قال تعالى:

<إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا> (4).

أو (القحط) كما حدث لقوم يوسف عليه السلام.

والنوع الثالث من العذاب يكون مصدره من بينهم كالاختلاف والفرقة فيقع فيما بينهم السيف حينما يجعلهم الله شيعاً، كما دلت عليه الآية سابقاً: أي أحزاباً وجماعات.

1- سورة فصلت، الآية: 16.

2- سورة هود، الآية: 82.

3- سورة النحل، الآية: 45.

4- سورة الزلزلة، الآية: 1.

هذا النسق القرآنى فى تحديد نوعية العذاب وتعيين مصادره قد استخدمه الإمام الحسين عليه السلام فى دعائه على جيش عمر بن سعد كى ينتقم الله له منهم، فقال عليه السلام:

أولاً:

«اللهم احبس عنهم قطر السماء».

وهو النوع الأول الذى ذكرته الآية المباركة، أى:

<يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ> (1).

ثانياً:

«وابعث عليهم سنين كسنى يوسف».

وهو النوع الثانى الذى ذكرته الآية، أى:

<وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ>.

ومصدره الأرض وقد أصابهم الله بالقحط والشح وغلاء الأسعار وتفشى المجاعة. ثالثاً:

«يسقيهم كأساً مصبرة ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لى ولأوليائى وأهل بيتى وأشياعى منهم».

وهو النوع الثالث الذى ذكرته الآية، وهو قوله تعالى:

<أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ> (2).

---

1- سورة العنكبوت، الآية: 55.

2- سورة الأنعام، الآية: 65.

أى أن يأتيهم العذاب من ابن بلدتهم فيسلط عليهم غلام ثقيف وهو المختار بن أبي عبيد الثقفى الذى تتبع هؤلاء القتلة المجرمين فاقتص منهم قتلة بقتلة، وضربة بضربة \_\_ وهو ما سنعرض له فى المبحث اللاحق \_\_.

إذن:

يجرى دعاء الإمام الحسين عليه السلام على جيش أهل الكوفة مجرى القرآن الكريم فى تحديد نوع العذاب ومصادر انطلاقه؛ إلا أن السمة الأخرى التى اتسم بها دعاء الإمام الحسين عليه السلام: هو بيانه للحكمة التى تحدت بها هذه الأنواع من العذاب، بمعنى إرجاعه عليه السلام هذه الأنواع الثلاثة من العذاب إلى بواعث استحقاقها.

أى إن لكل ذنب من الذنوب ما يستحقه من العقاب، وإن طبيعة هذا الذنب ومقدار ضرره على البشرية هى التى ترسم نوع الانتقام.

ولذا:

فقد أظهر مسببات هذه الأنواع الثلاثة من العذاب، فقال عليه السلام معللاً سبب استحقاقهم لهذه الأنواع الثلاثة من العذاب بقوله عليه السلام:

«فإنهم غرونا، وكذبونا، وخذلونا».

وهى ثلاثة أيضاً. فيكون:

### **أولاً: التغرير بأهل البيت عليهم السلام**

يوجب العذاب من السماء، وهو حبس المطر، أى العذاب البيئى، فحبس المطر يسبب تلوث الهواء، وارتفاع درجات الحرارة، وانتشار الأوبئة وتفشى الأمراض.

**ثانياً: وأما تكذيب الناس لأهل البيت عليهم السلام**

فإنه يوجب القحط والشح وغلاء الأسعار وانتشار البطالة وتفشى الجوع وارتفاع نسبة الفقر فضلاً عن الخسف أو الزلزلة.

**ثالثاً: وأما خذلان الناس لأهل البيت عليهم السلام**

فيوجب وقوع الفتنة والفرقة والقتل فيما بين الناس.

\_\_ أجازنا الله وجميع المؤمنين من الوقوع في هذه المهلكات، ووقفنا للفتور برضا محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم \_\_ فإن رضاهم رضا الله، وغضبهم غضب الله تعالى؛ كما صرح به عليه السلام حينما أراد الخروج من مكة فقال عليه السلام:

«الحمد لله وما شاء الله، ولا قوه إلا بالله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيّر لي مصرع أنا لاقية كاني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكرباء، فيملأن منى أكراشا جوفاً، وأجربة سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفينا أجور الصابرين»<sup>(1)</sup>.

1- مشير الأحزان، ابن نما الحلّي: ص 29. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج 44، ص 367.



## الفصل السادس: تحقق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام

إشارة



## المبحث الاول: تحقق الأثر الغيبي بعد بضع سنين من عاشوراء

### إشارة

من الحقائق التي كشفها الحدث التاريخي في حياة المسلمين هو تحقق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء بعد استشهاده بفترة زمنية قصيرة، بل إن الحدث لينطق بلسان فصيح عن تحقق تلك الكلمات التي أخبرت عن مجريات الأحداث المستقبلية بعد يوم عاشوراء وبأدق تفاصيلها لينكشف معها ظهور خصائص الأثر الغيبي في دعاء المعصوم عليه السلام.

إذ لم يكتف الإمام الحسين عليه السلام ببيان نوع العذاب الذي سيناله هؤلاء، بل كشف عليه السلام عن اسم المقتص منهم وعن نوع الاقتصاص.

### الحلقة الأولى: إن الله تعالى سلط عليهم غلام ثقيف

### إشارة

قال عليه السلام:

«وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مصيرة، ولا يدع فيهم أحداً إلا قتله، قتلة بقتلة، وضربة بضربة، ينتقم لى ولأوليائى وأهل بيتى وأشياعى منهم».

فمن هو غلام ثقيف؟ وكيف انتقم لسيد شباب أهل الجنة من أعدائه؟ وكيف كان قصاصه منهم؟.



هذه الأسئلة نجيب عليها من خلال المسائل الآتية:

**المسألة الأولى: من هو غلام ثقيف؟ وما هي مكانته الاجتماعية، ومدى علاقته بأهل البيت عليهم السلام؟.**

**أولاً: من هو المختار؟**

نشأ المختار في أسرة عريقة، فوالده: ابو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمير بن عوف، بن عقدة بن غيره بن عوف بن قسى — وهو ثقيف — بن منبّه بن بكر بن هوازن.

وأمه: دومة بنت عمرو بن وهب بن معتب، وكانت من ربّات الفصاحة والبلاغة والرأى والعقل(1).

وكان مولد المختار في السنة التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى المدينة(2).

**ثانياً: مكانته الاجتماعية**

كان المختار ذا مكانة اجتماعية راقية، وقد وصفه ابن عبد البر بقوله: (كان معدوداً من أهل الفضل والخير)، وقال أيضاً: (كان المختار معدوداً في أهل الفضل والدين)(3).

وهو أحد وجوه الشيعة في المجتمع الكوفي وقد تعرض للاعتقال مع أربعة عشر نفعراً من وجهاء الكوفة بسبب موالاتهم وتشيعهم لأهل البيت عليهم السلام وكان ذلك أثناء تولي زياد بن أبيه الإمارة على الكوفة، ومما يشير إلى مكانته في المجتمع الكوفي نزول مسلم بن عقيل في داره حينما قدم الكوفة سفيراً للإمام الحسين عليه السلام.

1- أعلام النساء: ج 1، ص 421.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج 45، ص 350.

3- الاستيعاب، القسم الرابع: ص 1465.

### ثالثاً: علاقة المختار بأهل البيت عليهم السلام

كان المختار قديم الصلة بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ طفولته، فترى عندهم ونشأ بينهم، لأنه قد انتقل إلى المدينة مع أبيه، في زمن عمر، وتوجه أبوه إلى العراق، فاستشهد يوم الجسر، وبقي المختار في المدينة، منقطعاً إلى بنى هاشم(1).

وقد توسم فيه الإمام على عليه السلام منذ صباه الفطنة والذكاء، فكان يجلسه على فخذه ويمسح رأسه، ويقول له:

«يا كيّس... يا كيّس»(2).

واستمر تردده على بنى هاشم يأخذ عنهم الأدب والعلم، وبعد فترة من صلح الإمام الحسن بن على عليهما السلام عاد من الكوفة إلى المدينة، وكان يجالس محمد بن الحنفية، ويأخذ عنه الأحاديث(3).

وجاء في كتاب (مقتل الإمام الحسين للسيد عبد الرزاق المقرم) قوله: (المختار بن أبى عبيدة الثقفى... انقطع إلى آل الرسول الأقدس فاستفاد منهم علماً جمّاً، وأخلاقاً فاضلة، وناصح لهم فى السرّ والعلانية)(4).

### رابعاً: حبس المختار فى سجن الكوفة ومنعه من الالتحاق بكرى بلاء

بعد أن انقلب أنصار مسلم بن عقيل عليه السلام وبعد تخفيه فى بعض بيوت الكوفة، انقلبت كفة الأمور لصالح عبيد الله بن زياد، وفى نفس هذه الليلة التى

1- الأعلام، ج8، ص70.

2- معجم رجال الحديث: ج18، ص95.

3- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص352.

4- المصدر السابق.

كان فيها مسلم بن عقيل متواريا عن الأنظار دخل المختار بن أبي عبيد الكوفة يحمل راية خضراء(1)، وتحوط به مواليه(2) حتى انتهى إلى باب الفيل من مسجد الكوفة، وهناك صدمته الحقيقة لأن خبر انقلاب الناس على مسلم بن عقيل لم يكن قد وصل إليه، فبقى على حيرة من أمره لا يعلم بمكان مسلم حتى ينصره ولا يقدر على الرجوع إلى أهله لأن جيش ابن زياد قد سد على الناس منافذ الدخول والخروج إلى الكوفة وأعلن حظراً للتجوال في عموم شوارع الكوفة وأزقتها وبين هذه الخيارات الصعبة، يمرّ به هاني بن أبي حية الوادعي فيعرض عليه أن ينزل على عمرو بن حريث فاستجاب مضطراً إلى الصباح(3).

وفي اليوم الثاني يأمر ابن زياد أن يدخل عليه الناس عامة فيدخل المختار في من دخل فيتوجه إليه ابن زياد قائلاً له: (أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل، فقال له: لم أفعل ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث، وبت معه وأصبحت، فقال له عمرو: صدق \_\_ أصلحك الله \_\_ فرجع عبيد الله القضيبي، فاعترض وجه المختار فخبط به عينه فشرها وقال: أما والله لو لا شهادة عمرو لك لضربت عنقك، انطلقوا به إلى السجن(4).

وبعد أيام من اعتقال المختار يعتقل ميثم التمار، ويودع السجن مع المختار، وبعد حديث بينهما ينبعث في روح المختار أمل بالنجاة والخلاص من يد هؤلاء

1- تاريخ الطبري: ج5، ص381.

2- تاريخ الطبري: ج5، ص569.

3- تاريخ الطبري: ج5، ص570.

4- المصدر السابق.

الأشرار، بل والشرف العظيم بأخذ ثأر سيد الشهداء وأصحابه الأخيار حيث يقول له ميثم نقلاً عن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«إنك تقلت وتخرج ثأراً بدم الحسين عليه السلام فتقتل هذا الذي قتلنا...».

فتطمئن نفس المختار بهذا الكلام، لأنه واثق من مصدره ومُصدّق له، وبدأ يعدّ الساعات والدقائق، ويهيئ نفسه للقيام بالمهمة الكبرى.

### خامساً: أثر مقتل الحسين عليه السلام على المختار

كانت الأيام تمر سراعاً في سجن ابن زياد عليه اللعنة وكانت الأخبار لا تأتي إلا بما يسوء، وفجأة يقرع أسماع من كان مسجوناً في زنزانه ابن زياد نبأ الفاجعة العظمى، والمجزرة الكبرى، التي ذبح فيها الحسين وآل الحسين عليهم السلام وأنصاره وأريقت دماؤهم الزكية على أرض كربلاء بعد ثلاثة أيام من العطش المهلك وفصلوا الرؤوس عن الأجساد، وتركوا أجسادهم مجردة، وأبدانهم مرملة، وخدودهم معفّرة... تصهرهم الشمس وتسفى عليهم الريح وبعد ذلك حملوا نساء البيت العلوي والأطفال على ظهور الجمال العجاف سبياً إلى أبناء الطلقاء.

فكان كلما ورد خبر من هذه الأخبار إلى أسماع المختار ورفاقه السجناء تزداد جروحهم عمقاً، وتشتد فيهم حالة الغضب على هؤلاء الجناة، ويشتد فيهم الشعور بالتقصير تجاه آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتأنيب الضمير لخذلانهم أهل الحق، وسكوتهم على جراءة الباطل.

### سادسا: انطلاقاً ثورة التوابين واتصال بعض قادتها بالمختار

تزرع حركة التوابين خمسة من زعماء الشيعة هم كل من: (سليمان بن صرد الخزاعي، المسيب بن نجبة الفزاري، عبد الله بن سعد بن نقييل الأزدي، عبد الله بن والي التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي) وكلهم من خيار صحابة على عليه السلام، ونظرة واحدة إلى هذه الأسماء تعطينا فكرة عن القبائل التي أسهمت في هذه الحركة التوابية، فكتب سليمان بن صرد إلى شيعة المدائن وشيعة البصرة يستنهضهم للأخذ بثأر الحسين فأجابوه جميعاً إلى ما دعاهم إليه.

وعندما التقى جيش التوابين بجيش ابن زياد طلب منهم ابن زياد أن يستسلموا ويبيعوا لعبد الملك بن مروان فرفض قادة التوابين هذا الرأي، طلب التوابون من جند الشام أن يخلعوا عبد الملك وينضموا إلى التوابين لقتال الأمويين والزبيريين وتسليم الخلافة لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فرفض أهل الشام هذا الرأي.

وبدأت المعركة بين الفريقين وصمد التوابون لأهل الشام وقاتلوا قتال الأسود الضواري، وكادت المعركة أن تنتهي لصالحهم لولا النبال التي انهالت عليهم من كل جانب، وأصيب قائدهم سليمان بسهم كان به نهاية حياته.

وأخذ الراية من بعده المسيب بن نجبة، وكان من أبطال الكوفة، فحمل بمن معه على أهل الشام... ولما قتل استمات أصحابه وهاجموا أهل الشام وهم يقولون: الجنة الجنة إلى البقية من أصحاب أبي تراب... لكن المعركة انتهت لصالح أهل الشام ورجع من بقي من التوابين — وهم قلة — كل إلى بلده، لم يحققوا الهدف الذي حاربوا من أجله.

ووصل إلى مسامع المختار وهو في السجن نبأ استشهاد سليمان وجمع من أصحابه على يد عبيد الله بن زياد، ورجوع المتبقين من جيش التوابين إلى الكوفة فكاتبهم في رسالة يثني فيها على جهادهم ويعرض عليهم الانخراط معه من جديد في ركاب الثورة، وكان نصّ الكتاب: (أما بعد فإنّي في الله أعظم لكم الأجر واحط عنكم الوزر بمفارقة القاسطين وجهاد المحليين، وأنكم لم تنفقوا نفقة، ولم تقطعوا عقبه، ولم تخطوا خطوة إلاّ رفع الله لكم بها درجة، وكتب بها حسنة، على ما يحصيه الله من التضعيف، فابشروا فإنّي لو قد خرجت لجردت ما بين المشرق والمغرب في عدوكم السيف بإذن الله... فرحب الله بمن قارب منكم واهتدى ولا يبعد الله إلا من عصى وأبى، والسلام على من اتبع الهدى.

فأجابوه: قد قرأنا الكتاب ونحن حيث يسرك فإن شئت أن نأتيك حتى نخرجك فعلنا(1).

### المسألة الثانية: إعلان ساعة الصفّر في الكوفة لمعركة القصاص

#### إشارة

استطاعت شخصية المختار الفدّة أن تجتمع أكثر الناس المعارضين للدولة الأموية وللدولة الزبيرية وكان الجو مشحوناً بالتوتر ضد والي ابن الزبير الذي استعان بقتلة الإمام الحسين عليه السلام في الإدارة لشؤون الكوفة، فاستغل المختار هذه الأجواء للانطلاق من خلالها بالثورة، فحدّد تاريخ الرابع عشر من ربيع الثاني موعداً لإعلان ساعة الصفّر.

فاستولى المختار على قصر الإمارة وسيطر على كامل أرض الكوفة بعد أربعة أيّام من الكر والفر، وجلس في القصر، واجتمع عليه الناس للبيعة فلم يزل باسطاً

يده حتى بايعه خلق من العرب والسادات والموالي(1).

ويعد أن سيطر على الكوفة بشكل كامل، أرسل العمّال والولاة إلى نواحي الكوفة والمناطق التابعة لها وفرّق العمّال بالجبال والبلاد(2).

### أولاً: تتبعه لقتلة الحسين عليه السلام والاقتصاص منهم

ذكر الطبرى فى تاريخه أن المختار تجرد لقتلة الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وقال: (اطلبوهم، فإنه لا يسوغ لى الطعام والشراب، حتى أظهر الأرض منهم).

قال موسى بن عامر: فأول من بدأ به الذين وطأوا الحسين عليه السلام بخيلهم، وأنامهم على ظهورهم، وضرب سلك الحديد فى أيديهم وأرجلهم، وأجرى الخيل عليهم حتى قطعتهم، وحرقتهم بالنار، ثم أخذ رجلين اشتركا فى دم عبد الرحمن بن عقيل بن أبى طالب وفى سلبه، كانا فى الجبانة، فضرب أعناقهما، ثم أحرقتهما بالنار، ثم أحضر مالك بن بشير فقتله فى السوق.

ثم بعث أبا عمرة فأحاط بدار خولى بن يزيد الأصبحى، وهو حامل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد، فخرجت امرأته إليهم وهى النوار ابنة مالك كما ذكر الطبرى فى تاريخه، وقيل: اسمها العيوف، وكانت محبة لأهل البيت عليهم السلام قالت: لا أدرى أين هو؟ وأشارت بيدها إلى بيت الخلا، فوجدوه وعلى رأسه قوصرة، فأخذوه وقتلوه، ثم أمر بحرقه.

ثم بعث عبد الله بن كامل إلى حكيم بن الطفيل السنيسى وكان قد أخذ

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج 45، ص 361.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج 45، ص 366.

سلب العباس، ورماه بسهم، فأخذوه قبل وصوله إلى المختار، ونصبوه هدفا، فرموه بالسهم.

وبعث إلى قاتل علي بن الحسين (الأكبر) عليهما السلام وهو مرة بن منقذ العبدى، وكان شيخا، فأحاطوا بداره، فخرج ويده الرمح وهو على فرس جواد، فطعن عبید الله بن ناجية الشبامى فصرعه، ولم تضره الطعنة، وضربه ابن كامل بالسيف فاتقاها بيده اليسرى، فأشرع فيها السيف، وتمطرت به الفرس فأفلت، ولحق بمصعب بن الزبير، وشلت يده بعد ذلك.

وأحضر زيد بن رقاد فرماه بالنبيل والحجارة وأحرقه، وهرب سنان بن أنس (لعنه الله) إلى البصرة فهدم داره، ثم خرج من البصرة نحو القادسية، وكان عليه عيون، فأخبروا المختار، فأخذ بين العذيب والقادسية، فقطع أنامله، ثم يديه ورجليه، وأغلى زيتا فى قدر وألقاه فيه.

وهرب عبد الله بن عقبة الغنوى إلى الجزيرة فهدم داره، وفيه وفي حرملة بن الكاهل (لعنه الله) وقد قتل واحدا من أصحاب الحسين عليه السلام يقول الشاعر:

وعند غنى قطرة من دماننا

وفى أسد أخرى تعد وتذكر

حدث المنهال بن عمرو قال: دخلت على زين العابدين عليه السلام أودعه وأنا أريد الانصراف من مكة، فقال: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل؟ وكان معى بشر بن غالب الأسدى، فقلت: هو حى بالكوفة، فرفع يديه، وقال: اللهم أذقه حر الحديد، اللهم أذقه حر النار. قال المنهال: وقدمت إلى الكوفة والمختار بها فركبت إليه، فلقيته خارجا من داره، فقال: يا منهال، ألم



تشركننا فى ولايتنا هذه؟ فعرفته أنى كنت بمكة، فمشى حتى أتى الكناس، ووقف كأنه ينتظر شيئاً، فلم يلبث أن جاء قوم، فقالوا: أبشر أيها الأمير فقد اخذ حرملة، فجىء به، فقال: لعنك الله، الحمد لله الذى أمكننى منك، الجزار، الجزار، فأتى بجزار، فأمره بقطع يديه ورجليه، ثم قال: النار النار، فأتى بنار وقصب فاحرق.

فقلت: سبحان الله! سبحان الله! فقال: إن التسييح لحسن، لم سبحت؟ فأخبرته بدعاء زين العابدين عليه السلام فنزل عن دابته، وصلى ركعتين، وأطال السجود، ثم ركب وسار فحاذى دارى، فعزمت عليه بالنزول والتحرم بطعامى، فقال: إن على بن الحسين عليهما السلام دعا بدعوات فأجابها الله على يدي، ثم تدعونى إلى الطعام؟ هذا يوم صوم شكر لله تعالى، فقلت: أدام الله توفيقك.

وانهزم عبد الله بن عروة الخثعمى إلى مصعب فهدم داره، وطلب عمرو بن صبيح الصيداوى فأتوه وهو على سطحه بعدما هدأت العيون، وسيفه تحت رأسه، فأخذوه وسيفه، فقال: قبحك الله من سيف، ما أبعدك على قربك، فجىء به إلى المختار، فلما كان من الغداة طعنوه بالرماح، حتى مات.

وأنفذ إلى محمد بن الأشعث بن قيس وقد انهزم إلى قصر له فى قرية إلى جنب القادسية، فقال: انطلق فإنك تجده لاهيا متصيذا، أو قائما متلبدا، أو خائفا متلدا، أو كامنا متغمداء، فائتنى برأسه، فأحاطوا بالقصر، وله بابان، فخرج ومشى إلى مصعب، فهدم القصر وداره، وأخذ ما كان فيهما.

قال المرزبانى: وأتوه بعبد الله بن أسيد الجهنى ومالك بن هيثم البدائى،

وحمل ابن مالك المحاربى من القادسية، فقال لهم المختار: يا أعداء الله، أين الحسين بن على عليهما السلام؟.

قالوا: أكرهنا على الخروج، قال: فألا مننتم عليه وسقيتموه من الماء؟!، وقال للبدائي: أنت أخذت برنسه؟، قال: لا، قال: بلى، وأمر بقطع يديه ورجليه، والآخران ضرب أعناقهما.

وأتوه ببيجدل بن سليم الكلبى، وعرفوه أنه أخذ خاتمه، وقطع إصبعه، فأمر بقطع يديه ورجليه، فلم يزل ينزف دما حتى مات، وأتوه بقراد بن مالك وعمر بن خالد وعبد الرحمان البجلى وعبد الله بن قيس الخولانى، فقال المختار يا قتلة الصالحين، لقد أخذتم الورد فى يوم نحس، وكان فى رحل الحسين عليه السلام ورس فاقتموه وقت نهب رحله عليه السلام، فأخرجهم إلى السوق وضرب أعناقهم.

وكان أسماء بن خارجة الفزارى ممن سعى فى قتل مسلم بن عقيل عليه السلام، فقال المختار: أما ورب السماء ورب الضياء والظلماء، لتنزلن نار من السماء، دهماء، حمراء، سحماء، تحرق دار أسماء، فبلغ كلامه إليه، فقال: سجع أبو إسحاق، وليس هاهنا مقام بعد هذا، وخرج من داره هاربا إلى البادية، فهدم داره ودور بنى عمه.

وكان الشمر بن ذى الجوشن (لعنه الله) قد أخذ من الإبل التى كانت تحت رحل الحسين عليه السلام فنحرها، وقسم لحمها على قوم من أهل الكوفة، فأمر المختار فأحصوا كل دار دخلها ذلك اللحم، فقتل أهلها وهدمها، ولم يزل المختار يتتبع قتلة الحسين عليه السلام حتى قتل خلقا كثيرا، وانهمز الباقون، فهدم دورهم، وأنزلهم بعد المعازل والحصون، إلى المفاوز والصحون.

قال: وقتلت العبيد مواليتها، وجاءوا إلى المختار فأعتقهم، وكان العبد يسعى بمولاه فيقتله المختار، حتى أن العبد ليقول لسيده: احملنى على عنقك فيحمله، ويدلى رجله على صدره إهانة له ولخوفه من سعايته به إلى المختار(1).

قال ابن نما الحلبي: فيا لها من منقبة حازها، ونوبة أحرزها، فقد سر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بفعله، وإدخاله الفرع على عترته وأهله عليهم السلام، وقد قلت هذه الأبيات مع كلال خاطر، وقذى الناظر:

### ثانياً: قتله لشمر بن ذى الجوشن (لعنه الله)

لم تستقر الكوفة كثيراً بعد تولي المختار الإمارة فسرعان ما تحزب قتلة آل البيت عليهم السلام للغدر به بعد أن خرج من الكوفة إبراهيم بن مالك الأشتر لقتال عبيد الله بن زياد الذى التجأ إلى أحضان عبد الملك بن مروان فى الشام، وكان أهل الكوفة قد عزموا على الفتك بالمختار الذى علم حالهم وما عزموا عليه فبعث خلف إبراهيم بن مالك الأشتر يأمره بالعودة سريعاً فرجع إبراهيم ووقعت معركة طاحنة استطاع فيها المختار وإبراهيم بن مالك الأشتر من القضاء على هذه الزمر وفر منهم جماعة خارج الكوفة كان من ضمنهم شمر بن ذى الجوشن مع بعض أصحابه.

أما من لم يفر منهم فقد التجأ إلى داره ظناً منهم أن المختار سيتركهم لكنه أخرجهم من دورهم مع من أسر منهم أثناء المعركة وكانوا خمسمائة أسير فجاء بهم جند المختار وعرضوهم عليه.

1- ذوب النصار لابن نما الحلبي: ص 145. البحار للمجلسي: ج 45، ص 377.

فقال: كل من شهد منهم قتل الحسين عليه السلام فأعلموني به، فلا يؤتى بمن حضر قتله عليه السلام إلا ضرب عنقه، حتى قتل منهم مائتين وثمانية وأربعين رجلاً وقتل المختار جمعا كثيرا بغير علمه وأطلق الباقين ممن لم يشهدوا قتل الحسين عليه السلام.

ثم علم المختار أن شمر بن ذى الجوشن (لعنه الله) خرج هاربا ومعه نفر ممن شرك في قتل الحسين عليه السلام فأمر عبدا له أسود يقال له رزين، وقيل: زربي، ومعه عشرة \_\_ وكان شجاعا \_\_ يتبعه فيأتيه برأسه.

قال مسلم بن عبد الله الضبائي: كنت مع شمر حين هزمتنا المختار، فدنا منا العبد، فقال شمر: اركضوا وتباعدوا لعل العبد يطمع فيّ، فأمعنا في التباعد عنه، حتى لحقه العبد فحمل عليه شمر فقتله، ومشى فنزل في جانب قرية اسمها الكلثانية على شاطئ نهر إلى جانب تل، ثم أخذ من القرية علجا فضربه، ودفع إليه كتابا، وقال: عجل به إلى مصعب بن الزبير، وكان عنوانه: (للأمير مصعب بن الزبير من شمر بن ذى الجوشن)، فمشى العليج حتى دخل قرية فيها أبو عمرة بعثه المختار إليها في أمر ومعه خمسمائة فارس، فأقرأ الكتاب رجلا من أصحابه، وقرأ عنوانه، فسأل عن شمر وأين هو، فأخبره أن بينهم وبينه ثلاثة فراسخ.

قال مسلم بن عبد الله: قلت لشمر: لو ارتحلت من هذا المكان فانا نتخوف عليك.

فقال: ويلكم أكل هذا الجزع من الكذاب؟، والله لا برحت فيه ثلاثة أيام، فبينما نحن في أول النوم، إذ أشرفت علينا الخيل من التل وأحاطوا بنا، وهو عريان مؤتزرا بمنديل، فانهزمتنا وتركناه، فأخذ سيفه ودنا منهم، وهو يقول:

نبهتموا ليثا هزيرا باسلا

جهما محياه يدق الكاهلا

لم يك يوما من عدو ناكلا

إلا كذا مقاتلا أو قاتلا

يبرحهم ضربا ويروى العاملا

فلم يك بأسرع أن سمعنا: قتل الخبيث، قتله أبو عمرة، وقتل أصحابه، ثم جرى بالرووس إلى المختار، فخر ساجدا، ونصب الرووس في رحبة الحذائين حذاء الجامع.

### **ثالثا: قتله لعمر بن سعد بن أبي وقاص (لعنه الله) قائد الجيش في يوم عاشوراء**

بعد أن أقام المختار رحمة الله الحد على قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انعطف إلى ملاحقة قائد جيش المنافقين في يوم عاشوراء عمر بن سعد بن أبي وقاص فتمكن منه فقتله وقتل معه ولده حفص، وسيمر لاحقا كيفية وقوع ذلك في دعاء الإمام عليه السلام على عمر بن سعد حينما خرج على الأكبر عليه السلام للقتال لينكشف للمسلمين — وكل من يقرأ التاريخ الإسلامى — أن الأثر الغيبي في دعاء الإمام المعصوم عليه السلام هو حقيقة عملية لا يمكن لعامل نكرانها إلا من سلب العقلانية فانحدر إلى الحيوانية بل أضل سبيلا.

### **رابعا: قتله لوالى الكوفة عبيد الله بن زياد (لعنه الله) مع رموز جيش أهل الشام الذين اشتركوا في قتال الحسين عليه السلام**

حينما تمكن المختار من القضاء على أعداء الله تعالى توجه للقصاص من عبيد الله بن زياد (عليه لعنة الله) فعزم على توجيه إبراهيم الأشر مع أنصاره إلى الشام إلى ملجأ ابن زياد.

قال المؤرخون: (إنَّ المختار قال: لم يبق عليّ أعظم من عبيد الله بن زياد، فأحضر إبراهيم بن مالك الأشتر، وأمره بالمسير إلى عبيد الله بن زياد.

وكان عبيد الله بن زياد قد علم بقدوم إبراهيم، فرحل في ثلاثة وثمانين ألفاً حتى نزل قريبا من عسكر العراق، وطلبهم أشد الطلب، وجاءهم في جحفل لجب.

وكان مع إبراهيم بن مالك الأشتر أقل من عشرين ألفاً، وكان في عسكر الشام من أشرف بنى سليم عمير بن الحباب، فراسله إبراهيم بن مالك ووعدته بالحباء والإكرام، فجاء ومعه ألف فارس من بنى عمه وأقاربه، فصار مع عسكر العراق، فأشار عليهم بتعجيل القتال وترك المطاولة.

فلما كان في السحر صلوا بغلس، وعبأ إبراهيم بن مالك أصحابه، فجعل على ميمنته سفيان بن يزيد الأزدي، وعلى ميسرته على بن مالك الجشمي، وعلى الخيل الطفيل بن لقيط النخعي، وعلى الرجالة مزاحم بن مالك السكوني، ثم زحفوا حتى أشرفوا على أهل الشام، ولم يظنوا أنهم يقدمون عليهم لكثرتهم، فبادروا إلى تعبئة عسكرهم، فجعل عبيد الله على ميمنته شرحبيل بن ذى الكلاع، وعلى ميسرته ربيعة بن مخارق الغنوي، وعلى جناح ميسرته جميل بن عبد الله الغنمي، وفي القلب الحصين بن نمير.

ووقف العسكران، والتقى الجمعان، فخرج ابن ضبعان الكلبى ونادى: يا شيعة المختار الكذاب، يا شيعة ابن الأشتر المرتاب:

أنا ابن ضبعان الكريم المفضل

من عصابة يبرون من دين على

كذاك كانوا في الزمان الأول

فخرج إليه الأحوص بن شداد الهمداني، وهو يقول:

أنا ابن شداد على دين علي

لست لعثمان بن أروى بولى

لأصلين القوم فيمن يصطلى

بحر نار الحرب حتى تنجلي

فقال للشامي: ما اسمك؟.

قال: منازل الأبطال، قال له الأحوص: وأنا مقرب الآجال، ثم حمل عليه وضربه فسقط قتيلًا.

ثم نادى: هل من مبارز؟.

فخرج إليه داود الدمشقي، وهو يقول:

أنا ابن من قاتل في صفينا

قتال قرن لم يكن غبينا

بل كان فيها بطلا جرونا

مجربا لدى الوغى كميننا

فأجابه الأحوص يقول:

يا ابن الذى قاتل فى صفينا

ولم يكن فى دينه غبينا

كذبت قد كنت بها مغبونا

مذبذبا فى أمره مفتونا

لا يعرف الحق ولا اليقينا

بؤسا له لقد مضى ملعونا

ثم التقيا فضربه الأحوص فقتله، ثم عاد إلى صفه وخرج الحصين بن نمير السكوني، وهو يقول:

يا قادة الكوفة أهل المنكر

وشيعة المختار وابن الأشر

هل فيكم قرم كريم العنصر

مهذب في قومه بمفخر

يبرز نحوى قاصدا لا يمتري؟



فخرج إليه شريك بن خزيم التغلبي، وهو يقول:

يا قاتل الشيخ الكريم الأزهر

بكر بلا يوم التقاء العسكر

أعنى حسينا ذا الثنا والمفخر

ابن النبي الطاهر المطهر

وابن علي البطل المظفر

هذا فخذها من هزبر قسور

ضربة قوم ربعي مضرى

فالتقا بضربتين فجذله التغلبي صريعا، فدخل على أهل الشام من أهل العراق مدخل عظيم.

ثم تقدم إبراهيم بن مالك الأشر، ونادى: ألا يا شرطة الله، ألا يا شيعة الحق، ألا يا أنصار الدين، قاتلوا المحليين وأولاد القاسطين، ولا تطلبوا أثرا بعد عين، هذا عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام، ثم حمل على أهل الشام، وضرب فيهم بسيفه، وهو يقول:

قد علمت مذحج علما لا خطل

انى إذا القرن لقينى لا وكل

ولا جزوع عندها ولا نكل

أروع مقدام إذا النكس فشل

أضرب فى القوم وان حان الأجل

هذا فخذها من هزبر قسور

بالذكر البتار حتى ينجدل

وحمل أهل العراق معه واختلطوا، ثم انجلت الحرب، وقد قتل أعيان أهل الشام، مثل الحصين بن نمير، وشرحبيط بن ذى الكلاع، وابن حوشب، وغالب الباهلي، وأشرس بن عبد الله الذى كان واليا على خراسان.

وحاز إبراهيم بن مالك الأشتر (رحمة الله عليه) فضيلة هذا الفتح، وعاقبة هذا المنح، الذي انتشر في الأقطار، ودام دوام الأعصار، ولقد أحسن عبد الله بن

الزبير الأسدي يمدح إبراهيم بن مالك الأشتر، فقال:

الله أعطاك المهابة والتقى

وأحل بيتك في العديد الأكثر

وأقر عينك يوم وقعة خازر

والخيل تعثر في القنا المتكسر

من ظالمين كفتهم أيامهم

تركوا لحاجلة وطير أعثر

ما كان أجراهم جزاهم ربهم

يوم الحساب على ارتكاب المنكر

قال الرواة: رأينا إبراهيم بعدما انكسر العسكر، وانكشف العثير، قوما منهم ثبتوا وصبروا وقاتلوا فلقطهم من سهوات الخيل، وقذفهم في لهوات الليل حتى صبغت الأرض من دماهم ثيابا حمرا، وملا الفجاج ببأسه ذعرا، وتساقطت النسور، وأهوت العقبان على أجسادهم وهي كالعقيق المنشور، واصطلح على أكل لحومهم الذئب والسبع، والسيد والضبع.

قال إبراهيم بن مالك: واقتل رجل أحمر في كبكبة يغرى الناس كأنه بغل أقمر لا يدنو منه فارس إلا صرعه، ولا كمي إلا قطعه، فدنا مني، فضربت يده فأبنتها، وسقط على شاطئ الخازر، فشرقت يده، وغربت رجلاه، فقتلته، ووجدت رائحة المسك تفوح منه، وجاء رجل نزع خفيه، وظنوا أنه ابن زياد من غير تحقيق، فطلبوه فإذا هو على ما وصف إبراهيم، فاحتزوا رأسه، واحتفظوا طول الليل بجسده، فلما أصبحوا عرفه مهرازي مولى زياد، فلما رآه إبراهيم بن مالك قال: الحمد لله الذى أجرى قتله على يدي، وقتل فى صفر.

وقال قوم من أهل الحديث: فى يوم عاشوراء وعمره دون الأربعين، وقيل: تسع وثلاثون سنة، وأصبح الناس فحوا ما كان، وغنموا غنيمة عظيمة، ولقد

أجاد أبو السفاح الزبيدي بمدحته إبراهيم بن مالك وهجائه ابن زياد \_\_ لعنه الله \_\_ فقال:

أتاكم غلام من عرانيين مذحج

جرى على الأعداء غير نكول

أتاه عبيد الله في شر عصابة

من الشام لما أن رضوا بقليل

فلما التقى الجمعان في حومة الوغى

وللموت فيهم ثم جر ذيول

فأصبحت قد ودعت هنداً

وأصبحت مولهة ما وجدها بقليل

وأخلق بهند أن تساق سبية

لها من أبي إسحاق شر خليل

تولى عبيد الله خوفاً من الردى

تغشاه ماضى الشفرتين صقيل

جزى الله خيراً شرطة الله انهم

شفوا بعبيد الله كل غليل

يعنى بقوله هند بنت أسماء بن خارجة زوجة عبيد الله بن زياد لما قتل حملها عتبة أخوها إلى الكوفة، وبقوله أبي إسحاق هو المختار، وهرب غلام لعبيد الله بن زياد إلى الشام، فسأله عبد الملك بن مروان عنه، قال: لما جال الناس تقدم فقاتل، ثم قال: اتنى بجرة فيها ماء، فاتيته فشرب وصب الماء بين درعه وجسده، وصب على ناصية فرسه، ثم حمل، فهذا آخر عهدي به.

قال يزيد بن مفرغ يهجو ابن زياد \_\_ لعنه الله \_\_:

ان المنايا إذا حاولن طاغية

هتكن عنه ستورا بعد أبواب

ان الذى عاش غدارا بدمته

ومات هزلا قتيل الله بالزاب

ما شق جيب ولا ناحتك نائحة

ولا بكتك جياذ عند أسلاب

هلا جموع نزار إذ لقيتهم

كنت أمرا من نزار غير مرتاب

أو حمير كنت قبلا من ذوى يمن

أن المقاويل فى ملك وأحباب

وكان المختار قد سار من الكوفة يتطلع أحوال إبراهيم بن مالك، واستخلف على الكوفة السائب بن مالك، فنزل ساباط، ثم دخل المدائن ورقى المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأمر الناس بالجد في النهوض إلى إبراهيم.

قال الشعبي: كنت معه فاتته البشرية يقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه، فكاد يطير فرحا، ورجع إلى الكوفة في الحال مسرورا بالظفر.

وذكر أبو السائب عن أحمد بن بشير، عن مجالد، عن عامر أنه قال: الشيعة يتهموني ببغض علي عليه السلام ولقد رأيت في النوم بعد مقتل الحسين عليه السلام كأن رجالا نزلوا من السماء، عليهم ثياب خضر، معهم حراب يتبعون قتلة الحسين عليه السلام فما لبثت أن خرج المختار فقتلهم.

وذكر عمر بن شبة، قال: حدثني أبو أحمد الزبيرى، عن عمه، قال: قال أبو عمر البزاز:

كنت مع إبراهيم بن مالك الأشتر لما لقي عبيد الله بن زياد (لعنه الله) بالخازر، فعددنا القتلى بالقصب لكثرتهم، قيل: كانوا سبعين ألفا، وصلب إبراهيم ابن زياد منكسا فكأنى أنظر إلى خصييه كأنهما جعلان.

وعن الشعبي أنه لم يقتل قط من أهل الشام بعد صفين مثل هذه الواقعة بالخازر، وقال الشعبي:

كانت الواقعة يوم عاشوراء سنة سبع وستين — وهذا من عجيب حكمة الله تعالى في أن يقتل عبيد الله بن زياد في نفس اليوم الذى استشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام وأن يرى الناس تحقق الأثر الغيبى في دعاء الشهداء على أعدائه.

وبعث إبراهيم بن مالك برأس عبيد الله بن زياد (لعنه الله) ورؤوس الرؤساء من أهل الشام وفي آذانهم رقع أسمائهم، فقدموا على المختار وهو يتغدى، فحمد الله \_\_ تعالى \_\_ على الظفر.

فلما فرغ من الغداء قام فوطئ وجه ابن زياد بنعله، ثم رمى بها إلى غلامه، وقال: اغسلها فاني وضعتها على وجه نجس كافر.

وعن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني قال: وضعت الرؤوس عند السدة بالكوفة، عليها ثوب أبيض، فكشفنا عنها الثوب، وحية تتغلغل في رأس عبيد الله بن زياد، ونصبت الرؤوس في الرحبة، قال عامر: ورأيت الحية تدخل في منافذ رأسه وهو مصلوب مرارا.

ثم حمل المختار رأسه ورؤوس القواد إلى مكة مع عبد الرحمان بن أبي عمير الثقفي، وعبد الرحمان بن شداد الجشمي، وأنس بن مالك الأشعري، وقيل: السائب بن مالك، ومعها ثلاثون ألف دينار إلى محمد بن الحنفية، وكتب معهم: (أني بعثت أنصاركم وشيعتكم إلى عدوكم، فخرجوا محتسبين أسفين، فقتلوهم، فالحمد لله الذي أدرك لكم الثأر، وأهلكهم في كل فج سحيق، وغرقهم في كل بحر عميق، وشفى الله صدور قوم مؤمنين).

فقدموا بالكتاب والرؤوس والمال عليه، فلما رآها خر ساجدا، ودعا للمختار، وقال: جزاه الله خير الجزاء، فقد أدرك لنا ثأرنا، ووجب حقه على كل من ولده عبد المطلب بن هاشم، اللهم واحفظ إبراهيم بن الأشتر وانصره على الأعداء، ووفقه لما تحب وترضى، واغفر له في الآخرة والأولى.

فبعث رأس عبيد الله بن زياد إلى علي بن الحسين عليه السلام فادخل عليه وهو يتغدى، فسجد شكراً لله تعالى وقال:

«الحمد لله الذى أدرك لى ثارى من عدوى، وجزى الله المختار خيراً».

ثم قال عليه السلام:

«أدخلت على عبيد الله بن زياد وهو يتغدى ورأس أبى بين يديه، فقلت: اللهم لا تمنى حتى ترىنى رأس ابن زياد».

وقسم محمد المال فى أهله وشيعته بمكة والمدينة على أولاد المهاجرين والأنصار، وروى المرزبانى بإسناده عن جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال:

«ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت، ولا رئى فى دار هاشمى دخان خمس حجج حتى قتل عبيد الله بن زياد (لعنه الله)».

وعن عبد الله بن محمد بن أبى سعيد، عن أبى العيلاء، عن يحيى بن راشد، قال: قالت فاطمة بنت على: (ما تحنأت امرأة منا، ولا أجالت فى عينها مروداً، ولا امتشطت حتى بعث المختار رأس عبيد الله بن زياد).

وروى:

(أن المختار قتل ثمانية عشر ألفاً ممن شرك فى قتل الحسين عليه السلام أيام ولايته وكانت ثمانية عشر شهراً أولها أربع عشرة ليلة من ربيع الأول سنة ست وستين، وآخرها النصف من شهر رمضان من سنة سبع وستين، وعمره سبع وستون سنة)<sup>(1)</sup>.



## الحلقة الثانية: إن الله تعالى سلط عليهم سنين كسنى يوسف عليه السلام

### إشارة

ويمكن لنا معرفة آثار دعاء الإمام الحسين عليه السلام الكاشف عن تحقق السنن الكونية الملازمة لوقوع الأفعال الإجرامية — التي يعبر عنها في الثقافة القرآنية بالآثام والذنوب والفواحش — من خلال الحركة التاريخية لحوادث أرض السواد أو العراق، وما آلت إليه الحالة الاقتصادية والاجتماعية بعد عام الفاجعة النبوية بقتل ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أرض العراق.

### أولاً: عجز خزينة الدولة وتردى الوضع الاقتصادى

إنّ المقارنة بين الواردات المالية التي كانت تجبى عام (30) للهجرة وبين عام (132) للهجرة الذي شهد أواخر الدولة الأموية تدل على نفوذ السنن التاريخية (الكونية) في سلوكيات المجتمع المسلم بعد تلك الفاجعة وحسبما حدده الإمام الحسين عليه السلام في حبس الأمطار وانتشار القحط.

ويمكن معرفة ذلك من خلال ما جمعه الدكتور حمدان عبد المجيد من روايات حول تعداد واردات العراق المالية منذ عهد عمر بن الخطاب إلى أواخر الدولة الأموية، فقال: «تتواتر الروايات التاريخية وتصبح أكثر وضوحاً عندما تتناول خراج سواد العراق. ولعل الفضل في ذلك يعود إلى الفقيه أبى يوسف الذى وضع كتابه «الخراج» فى وقت مبكر، وضمّنه روايات واضحة ودقيقة وموثقة، عن حكم أراضي الخراج، وأنواعها وعن المبالغ التي جبيت من الأراضي الخراجية. وفى هذا الصدد نقل لنا أبو يوسف رواية ميمون بن مهران التي تبين أن الخليفة عمر بن الخطاب: «كان يجبى العراق كل سنة مائة ألف ألف أوقية»<sup>(1)</sup> فضة.

1- الخراج، أبو يوسف: ص 114.

فإذا علمنا أن الأوقية كانت، في صدر الإسلام، تساوي أربعين درهماً<sup>(1)</sup> تكون موارد العراق (4.000,000,000) درهم. ويرجح أن أبا يوسف قصد بهذا المقدار كل موارد العراق ومن ضمنها الخراج<sup>(2)</sup>.

وتشير الرواية التي أوردها (ابن زنجويه) إلى أن المسؤولين في العراق حملوا من خراج الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، أول سنة (ثمانين ألف درهم)، ثم حملوا في السنة التالية (مائة وعشرين مليون درهم)<sup>(3)</sup>.

وذكر اليعقوبي أن الثمانين مليون درهم التي وردت إلى بيت المال في عهد الخليفة عمر هي موارد خراج السواد<sup>(4)</sup>. ولم يحدد في روايته هذه أن الذي حُمِلَ هو من سواد الكوفة أو غيرها. لكنه استدرِك في الصفحة التالية؛ فذكر أن الخليفة عمر بعث إلى والي البصرة أبي موسى الأشعري يطلب منه أن يضع على أراضي البصرة الزراعية، من الخراج، مثل ما وضع عثمان بن حنيف على أراضي الكوفة<sup>(5)</sup>.

وهذا ما يؤكد أن الثمانين مليون درهم كانت من سواد الكوفة فقط. ويضيف اليعقوبي أن عثمان بن حنيف استمر يرسل إلى المدينة المنورة، في كل سنة من خراج الكوفة، ما بين عشرين مليون درهم إلى ثلاثين مليون درهم<sup>(6)</sup>.

1- المكايل والأوزان الإسلامية لهنتز: ص 16.

2- الخراج أحكامه ومقاديره، د. حمدان عبدالمجيد: ص 142.

3- الخراج أحكامه ومقاديره، د. حمدان عبدالمجيد: ص 142.

4- المصدر السابق.

5- تاريخ اليعقوبي: ج 2، ص 142.

6- المصدر السابق: ص 143.

وهنا نجد انخفاضاً كبيراً في موارد سواد الكوفة، ولعل ذلك متأثراً من كثرة النفقات الراتبية، وحصول تغيير في الوحدات الإدارية.

ومهما يكن من أمر، فإن روايات ابن زنجويه أكدت أن موارد خراج سواد العراق زادت حتى بلغت مائة وعشرين مليون درهم (1).

ويمكن القول: إن الروايات التاريخية تصبح أكثر وضوحاً، وبخاصة عندما أخذت تشير إلى مجمل خراج السواد بحيث لا تجزئه. فروايات اليعقوبي والماوردي أشارت إلى أن خراج السواد على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بلغ مائة ألف ألف وعشرين ألف درهم (2).

في حين أشارت رواية ابن خرداذبة إلى أن خراج السواد بلغ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب مائة وثمانية وعشرين مليون درهم (3). وهذا المقدار متطابق مع ما أورده رواية ابن حوقل (4).

ورواية ابن رسته (5) وياقوت (6). ويورد قدامة رواية مخالفة للمقادير المشار إليها آنفاً، إذ يقول: إن وارد السواد بلغ مائة وثلاثين مليون درهم (7).

1- الأموال، ابن زنجويه: ج 1، ص 213.

2- تاريخ اليعقوبي: ج 2، ص 221. الأحكام السلطانية، الماوردي: ص 175.

3- المسالك والممالك، ابن خرداذبة: ص 14 \_ 15.

4- صورة الأرض، ابن حوقل: ص 211.

5- الأعلام النفسية، ابن رسته: ص 105.

6- البلدان، ياقوت: ج 3، ص 178.

7- الخراج، قدامة: ص 182.

وذكر الصولى أن جباية السواد بلغت مائة ألف ألف درهم فى عهد الخليفة عثمان بن عفان(1).

وجباه الوالى عبيد الله بن زياد مائة ألف ألف وخمسة وثلاثين ألف درهم، حمل منها إلى الخليفة معاوية بن أبى سفيان ستة ملايين درهم، وجباه والى العراق الحجاج بن يوسف الثقفى مائة ألف ألف وثمانية عشر ألف ألف. فى حين كانت جباية السواد فى عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، بحسب رواية الماوردى مائة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم(2).

بينما أشارت رواية ابن خرداذبة إلى أن موارد جباية السواد فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بلغت مائة وأربعة وعشرين مليون درهم(3).

وهذا المقدار يقل بأربعة ملايين درهم عن المبلغ الذى أورده ابن حوقل، الذى ذكر أن جباية السواد فى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بلغت مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم(4).

ويذكر الماوردى أن الوالى عمر بن هبيرة كان يجبى من السواد مائة ألف ألف درهم سوى طعام الجند وأرزاق المُقاتلة. وفى أواخر العصر الأموى انخفض وارد السواد بحيث أصبح الوالى يوسف بن عمر الثقفى يجمع منه، فى كل سنة، من ستين ألف ألف إلى سبعين ألف ألف درهم، ويحتسب بعطاء مَنْ قَبَلَهُ من جند أهل

1- أدب الكاتب، الصولى: ص 219.

2- الأحكام السلطانية، الماوردى: ص 175 \_\_ 176.

3- المسالك والممالك، ابن خرداذبة: ص 14 \_\_ 15.

4- صورة الأرض، ابن حوقل: ص 211.

الشام ستة عشر ألف ألف، وفي نفقة البريد أربعة آلاف ألف درهم، وفي الطوارق ألف ألف درهم، ويبقى في بيوت الأحداث والعواتق عشرة آلاف ألف درهم(1).

وفي رواية عبد الرحمن بن جعفر بن سليمان التي أوردها (الماوردي) أن وارد السواد كان «ألف ألف ثلاث مرات»(2)، عندما كانت الأراضي تُستثمر استثماراً جيداً. وإذا اعتمدنا الوسط بين الستين والسبعين ألفاً في الرواية السابقة يكون مقدار الخراج في زمن الوالي يوسف بن عمر الثقفي ستة وسبعين مليون درهم. ولعل انقراط جبل الأمن، وانتقال ملكية بعض الأراضي الخراجية إلى المسلمين، ودفع العُشر عنها بدل الخراج، لعل ذلك كله يكون وراء هذا العجز الذي حصل في موارد السواد»(3).

وتقول: إلا- أن الباحث لم يضع يده على موضع الجرح في انخفاض الواردات المالية وعجز ميزانية الدولة وتردى الوضع الاقتصادي وانعكاساتها على الوضع الاجتماعي والنفسي للفرد المسلم، فهو لم يلحظ التلازم بين انتهاك حرمة الأنبياء عليهم السلام، وتردى الوضع الاقتصادي والاجتماعي والبيئي في عرض القرآن والتاريخ للسنن التاريخية التي سلكتها الأمم السالفة في دورة حياتها. فلكل زمن من الأزمنة الغابرة واللاحقة شواهد تجد بعضها تنطق بلسان فصيح لذوى الألباب عن آثار انتهاك الحدود الإلهية مع اختلاف الرؤى والمفاهيم والقراءات لهذه الحوادث، التي لا يمكن أن يغيب عن حاضرها الأثر الغيبي الذي اختلفت مسمياته

1- الأحكام السلطانية، الماوردي: ص 175 \_\_ 176.

2- المصدر السابق: ص 173 \_\_ 174.

3- الخراج أحكامه ومقاديره، د. حمدان عبد المجيد الكبيسي: ص 142 \_\_ 145.

بين قوى الإله أو قوى السماء أو قوى الطبيعة أو قوى السنن الإلهية التي نؤمن بها وجاء بها القرآن الكريم.

فمثلما ابتليت أمم كثيرة بتردى حالها؛ وانهيار مجتمعاتها بفعل معتقداتها وسلوكياتها المخالفة للحدود والقيم السماوية التي جاء بها الأنبياء عليه السلام، فإن هذه الأمة قد سلكت تلك المسالك التي أدت بها — كما في غيرها — إلى المهالك؛ وما قتل نبي الله يحيى عليه السلام وحمل رأسه وإهداؤه إلى بغى من بغايا بني إسرائيل إلا عاملٌ أساسٌ في قتل بني إسرائيل وتشريدهم وإذلالهم فيما بعد.

<سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ حَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا> (1).

وما أشبه اليوم بالأمس! فالمسلمون اليوم يقتلون ابن بنت نبيهم، ويحملون رأسه إلى بغى من البغايا وجبار من الجبابرة، فكيف لهم ان ينفلتوا عن العذاب الإلهي، أو أن ينجوا من نفوذ السنن الإلهية التي كانت منبعاً للأفعال الصادرة عن هذا الكائن الذي يسمّى الإنسان.

نعم: السبب في عجز ميزانية الدولة وتردى الحالة الاقتصادية والاجتماعية بعد فاجعة الطف كان سببه تحقق سنن الله في خلقه، مثلما تحققت في قوم نوح وصالح ولوط وغيرهم من الأنبياء (سلام الله عليهم أجمعين).

### ثانياً: فرض الضرائب على الناس وتعذيبهم وسجنهم على ذلك

لم يمضِ عقدان على فاجعة النبوة بقتل ابن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام (61) للهجرة، حتى أتت حكومة بني مروان، لتذيق الناس — عرباً وموالي؛ مسلمين وذميين — الأمرين، ولاسيما في تولي الحجاج بن يوسف العراق، فقد فرض الضريبة على

الناس بالقوة والسلطة ولم يستثن أحداً من أشرف العرب أو من وضعائها من الذميين أو الموالي؛ وكان يعذبهم على أخذ الخراج ويسجنهم لدفع الضرائب؛ يدل على ذلك قول يزيد بن المهلب حين أراد سليمان بن عبد الملك أن يوليه العراق وخارجها فقال: «إنّ العراق قد أخرجها الحجاج، وأنا اليوم رجل العراق، ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك، صرت مثل الحجاج وأعدت عليهم السجون وما عافاهم الله منه، ومتى لم آت سليمان — بن عبد الملك بن مروان — بمثل ما كان الحجاج أتى به لم يقبل مني»<sup>(1)</sup> فامتنع عن تولي امارة العراق.

### ثالثاً: فرار المسلمين من القرى الزراعية إلى المدن بسبب الضرائب وعجزهم عن دفعها

تشير إحدى النصوص التاريخية إلى هجرة الموالين من الفرس بعد إسلامهم من أرض السواد، أي الأراضي الزراعية وانتقالهم إلى المدن الإسلامية الأخرى.

فقد روى الطبري عن أبي شوذب «أن عمال الحجاج كتبوا إليه: إن الخراج قد انكسر وان أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار»<sup>(2)</sup>.

وتكشف هذه الرواية عن سوء أحوال الزراعة في العراق، بسبب ما تفرضه الدولة من ضرائب على الفلاحين، مما أدى إلى عجزهم عن تسديد هذه الضرائب وما خلفها من تعذيب وسجن، ففضلوا الهروب إلى المدن فانخفضت بذلك الأموال التي كانت تجبي من أرض العراق.

1- الكامل في التاريخ لابن أثير: ج 5، ص 23. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 6، ص 296.

2- تاريخ الطبري: ج 5، ص 182. الكافي في التاريخ لابن أثير: ج 4، ص 365.

### رابعاً: فرض الدولة الجزية على أهل الذمة حتى بعد إسلامهم مع مخالفة ذلك للقرآن

من الشواهد التي أظهرت تردى الأوضاع في العراق، فكانت كسنى يوسف عليه السلام، هو فرض الدولة الأموية الجزية على الموالى الفرس حتى بعد إسلامهم في مخالفة أخرى للقيم القرآنية، وفي سلوك جديد يضاف إلى رصيد ثقافة الهجر التي سنّها بعض الصحابة حينما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنه يهجر.

إذ تقضى القيم القرآنية برفع الجزية عن أهل الذمة حين إسلامهم، لتساويهم مع إخوانهم المسلمين في الحقوق والواجبات، فمالهم وعرضهم ودمائهم محرمة على بعضهم البعض، أما إن تبقى هذه الجزية والضريبة المالية على أهل الذمة حتى بعد إسلامهم، فهذا ما لم تقر به سوى شريعة ثقافة الهجر.

وياليت إن الأمر قد انحصر في ذلك، بل تم قتل من لم يستجب لهذا التشريع الجديد. كما تدل عليه النصوص التاريخية.

وعوداً على بدء، فحينما كتب عمال الحجاج بهجرة الموالى من القرى الزراعية وانكسار الخراج؛ كتب الحجاج إليهم — بكونه أحد أهم مكونات ثقافة الهجر، وأفضلهم حملاً لهذا الفكر — كتاباً قال فيه: «إنّ من كان له أصل في قرية فليخرج إليها»<sup>(1)</sup>.

بمعنى كل من خرج من قريته فليعد إليها؛ فقام أولئك الولاة فأخرجوا الناس من المدن، ولاسيما مدينة البصرة «فخرج الناس فعسكروا فجعلوا يبكون وينادون يا محمداه يا محمداه، وجعلوا لا يدرون أين يذهبون فجعل قراء أهل



البصرة يخرجون إليهم متقنعين فيكون لما يسمعون منهم ويرون»(1).

ولم يجد الناس مخرجاً من هذا القرار الذي فرضته السلطة الأموية غير قدوم عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث — مع جيشه من سجستان — وعزمه على تقيئة ذلك القرار. «واستبصر قراء أهل البصرة في قتال الحجاج مع عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث»(3). فكانت النتيجة في هذه المعركة ان التجأ الحجاج إلى الخديعة فخدع الناس بالأمان ثم أمر بهم عمارة بن تيم اللخمي فقتلهم جميعاً صبراً(4)، أى: عزلاً لم يكن بيدهم سلاح.

اما عددهم فيقول ضمرة بن ربيعة الشيباني: «قتل الحجاج يوم الزاوية أحد عشر ألفاً ما استحيا منهم إلا واحداً كان ابنه في كتاب الحجاج»(5). في حين عدد الذين قتلهم الحجاج خلال توليته العراق «مائة وعشرين أو مائة وثلاثين ألفاً»(6)(7).

وعليه: كانت هذه الأحداث هي مصداق لتحقيق الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام على جيش عمر بن سعد حينما قال: «وسلط عليهم سنى كسنى يوسف». فأصبح حالهم كما مرّ بيانه انفاً.

1- المصدر السابق.

2- الخراج والنظم المالية، د. محمد ضياء الدين: ص 218.

3- الطبرى فى تاريخه: ج 5، ص 183.

4- المصدر السابق.

5- المصدر السابق.

6- المصدر السابق.

7- وللمزيد أنظر كتاب الأنثروبولوجيا الثقافية الإجتماعية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام — السيد نبيل الحسنى: ص 161 \_ 172.

## المبحث الثاني: تحقق الأثر الغيبي الآنى فى دعائه عليه السلام

### إشارة

مثلما شهد التاريخ الإسلامى تحقق الأثر الغيبي فى دعاء الإمام الحسين عليه السلام بعد عاشوراء بفترة زمنية قصيرة؛ — إن لم تكن مستمرة من يوم وقوع المأساة — فإن التاريخ شهد أيضا تحقق الأثر الغيبي فى دعائه عليه السلام فى يوم عاشوراء وبصورة آنية، أى: فى اللحظة التى يتم فيها الإمام الحسين عليه السلام دعاءه.

وهو الأمر الذى لم يكن ليتحقق إلا- فى حياة الأنبياء والمرسلين وأوصيائهم عليهم السلام كما هو مبين فى سيرتهم التاريخية سواء ما عرضها القرآن الكريم أو ما ورد عن الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد كان فى تحقق الأثر الغيبي الممثل بالاستجابة السريعة من الله تعالى فى تحقق دعاء الإمام الحسين عليه السلام آثاره العديدة فى تحديد ملامح الشخصية الإسلامية وما طرأ عليها من تغيرات فكرية وثقافية وعقائدية خلال نصف قرن، بل لقد كشفت هذه الآثار الغيبية الآنية فى ساحة الطف عن حقائق تاريخية ارتبطت بنشوء الدولة الإسلامية وما أفرزته من مناهج فكرية شكلت بناءً جديداً للعقيدة الإسلامية.

ولكن قبل البدء فى بيان هذه الحقائق نورد مواضع الدعاء التى ظهرت فيها الآثار الغيبية الآنية فى يوم عاشوراء.

كما أن السبب الذى دفعنا إلى تقديم تحقق الأثر الغيبي بعد يوم عاشوراء على تحقق الأثر الآنى هو لارتباط الأول بمصداق دعائه عليه السلام على جيش عمر بن سعد وتحديده لأنواع العذاب الذى سينزل بهم فكان منه تسليط الله عليهم غلام ثقيف.

## المسألة الأولى: مواضع ظهور الأثر الغيبي الآني في يوم عاشوراء

### الموضع الأول لاستجابة دعائه عليه السلام

روى الشيخ الصدوق رحمة الله: (أنَّ الإمام الحسين عليه السلام: أمر بحفيرته التي — حفرت — حول عسكره فأضرمت بالنار، ليقاتل القوم من وجه واحد.

أما تحقق الأثر الغيبي الآني في دعائه فقد ظهر في مواضع محدودة في يوم عاشوراء؛ وهي كالآتي:

الشيخ الصدوق (رضى الله عنه): وأقبل رجل من عسكر عمر بن سعد على فرس له، يقال له: ابن أبي جويرية المزني، فلما نظر إلى النار تنقذ صفق بيده، ونادى: يا حسين وأصحاب حسين أبشروا بالنار، فقد تعجلتموها في الدنيا!.

فقال الحسين عليه السلام:

«مَنْ الرجل؟».

فقيل: ابن أبي جويرية المزني. فقال الحسين عليه السلام:

«أللهم أذقه عذاب النار في الدنيا».

فنفر به فرسه وألقاه في تلك النار فاحترق(1).

### الموضع الثاني لاستجابة دعائه عليه السلام

ثم برز من عسكر عمر بن سعد رجل آخر يقال له: تميم بن حصين الفزاري، فنادى: يا حسين ويا أصحاب الحسين، أما ترون إلى ماء الفرات يلوح كأنه بطون الحيات؟ والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعا.

1- الأمالى للشيخ الصدوق رحمة الله: ص 221.

فقال الحسين عليه السلام:

«مَنْ الرجل؟».

فقيل: تميم بن حصين. فقال الحسين عليه السلام:

«هذا وأبوه من أهل النار، أَللهم اقتل هذا عطشاً في هذا اليوم، قال: فخنقه العطش حتى سقط عن فرسه فوطتته الخيل بسنابكها فمات»<sup>(1)</sup>.

### الموضع الثالث لاستجابة دعائه عليه السلام

وروى المازندراني: أن عبد الله بن حوزة التميمي أقبل من معسكر عمر بن سعد، (فصاح: أفيكم حسين؟. وفي الثالثة، قال أصحاب الحسين عليه السلام: هذا الحسين فما تريد منه؟. قال: يا حسين أبشر بالنار. قال الحسين عليه السلام:

«كذبت بل أقدم على رب غفور كريم مطاع شفيح، فمن أنت؟».

قال: أنا ابن حوزة. فرجع الحسين عليه السلام يديه حتى بان بياض أبطيه، وقال:

«أَللهم حزه إلى النار».

فغضب ابن حوزة وأفحم الفرس إليه وكان بينهما نهر فسقط عنها وعلقت قدمه بالركاب وجالت به الفرس وانقطعت قدمه وساقه وفخذه وبقي جانبه الآخر معلقاً بالركاب وأخذت الفرس تضرب به كل حجر وشجر وألقته في النار المشتعلة في الخندق فاحترق بها ومات.

فخر الحسين ساجدا شاكرا حامدا على إجابة دعائه ثم أنه رفع صوته يقول:

«أَللهم إنا أهل بيت نبيك وذريته وقرابته فاقصم من ظلمنا وغصبنا حقنا إنك سميع قريب».

1- الناقب في المناقب، ابن حمزة الطوسي: ص 341. الأمالى للصدوق: ص 221.

## الموضع الرابع لاستجابة دعائه عليه السلام

فسمعه محمد بن الأشعث يقول ذلك، فقال له: أى قرابة بينك وبين محمد؟! فقال الحسين عليه السلام:

«اللهم إن محمد بن الأشعث يقول ليس بيني وبين محمد قرابة، أَللهم أرني فيه هذا اليوم ذلاً عاجلاً».

فاستجاب الله دعاءه فخرج محمد بن الأشعث من العسكر ونزل عن فرسه لحاجته وإذا بعقرب أسود يضربه ضربة تركته متلوثاً في ثيابه مما به، ومات بادي العورة(1).

فهذه الاستجابة في دعائه عليه السلام مع المواضع الأخرى كانت محلاً لظهور الأثر الغيبي الآتي في يوم عاشوراء وقبل بدء المعركة، والتي غيرت بعض المفاهيم العقائدية والفكرية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي ولاسيما أولئك الذين جاءوا لقتال الإمام الحسين عليه السلام وهو ما سنعرض له في المسائل القادمة.

## المسألة الثانية: عوامل نشوء ثقافة التجري في المجتمع الإسلامي

### إشارة

مما يستوقف القارئ والباحث هو خروج هؤلاء إلى قتال ابن بنت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وعزمهم على قتله مع أخوانه وأقاربه وأصحابه ونهب مالهم وسبي نسائهم مع ما لبعضهن من حرمة الانتساب لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووالدها علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، وتلك أختها أم كلثوم وهذه (سكينة وفاطمة الصغرى المسماة برقية)

1- مناقب آل أبي طالب عليه السلام، المازندراني: ج3، ص214. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج45، ص301. مدينة المعاجز، البحراني: ج3، ص478. مقتل الإمام الحسين عليه السلام، المقرم: ص240.

وهن بنات الإمام الحسين فهؤلاء النسوة لهن رحم ماسة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يسيين كما تسبى نساء الأعاجم.

ولذلك: نحن أمام مجموعة كبيرة من الأسئلة تفرض نفسها بقوة في فهم هذه الحالة التي أصبح عليها المسلمون، فهل ارتدوا عن دينهم فانعطفوا على ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم يذيقونهم أشد أنواع العذاب قتلا وتشريدا وسلبا ولا يستشون في ذلك امرأة أو طفلا.

أو أنهم لم يؤمنوا أصلا إذ:

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لِّمَ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (1).

ثم ما فائدة إسلامهم وقد هتكوا حرمة نبي الإسلام بما لم تنتهك بمثلها حرمة من أشرف العرب؟!، لا قبل الإسلام ولا بعده.

أو أن ثقافة جديدة غير ثقافة الإسلام قد زرعت في المجتمع الإسلامي خلال نصف قرن منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلى يوم عاشوراء كان قد شب عليها الأطفال وهم عليها الكبار هي التي سادت هذا المجتمع وقادته في كربلاء فكان واقعا عمليا انكشفت فيه هذه الثقافة ومن أسسها وروّج لها وقادها؟!.

أسئلة كثيرة؟ يفرضها واقع المسلمين قديماً وحاضراً ومستقبلاً مع كل قلم تدور به أنامل حامله لترسم ما يجول في فكر صاحبه من أسئلة متجددة.

إلا أنني وجدت من خلال البحث عن الإجابات لهذه الأسئلة أن الأمر يتعلق بثقافة التجري التي أنشأها البعض في المجتمع الإسلامي وعمل على تغلغلها فيه ونشرها بين مختلف طبقاته مستخدماً جميع الوسائل لتحقيق هذا الغرض، فكانت هذه الثقافة بصورها القاتمة بقتامة الدماء التي سفكت على أرض كربلاء وبراءحة الأجساد التي امتزج معها وبر الإبل المحترق بنيران جيش عمر بن سعد في هجومهم على مخيم ابن بنت سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، قد اتسمت بها المدن الإسلامية.

أما عوامل نشوء هذه الثقافة فكانت كالاتي:

### العامل الأول: ابتداء الفكر الجبري

إن أول بذرة بُدِرت لنشوء الفكر الجبري كانت في زمن أبي بكر، ومنذ الأيام الأولى لتولية الخلافة التي اتخذت \_\_ أي الخلافة \_\_ في بادئ الأمر مفهوم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم اتخذت مفهوم خلافة المسلمين، ثم أمراء وحكام.

فكانت البذرة لظهور الفكر الجبري هي عند قول أبي بكر: (إلا وإنكم إن كلفتموني أن أعمل بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أقم به، كان رسول الله عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا- وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعوني، فإذا رأيتموني استقمتم فاتبعوني، وإن رأيتموني زغت فقوموني، واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني لا أوثر في أشعاركم \_\_ أي شعر الرأس \_\_ وأبشاركم \_\_ أي بشرة الجلد \_\_ (1).

وهذا القول وإن لم يكن محوره (إرادة الله) وأنه مجبر على فعله إلا- أنه كان البداية لنشوء فكرة التخلي عن مسؤولية الأفعال الصادرة عن الخليفة لعلتين.

1 \_\_ لأنه لم يكن يوحى إليه، ولذا فهو غير ملزم بما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يسدد بالوحي، ولذلك هو لا يخطئ أو إن لديه مبرراً في فعله وقوله وهو الوحي.

2 \_\_ إن له شيطاناً يعتريه فإذا غضب وأصدر أمراً في قطع رؤوسهم أو أعضائهم، وهو ما كنى عنه بلفظ (أشعاركم وأبشاركم)، فهو غير مسؤول عن هذا الصنع، لأنه مجبر على فعله بسبب اعتراء الشيطان له.

ومما يدل عليه:

ما روى عنه بلفظ آخر: (أفتظنون أني أعمل فيكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم \_\_؟! إذن: لا أقوم بها إن رسول الله \_\_ صلى الله عليه وآله وسلم \_\_ كان معه ملك، وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا غضبت فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعوني) (1)، أى التخلي عن مسؤولية الأفعال وفي نفس الوقت انه مجبر على القيام بها، فضلاً عن التأسيس لعقيدة جديدة تختلف جذرياً عن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد صرح بذلك أبو بكر جلياً على رؤوس أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال:

«أفتظنون اني أعمل فيكم بسنة رسول الله؟ إذن لا أقوم بها».

ثم تبلورت هذه الفكرة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، حينما خرج عليه معاوية بن أبي سفيان، وتحديداً تبلور هذا الفكر في حديث السيدة عائشة؛ التي

1- كنز العمال للمتقى الهندي: ج 5، ص 590. الغدير للعلامة الأميني: ج 7، ص 118.



لعبت دوراً أساسياً في دعم خروج معاوية بن أبي سفيان لحرب علي بن أبي طالب عليه السلام، ومما يدل عليه:

ما رواه الذهبي، وابن عساكر، وابن كثير، وغيرهم، عن الأسود بن يزيد، قال: (قلت لعائشة، ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟).

فقالت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتبه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة، وكذلك غيره من الكفار(1).

ولقد أعطى هذا القول دفعا قويا فيما بعد لحكام بني أمية، كما أنه أعطى نموًا للفكر الجبري الذي ظهرت ثمرته في حكم يزيد بن معاوية، الذي يبدو أنه استخدم هذا الفكر بقوة للتخلص من الجريمة التي ارتكبتها في حق الإسلام والمسلمين، حينما قام بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وسبى بناته وذريته.

ومما يدل عليه:

1 \_ ما رواه الطبري في أحداث سنة 61هـ، من قول عن يزيد بن معاوية وهو يحاول بث الفكر الجبري أمام الحاضرين في مجلسه، وهو يحدث الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قائلا له: (أبوك نازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت)(2).

- 
- 1- سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 3، ص 143. تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج 59، ص 145. البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 140. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج 2، ص 159. الغدير للعلامة الأميني: ج 10، ص 173.
- 2- تاريخ الطبري: ج 5، ص 461.

\_\_\_ وقوله: (إن الحسين لم يقرأ قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ نُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ نَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ نَشَاءُ وَتُعْزِّزُ مَنْ نَشَاءُ وَتَذِلُّ مَنْ نَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (1)(2).

3 \_\_\_ ولم ينحصر الفكر الجبري بيزيد بن معاوية، وإنما هو عند ولاته أيضا مما يدل على أن هذا الفكر منتشر في الساحة الإسلامية آنذاك.

ومن الشواهد على ذلك:

قول عبيد الله بن زياد والى الكوفة للعقيلة زينب بنت علي أمير المؤمنين عليهما السلام: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟! فقالت عليها السلام:

«ما رأيت إلا- جميلا، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ، ثكلتك أمك يا ابن مرجانة» (3).

أى: إن كنت تسأل عن صنع الله تعالى فالله لا يصنع إلا جميلا، وإن كنت تسأل عن فعل قتلهم فستحاج يوم القيامة وسيخاصمك الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعندها فانظر لمن يكون هذا الفعل الذي نزل بأخى وأهل بيتي أهول له كما تزعم أم أن هذا الفعل فعلك يا ابن مرجانة. فتحاج وتخاصم ولذا كان رد العقيلة زينب عليها السلام يعد كضربة سيف أبيها عليه السلام لعمر بن وحده أو لمرحب أو لعتبة وشيبة في يوم بدر.

1- سورة آل عمران، الآية: 26.

2- تاريخ الطبري: ج 5، ص 464.

3- كتاب الفتوح لابن أعمش: ج 5، ص 122. مثير الأحران لابن نما الحلبي: ص 71. اللهوف لابن طاووس: ص 94.

## العامل الثاني: الخلط بين الخلافة والملك

هذه الشبهة التي وقع فيها بعض الصحابة فضلاً عن حكام البلاط الأموي، أي: الخلط بين الظهور بمظهر الخلافة وأن الحاكم إنما هو (خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الظهور بمظهر الملك والسلطان وأن الله تعالى اختار لملكه هذا الحاكم أو ذاك، أدى إلى الاضطراب في السلوك، لأن الخلافة تفرض من خلال موقعها وعنوانها الشرعي المتصل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تفرض على صاحبها السير ضمن الحدود الشرعية، وهو ما لم يتصف به الحكام والملوك، لأنهم لم يخضعوا لتلك الضوابط التي يخضع لها الخليفة، أي خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من ثم فهم لا يعلمون أملوك هم أم خلفاء؟

ومما يدل عليه:

1 \_\_ روى ابن سعد عن سفيان بن أبي العوجاء، قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أنا خليفة أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم. قال قائل: يا أمير المؤمنين أن بينهما فرقا، فإن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر (1).

2 \_\_ وعن ابن سعد أيضا، عن سلمان المحمدي (الفارسي)، أن عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟.

فقال سلمان: إن أنت جيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر، ثم

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج3، ص307. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ج5، ص306.

وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة؛ فاستعبر عمر(1).

3 \_\_ روى الثعلبي في تفسيره، أن عمر بن الخطاب سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان: ما الخليفة من الملك؟. فقال طلحة والزبير: ما ندري.

فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم في السوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضى بكتاب الله.

فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عزوجلّ ملأ سلمان حكما وعلما وعدلا(2).

ورب سؤال يفرض نفسه في البحث: مَنْ مِنَ الَّذِينَ جَلَسُوا عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَتْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ، الَّتِي ذَكَرَهَا الصَّحَابِيُّ الْجَلِيلُ سَلْمَانَ الْمُحَمَّدِيُّ رِضْوَانَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ؟ كَيْ نَعْلَمَ مِنْ مَنْهُمْ كَانَ خَلِيفَةً وَمَنْ كَانَ مُلْكًا.

4 \_\_ قول عائشة الذي سبق، حينما سألتها الأسود بن يزيد عن منازعة معاوية بن أبي سفيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من الطلقاء \_\_ أى: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلقه من الأسر يوم فتح مكة هو وجميع المشركين، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء \_\_ فكان الأسود متعجبا من منازعة معاوية الصحابة في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: (وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتیه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة، وكذلك غيره من الكفار).

1- الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 3، ص 306. تاريخ الطبري: ج 3، ص 279. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3، ص 59.

2- تفسير الثعلبي: ج 1، ص 177.

ويظهر من حديث عائشة:

أ. إمكانية أن يجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم المسلمين من يكون كفرعون ملك مصر أو غيره من الكفار، ومن ثم: ليس هناك من عجب في منازعة معاوية بن أبي سفيان؛ وهو من الطلقاء؛ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ب. الخلط واضح في الفكر السائد عند الرموز في الساحة الإسلامية بين مقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبين الملك الذي يمكن أن يظهر في كافر من الكفار كفرعون، لأن السائل يسأل عن خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعائشة تجيب عن الملك.

ج. وجود حالة من النزاع بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مقام الخلافة أو الملك كلا منهم حسب فهمه لهذا الموقع.

د. إسكات الأصوات المعارضة لهذا النزاع، والتي تُظهر نسبة من الوعي والقدرة على تمييز الدخلاء على موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن غيرهم.

هـ. إفراغ موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العنوان الشرعي من خلال المقارنة بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخليفة وبين ملك مصر، في حين كان يلزم الأمر أن تكون المقارنة بين موسى عليه السلام وخليفته على بنى إسرائيل، وهذا يدعو إلى الاعتقاد منذ البدء بأنه ملك وليس خلافة مرتبطة بالسماء كما عنون لها القرآن:

<إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً> (1).

وهو نبي الله آدم عليه السلام ومن بعده الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام جميعاً.

ولذا حاول أولئك الحكام والملوك إصباغ موقعهم السلطوى بصبغة شرعية محورها إرادة الله، وأن الملك لله تعالى يهبه من يشاء، وعليه فيمكن أن يكون الحاكم أسوأ من فرعون، ولا علاقة للحدود الشرعية في أمره ونهيه وفعله وتركه، وهو ما كان عليه حال المسلمين خلال القرون الماضية، وليس حالهم اليوم بأفضل من أمسهم.

وإن الذين خرجوا لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما لبوا أمر السلطان الذى يدافع عن عرشه وكرسيه وملكه ولذا قال يزيد \_\_ لعنه الله \_\_ للإمام زين العابدين عليه السلام:

(أبوك نازعنى ملكى)، ومن قبله قال عمر بن الخطاب: (أخليفة أنا أم ملك؟)، فضلاً عن إعلان أبى بكر انتفاء العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقد انتهى ذلك العصر الذى تسوده التوجيهات والتسديدات السماوية وبدأ عصر من له شيطان يعتريه ولذا فهو بحاجة إلى أمرين:

1\_\_ إلى التقويم.

2\_\_ إلى عدم إغضابه.

وكلاهما لا ينسجمان فكيف يتحقق التقويم للسلوك وظهور الاعوجاج فيه مع عدم حصول الغضب الشديد الذى يصرح فيه أبو بكر بقتل من يغضبه أو بقطع أحد أعضائه، وأقل ما يقوم به الجلد؛ من الواضح جداً انها مراوغة فهمها من سمعها فأعرضوا تقويم أبى بكر ولزموا تهديده لهم لعلمهم بقوة شيطانه الذى يعتريه كما أعلن لهم ذلك بلسانه.

كل هذه التحولات والأنماط الفكرية ظهرت فى عاشوراء كواقع عملى يرى ضرورة قتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حفاظاً على الملك.

## العامل الثالث: تآلف المجتمع الكوفي

### إشارة

دور التآلف في تكوين عقيدة المجتمع الإسلامي، مجتمع الكوفة

لقد وجد علماء الإثنوغرافيا (علم الأقاليم) ومن خلال الدراسات والمراكز المعاصرة في أوائل القرن العشرين: (أن الثقافات تتأثر بعضها ببعض نتيجة الاتصال أيا كانت طبيعته ومدته وأهدافه.

وقد ركز الإثنوغرافيون — أو الاجتماعيون — على نتائج الالتقاء أو الاحتكاك الثقافي للأوروبيين بثقافات الجماعات البدائية في ظل النشاط الاستعماري في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، بمعنى آخر لقد ركزت دراسات الاتصال الثقافي على نوع واحد معين من عملية التغير كما يقول — راديوكليف براون: (تغير الحياة الاجتماعية بفعل تأثير أو سيطرة الغزاة الفاتحين الأوروبيين وبخاصة في القارة الإفريقية).

وكان الباحث الأمريكي — ميلفين هرسكوفيتز (1895—1963) أول من أطلق مصطلح التآلف أو التزاوج الثقافي كدلالة على الدراسة الإثنوغرافية التي تهتم بظاهرة الاتصال الثقافي بين الجماعات البشرية عن طريق الاحتكاك(1).

### تعريف التآلف

تعريف التآلف: (يشمل التآلف التغير الثقافي في تلك الظواهر التي تنشأ حين تدخل جماعات من الأفراد الذين ينتمون إلى ثقافتين مختلفتين في اتصال مباشر مستمر معهما، مما يترتب عليه حدوث تغيرات في الأنماط الثقافية الأصلية السائدة في إحدى هاتين الجماعتين أو فيهما معا)(2).

1- علم خصائص الشعوب، أ.د. علي عبد الله الجباوي: ص 392.

2- المصدر السابق.

وقد حاول معاوية بن أبي سفيان من خلال عملية التثاقف إيجاد تغييرات فى الأنماط الثقافية الأصلية السائدة فى جماعة أهل الكوفة، دون أن يغيب عن ذهنه إمكانية أن يتأثر أهل الشام ولاسيما أولئك الذين يظهرن الولاء له ويحملون ثقافة بغض على بن أبى طالب عليه السلام.

فقام بتهجير مجاميع كبيرة من أهل الكوفة وتحديدًا أولئك الذين يحملون ثقافة حب على بن أبى طالب عليه السلام ونقلهم إلى خراسان أو تضييعهم أثناء عملية النقل مع أسرهم.. وزج أصحاب الثقافة المغايرة إلى مجتمع الكوفة عسى أن تؤدى عملية التثاقف هذه إلى تغيير الأنماط الثقافية لأهل الكوفة فى جبههم لعلى بن أبى طالب عليه السلام.

ولم يكتف معاوية بعملية التثاقف هذه والاحتكاك بين مجموعتين مختلفتين ثقافيا وإنما عمل بإسناد الثقافة التى يحملها ونشرها فى البلاد الإسلامية مما يؤدى إلى فرض هذه الثقافة فى المجتمعات الإسلامية ومحاولة اقتلاعها من مجتمع الكوفة فقام بما يلى:

### الحلقة الأولى \_ إرهاب الثقافة

#### إشارة

سرعان ما يتبادر إلى الذهن معنى مصطلح (ثقافة الإرهاب) أما معنى مطروح (إرهاب الثقافة) فيتضح معناه من خلال ما شهده مجتمع الكوفة فى أثناء حكومة معاوية بن أبى سفيان وما اتبعها من أنماط ثقافية إلى يومنا الحاضر.

إذ يمكن لنا أن نتصور إرهاب ثقافة بغض على بن أبى طالب عليه السلام التى زرعت فى المجتمع الإسلامى خلال نصف قرن من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال الشواهد التالية:



### الشاهد الأول: رواية الإمام الباقر عليه السلام

خير صورة تجسد إرهاب الثقافة في حكومة معاوية بن أبي سفيان هو حديث الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الفترة، حينما أخذ يحدث أحد أصحابه عن تلك المرحلة الزمنية، قال عليه السلام:

«يا فلان ما لقينا من ظلم قريش إيانا وتظاهروا علينا، وما لقي شيعتنا ومحبوها من الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبض وقد أخبرنا أولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الأمر عن معدنه واحتجت على الأنصار بحقنا وحجتنا، تداولتها قريش واحداً بعد واحد حتى رجعت إلينا فنكثت بيعتنا، ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كؤود حتى قتل.

فبيع الحسن ابنه وعوهد، ثم غدر به، وأسلم، ووثب عليه أهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه وانتهب عسكره، وعولجت خلاخيل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته، وهم قليل حق قليل.

ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعتهم في أعناقهم فقتلوه.

ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام، ونقصى ونمتهن، ونحرم ونقتل ونخاف ولا- نأمن على دماننا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقربون به إلى أوليائهم، وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله لئيبغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية، بعد موت الحسين عليه السلام

فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من ذكر بحبنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله، أو هدمت داره.

ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلته، وأخذهم بكل ظنة وتهمته، حتى أن الرجل ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة على، وحتى صار الرجل الذى يذكر بالخير ولعله يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئا منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب أنها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع»(1).

### الشاهد الثانى: قتل من يروى حديثا فى فضل على وأهل بيته عليهم السلام

بعد بيان الإمام الباقر عليه السلام للحالة العامة التى مرّ بها أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم خلال القرن الأول للهجرة فإن التاريخ قد أظهر بعض التفاصيل عن إرهاب الثقافة التى قام بها معاوية بن أبى سفيان على المسلمين.

فقد روى أبو الحسن على بن محمد بن أبى سيف المدائنى فى كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبى تراب وأهل بيته(2).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج 44، ص 68.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 11، ص 44. مختصر البصائر لحسن بن سليمان الحلبي: ص 13. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج 33، ص 191، ح 75.

فقام الخطباء فى كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا \_\_\_ والعياذ بالله \_\_\_ ويبرؤون منه ويقعون فيه وفى أهل بيته، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على(1).

### الشاهد الثالث: تولية معاوية لزياد بن سمية على الكوفة

ثم قام معاوية فولى على الكوفة زياد بن سمية وضم إليه البصرة، وقد كان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف، ولذا فقد قتلهم تحت كل حجر، ومدر، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم، وشردهم عن العراق، فلم يبق بها معروف منهم.

فضلاً عن قتله صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا يحبون على بن أبى طالب عليه السلام وهو الأمر الذى يعد واجباً شرعياً فرضته عليهم عقيدتهم الإسلامية، كحجر بن عدى، وعمرو بن الحمق الخزاعى وغيرهما(2).

### الشاهد الرابع: إسقاط شهادة شيعة على عليه السلام

ومن الأنماط الأخرى لإرهاب الثقافة الذى مارسه معاوية على شيعة أهل البيت عليهم السلام هو إصداره كتاباً إلى ولايته على المدن الإسلامية بأن لا يجيزوا لأحد من شيعة على وأهل بيته الشهادة(3).

1- مناقب أهل البيت عليهم السلام للمولى حيدر الشيروانى: ص 27. الغدير للشيخ الأمينى: ج 11، ص 28.

2- الاحتجاج للطبرسى: ج 2، ص 20. البحار للمجلسى: ج 44، ص 213.

3- كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصارى: ص 317. الاحتجاج للشيخ الطبرسى: ج 2، ص 17. مناقب أهل البيت عليهم السلام للمولى حيدر الشيروانى: ص 27.

### الشاهد الخامس: نشر الأحاديث المكذوبة في فضائل عثمان

ولم يكتف معاوية بمنع شهادة شيعة أهل البيت عليهم السلام وفرض حصار اجتماعي واقتصادي عليهم في الأقطار كافة، وإنما عمد إلى سياسة أخرى ونمط جديد من أنماط إرهاب الثقافة، فقام بتعميم كتاب إلى الولاة يقول فيه: (أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان وصحبته وأهل بيته، والذي يروون فضائله ومناقبه، فأدنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمواهم واكتبوا إلى بكل ما يروى رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته).

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والجبات والقطائع، وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار فيروى في عثمان فضيلة إلا كتب اسمه وقرب وأجيز فلبثوا بذلك ما شاء الله (1).

وحيثما كثر الحديث في جميع المدن الإسلامية وانتشرت بينهم ثقافة التزوير والتحريف وشاع استخدامها وطمع في تحصيلها أصحاب المصالح والنفوس المريضة، عمد معاوية إلى نمط آخر من الإرهاب الفكري فقام بترويج هذه الصنعة الجديدة في أوساط الرواة إلى تغير الوجهة من الإكثار في فضائل عثمان إلى الإكثار في فضائل الصحابة والشيخين مع اعتماد نمط جديد في إرهاب الثقافة يعتمد على وضع أحاديث مشابهة للأحاديث التي تتحدث عن فضائل أهل البيت عليهم السلام كي

---

1- شرح نهج البلاغة، المعتزلي: ج 11، ص 44. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 44، ص 125. كتاب الغدير للشيخ الأميني: ج 11، ص 28. مناقب أهل البيت عليهم السلام للمولى حيدر الشيرازي: ص 27.

يختلط على الناس التمييز، ومن ثم فقدان الخصوصية في تميّز أهل البيت عليهم السلام عن بقية الصحابة.

فكتب إلى الولاة: (إن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصدّر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا يتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأمرّ لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب ولشيئته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله(1)).

فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها، وجدّ الناس في رواية ما يجري هذا المجرى، حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلّمى الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وغلماّنهم من ذلك الكثير الواسع، حتى روه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، حتى علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله(2)).

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: (انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه(3)).

- 
- 1- مختصر البصائر لحسن بن سليمان الحلبي: ص 13. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج 44، ص 125.
  - 2- مناقب أهل البيت عليهم السلام للمولى حيدر الشيرواني: ص 28. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج 11، ص 45. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 44، ص 125.
  - 3- أضواء على الصحيحين للشيخ محمد صادق النجدي: ص 53. النصائح الكافية لابن عقيل: ص 98. مختصر البصائر لحسن بن سليمان الحلبي: ص 14. شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج 11، ص 45. بحار الأنوار: ج 44، ص 44. كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: ص 318.

### الشاهد السادس: التنكيل بشيعة علي وهدم دروهم

ولم يكتف معاوية بكل هذه الأنماط من إرهاب الثقافة فقام بإصدار كتاب آخر وبعث به إلى جميع الولاة على المدن الإسلامية، جاء فيه: (من اتهمتموه بموالاته هؤلاء القوم فنكلوا به، واهدموا داره)(1).

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه مما يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدث حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكتمن عليه(2).

حتى قيل في ذلك:

إن اليهود بحبهم لنبيهم

أمنوا بوائق حادث الأزمان

وذوى الصليب بحبهم لصليهم

يمشون زهوا في قرى نجران

والمؤمنون بحب آل محمد

يرمون بالآفاق بالنيران(3)

### الحلقة الثانية \_ آثار الأنماط الثقافية

يرى علماء الإناسة، وبالأخص الإتنوغرافيون في مثل هذه الحالات من الثقافة: (أن تسود هذه العلاقة الاحتكاكية من الثقافة صفة السيادة والتحكم والسيطرة بالثقافة الخاصة للشعب الأقل تطورا من قبل الثقافة الأكثر تطورا)(4).

1- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 11، ص 45. مناقب أهل البيت عليهم السلام للمولى حيدر الشيرواني: ص 28.

2- مختصر البصائر لحسن بن سليمان الحلبي: ص 14. كتاب الغدير للشيخ الأميني: ج 11، ص 29.

3- أولاد الإمام الباقر عليه السلام للسيد حسين الزرباطي: ص 50.

4- علم خصائص الاقوام لعلي عبد الله الجباوي: ص 393.

بمعنى: (أن ما يحدث في عملية التثاقف بين شعبيين هو تأثير الشعب الأقل تطورا بثقافة الشعب الأكثر تطورا)(1).

وفي الواقع لا يمكن معرفة أى الثقافتين الأكثر تطورا والأقل تطورا ما لم يتم دراسة آثار كل من هاتين الثقافتين على الشعبين.

والتاريخ يتحدث عن تأثير ثقافة بغض على بن أبى طالب عليه السلام بثقافة حب على بن أبى طالب عليه السلام، فمع كل ما عمله معاوية من إرهاب الثقافة وإرهاب الإنسان فى ماله وولده ونفسه إلا أن ثقافة حب على بن أبى طالب عليه السلام هى التى فرضت نفسها على الثقافات الأخرى، لدرجة احتار فيها بعض من عرف بميوله وتوجهاته الثقافية المغايرة.

قال الشعبي: ما لقينا من على بن أبى طالب، إن أحببناه قتلنا وإن أبغضناه هلكنا(2).

وكان الحسن البصرى يروى أحاديثه عن على عليه السلام مرسله خوفا من بنى أمية(3).

وقال أحمد الحفظى فى أرجوزته:

والحسن البصرى يروى عن عليعلومه وللسماع يجتلى

قال الإمام أحمد بن حنبل

لسائل عن فضل مولانا على

ماذا أقول بعد كتمان العدا

للنصف من فضل الولي حسدا

1- علم خصائص الأقسام للجباوى: ص 393.

2- النصائح الكافية لابن عقيل: ص 154.

3- المصدر السابق.

ونصفه خوفا من القتل وذا

حقيقة يعرفها من احتذا

وأظهر الله من الكتمين

ما ملأ البرين والبحرين(1)

ويكفى بالتاريخ حكما سابقا وحاضرا في بيان أى الثقافتين تأثرت بالأخرى، وأيهما تنامت وتضاعفت حب على بن أبى طالب عليه السلام أم بغضه.

ويستدل علماء الإناسة على حقيقة انتصار الثقافة الأصيلة على الثقافة الوضيعة ما شهده العالم العربى فى أثناء تولى الأتراك العثمانيين للحكم (فقد حاولت الدولة العثمانية الغازية والمحتلة عثمانة الشعب العربى عن طريق جعل اللغة العثمانية \_ التركية \_ هى اللغة الرسميّة فى مجالات الحياة كافة.

لكن الشىء الذى حدث هو العكس تماما حيث تأثرت اللغة التركية ذاتها باللغة العربية وبالثقافة العربية نتيجة لعملية الاحتكاك الثقافى بين العرب الأكثر تطورا فى مجال الثقافة وبين الأتراك العثمانيين الأقل ثقافة.

فقد استعادت اللغة العثمانية معظم مفرداتها اللغوية من اللغة العربية لدرجة أن عملية التثاقف هنا كادت أن تؤدى باللغة التركية إلى الهلاك فيما لو بقيت الحالة فى الدولة التركية الجديدة بعد مصطفى أتاتورك، كما كانت عليه فى السابق تكتب بالحروف العربية، ويعود سبب التأثير الثقافى التركى بالثقافة العربية إلى القرآن الكريم ومبادئ الدين الإسلامى الذى يدين به كل من العرب والأتراك(2).

ولأن منبع الثقافة الإسلامية الأصيلة هى القرآن الكريم والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يتمكن معاوية من سرّيّة المسلمين ومحو ثقافة حب على بن أبى طالب عليه السلام.

1- النصائح الكافية لابن عقيل: ص 154.

2- علم خصائص الشعوب، د. على الجباوى: ص 393.



بل هو الذى هلك وهلكت معه ثقافته، وإن كان لها حملة فى بعض البلاد الإسلامية بسبب غياب الثقافة القرآنية عنهم ولو تثقف المسلمون بثقافة القرآن ما أصبح هذا حالهم، إذ كانوا:

<خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ>.

### العامل الرابع: سلوك الحكام سياسة التجرى على الحكم الشرعى

من الأمور التى ساعدت على نجاح عملية التثاقف داخل المجتمع الكوفى هو سلوك الحكام سياسة التجرى على الحرمات وكسر حاجز القداسة حول الرموز الدينية والشرعية التى نص عليها القرآن الكريم والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ممثلاً- ذلك فى الهجوم على دار بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاك حرمة وحرقة (1) بمن فيه إن لم يخرج على عليه السلام لبيعة ابن أبى قحافة.

حتى باتت هذه الحادثة من بديهات الثقافة الإسلامية كما يصرح بها حافظ إبراهيم شاعر النيل قائلاً:

وقولة لعلى قالها عمر

أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرقت دارك لا أبقى عليك بها

ان لم تباع وبنت المصطفى فيها (2)

- 
- 1- راجع فى حادثة التحريق والهجوم على بيت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «تاريخ الطبرى: ج3، ص443. تاريخ أبى الفداء: ج2، ص64. العقد الفريد لابن عبد ربه: ج4، ص254. الإمامة والسياسة: ج1، ص12. تاريخ اليعقوبى: ج2، ص11.
  - 2- ديوان حافظ إبراهيم بشرح الديمياطى طبع سنة 1937م، طبع دار الكتب فى جزئين والأبيات المذكورة توجد فى ج1، ص82.

بل الأدهى من ذلك التجرى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل وفاته بأيام قلائل حينما قال له عمر بن الخطاب:

(إنه ليهجر، وقد وردت هذه الرزية بألفاظ مختلفة في صحيح البخارى ومسلم)<sup>(1)</sup>.

ومحاربة على بن أبى طالب عليه السلام والمجاهرة ببغضه والخروج لقتاله على الرغم من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»<sup>(2)</sup>.

وما ينفعهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انتهكت حرمة وهو حى يرزق واتهم بالهجر وهو الذى:

«وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»<sup>(3)</sup>.

بل الأعجب من فعل السلف اعتذار الخلف عنهم وتزيين تلك الفعال فلا يدري الباحث أيبحث عن إجابات عن أسئلته حول فعل السلف أم عن تبريرات الخلف؟! أم يبحث عن إجابات لمنعه عن التفكير وطرح تلك الأسئلة؟! فمرة يتهم بالتكفير؛ وأخرى بالتزوير؛ وأقل ما يقال فيه هو (التخلف) لبحثه فى أخبار أمة قد خلت وكأنّ القائل من أمة موسى أو عيسى عليهما السلام ولا يمت إلى الإسلام بصلة؛ فأى أمة تلك التى خلت ومقدساتها تنتهك على مر الزمن؟!.

1- كتاب صحيح البخارى، باب: دعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ج4، ص66، وغيرها من المواضع. صحيح مسلم، باب الأمر بقضاء النذر: ج5، ص76.

2- الإرشاد، الشيخ المفيد: ج1، ص40.

3- سورة النجم، الآيات: 3، 4.

ومن هنا: نجد هؤلاء يتصرفون بهذه الكيفية التي تعبر عن اعتقادهم بصحة فعلهم لأنهم نشأوا على ثقافة جديدة غير التي أرسى قواعدها القرآن الكريم والنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فهي لم تحمل من ثقافة القرآن سواء قوالب الألفاظ التي أصبح لها مدلولات جديدة؛ فالمقدس فى عصر النبوة هو القرآن والنبى وعترته وهما مصدر الحكم الشرعى.

والمقدس فى عصر الخلافة هو الذى يجلس على العرش سواء كان واحداً من الصحابة أو يزيد أو أتاتورك فطاعة الأمير واجبة.

بل: إن قدسيّة الخليفة فى ثقافة عصر الخلافة، لاسيما خلافة بنى أمية، أعظم من قدسية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما صرح والى العراق الحجاج بن يوسف الثقفى مدلل البلاط الأموى ومثبت حكم بنى أمية حينما بعث برسالة إلى عبد الملك بن مروان يقول له فيها: (إنّ خليفة الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين)(1)!!

وهو القائل لجمع من أهل الكوفة يريدون زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (تبّاً لهم إنما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله)(2).

وتغافل ذلك المتبجح والممتهن للحرمات أنّ الرسل والأنبياء عليهم السلام خلفاء الله

1- العقد الفريد، ابن عبد ربه: ج2، ص 354 وج5، ص 51. البداية والنهاية: ج19، ص 131. تهذيب تاريخ دمشق: ج4، ص 72.

2- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج15، ص 242. الكامل للمبرد: ص 222، ط النهضة، مصر.

فى أرضه، كما نص عليه القرآن فى قضية آدم عليه السلام؛ قال تعالى:

﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾(1).

فكيف لا- يخرجون لقتال ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومفهوم الطاعة والمعصية فى ثقافتهم لا علاقة لها بالحسنات والسيئات وإنما بالدينار والدرهم ورضا الأمير أو سخطه. ولذلك: نجد التاريخ يحدث عن خروج بعض الجند من جيش عمر بن سعد ومخاطبتهم لابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتلك الألفاظ التى تكشف عن ثقافة عصر الخلافة.

1\_ فأما ابن أبى جويرية فيخاطب الإمام الحسين عليه السلام: (يا حسين وأصحاب حسين أبشروا بالنار، فقد تعجلتموها فى الدنيا)(2).

2\_ وتميم بن حصين خاطبه قائلاً:

(يا حسين واصحاب الحسين أما ترون إلى ماء الفرات كأنه بطون الحيات؟ والله لا ذقتم منه قطرة حتى تذوقوا الموت جرعا)(3).

3\_ وابن حوزة يقول له: (يا حسين أبشر بالنار).

4\_ أما محمد بن الأشعث بن قيس فيتساءل متجحاً وساخراً من صلة القرابة التى بين الحسين ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائلاً: (أى قرابة بينك وبين محمد) وكان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم رجل من قريش لم يُعرف له شأن أو أنه قد سمع الناس يقولون عنه إنه نبي الإسلام الذى لم يعرفه محمد بن الأشعث لا هو ولا أبوه ولا جده ولذلك لم يقل للحسين عليه السلام: (أية قرابة بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)؛ وإنما قال: (بينك وبين محمد).

1- سورة البقرة، الآية: 30.

2- الأمالى، الشيخ الصدوق رحمة الله: ص 221. روضة الواعظين، الفتال النيسابورى: ص 185.

3- الثاقب فى المناقب، ابن حمزة الطوسى: ص 340.

إذن: ليس من المستغرب أن تكون ثقافة عصر الخلافة التي سلكت أسلوب التجري على حرمان الشريعة المحمدية منذ اللحظات الأولى لرحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسست للفكر الجبرى وتعاظمت مع إيجاد الثاقف الأموى وسفينة العقيدة أن تُخرج تلك الرموز التي حملت رأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتطوف به فى المدن الإسلامية ويستقبل بالزينة والأهازيج وكأنه رأس قيصر الروم لا ابن بنت نبيهم إن كانوا به مؤمنين!!!

### المسألة الثالث: الحكمة فى ظهور الأثر الغيبى الآن فى دعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء

إنّ مما ساعد على تمركز هذه الثقافة فى المجتمعات الإسلامية هو غياب العقاب الإلهى خلال نصف قرن مع كثرة تلك الانتهاكات والتجاهر بحرب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعترته عليهم السلام مستغلين بذلك حلم الله سبحانه ومتغافلين عن حكمته فى استدراج الظالمين، وهو ما بنيت عليه عقيلة الطالبين فى قمعها لتبجج يزيد بن معاوية حينما تمادى فى حربه لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يضرب بعصاه ثنايا سيد شباب أهل الجنة فقالت عليه السلام:

«الحمد لله ب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله سبحانه كذلك يقول:

>ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤْنَ<(1).

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء إن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرک عنده فشمخت بانفک ونظرت فى عطفک جدلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى:

<وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لَّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ> (1)(2).

ولقد حاول مؤسسو هذه الثقافة فى ظل غياب العقاب الإلهى تحقيق أكثر من هدف؛ إذ لم ينحصر الأمر ببقائهم فى الحكم وإنما بطمس هذا الدين كى لا يحاول أهله العودة إلى النهوض من جديد.

ومما يدل عليه:

ما ذكره الزبير بن بكار فى الموفقيات، عن المطرف بن المغيرة بن شعبة قال:

(دخلت مع أبى على معاوية، فكان أبى يأتيه فيتحدث معه، ثم ينصرف إليه فيذكر معاوية وعقله، ويعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، ورأيتة مغتما فانتظرت ساعة، وظننت أنه لأمر حدث فينا فقلت: ما لى أراك مغتما منذ الليلة؟.

1- سورة آل عمران، الآية: 178.

2- اللهوف فى قتلى الطفوف لابن طاووس: ص106. بلاغات النساء لابن طيور: ص22. الاحتجاج للطبرسى: ج2، ص35.

فقال: يا بني، جئت من أكفر الناس وأخبثهم، قلت: وما ذاك؟.

قال: قلت له وقد خلوت به؛ إنك قد بلغت سنّاً يا أمير المؤمنين فلو أظهرت عدلاً، وبسطت خيراً فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى أخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم، فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، وإن ذلك مما بقي لك ذكره وثوابه؟.

فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه؟ ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما عدا أن هلكت حتى هلكت ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر.

ثم ملك أخو عدى، فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلكت حتى هلكت ذكره، إلا أن يقول قائل: عمر.

وإن ابن أبي كبشة ليصاح به كل يوم خمس مرات (أشهد أن محمداً رسول الله) فأى عمل يبقى؟، وأى ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك؟ لا والله إلا دفنا دفنا).

وروى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته، وكتب إليهم: أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائله ومناقبه فأدنوا مجالسهم، وقربوهم وأكرموهم، واكتبوا إلى بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته.

ففعّلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحباء والقطاء، ويفيضه في العرب منهم والموالي، فكثرت ذلك وتنافسوا في المنازل والدنيا، فليس يجيء أحد مردود من الناس عاملاً

من عمال معاوية فيروى في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً.

ثم كتب إلى عماله: إن الحديث عن عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء الأولين، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فإن هذا أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب إلا وأتوني بمناقض له في الصحابة مفتعلة فإن هذا أحب إلي، وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله، فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخباراً كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها.

وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمى الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن، بل علموه بناتهم ونساءهم وخدمهم، فلبثوا بذلك ما شاء الله فظهر حديث كثير موضوع، وبهتان منتشر، ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة.

وكان أعظم الناس في ذلك القراء المراءون الذين يظهرون الخشوع والنسك ويفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولايتهم ويقربوا مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل، حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوه ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها.



وقد ورث معاوية عن أبيه قسوته وكيده ودهاءه، ولم تكن أم معاوية بأقل من أبيه تنكرا للإسلام وبغضا لأهله وحفيظة عليهم، وهم قد تروها يوم بدر فثأر لها المشركون يوم أحد، ولكن ضغنها لم يهدأ وحفيظتها لم تسكن، حتى فتحت مكة فأسلمت كارهاة كما أسلم زوجها كارها وكما أسلم كذلك ابنها معاوية بعد إسلام أبيه كارها.

وهند هذه هي التي أغرت وحشيا بحمزة عم النبي حتى قتله ثم أعتقته، ولما قتل حمزة بقرت بطنه، ولاكت كبده، وفعلت فعلتها بجثته! وإذا كان معاوية قد ورث بغض علي عن آبائه \_\_ مما حدثناك عنه \_\_ فإن هناك أسبابا أخرى تسعر من نار هذا البغض، منها إن عليا قتل أخاه حنظلة يوم بدر، وخاله الوليد بن عتبة وغيرهما كثيرين من أعيان عبد شمس وأمثالها.

ومن أجل ذلك كان معاوية أشد الناس عداوة لعلي يتربص به الدوائر دائما، ولا يفتأ يسعى في الكيد له سرا وعلانية، قولا وفعلا، قال أبو جعفر الإسكافي: إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضى الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلا- يرغب في مثله، اختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير.

ومن الغريب أننا لا- نجد لمعاوية فضيلة معترفا بها، وقد أفرد له البخارى في صحيحه بابا عنونه بـ(ذكر معاوية) بينما عنون لغيره بـ(فضائل) فلان وفلان مع أنه لم يأت في هذا الباب بأحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وحكى ابن الجوزى فى الموضوعات عن إسحاق بن راهويه — شيخ البخارى — إنه قال:

(لم يصح فضائل معاوية شىء؛ وقد أكد العلماء المحققون جريمة معاوية الكبرى فى حق الإسلام والمسلمين حين صرف الخلافة بحقه ومكره عن صاحبها الأسمى فقد قال ابن رشد الفيلسوف المعروف: إن معاوية أقام دولة بنى أمية وسلطانها الشديد، ففتح بذلك بابا للفتن التى لا تزال إلى الآن قائمة قاعدة حتى فى بلادنا هذه الأندلس)(1).

أما العلة فى تأخر ظهور الأثر الغيبى الأتى قبل عاشوراء فيعود للأسباب الآتية:

1— أن النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع على أمته بالعذاب، وأنه توفى وهو غاضب على من آذوه فى عترته عليهم السلام.

2— كما أن بضعته فاطمة عليها السلام لم تدع بتعجيل هلاك ظالميها، وإنما دعت عليهما بالعذاب محتسبة الله فى ذلك يصنع فيهما ما يشاء، ونفس الأمر نلحظه فى سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، بل فى سيرة أغلب أئمة العترة عليهم السلام، إلا ما اقتضته الضرورة الشرعية التى يراها حجة الله تعالى.

---

1- الأخبار الموقفيات، الزبير بن بكار: ص 576، 577. مروج الذهب، المسعودى: ج 3، ص 454، حوادث سنة 212هـ. النصائح الكافية لابن عقيل: ص 116. شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد: ج 5، ص 130. المسترشد لابن جرير الطبرى (الامامى): ص 679. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج 33، ص 170. الغدير للأمينى: ج 10، ص 284. كشف الغمة للأربلى: ج 2، ص 46. كشف اليقين للحلى: ص 475.

3 \_\_ لقوله تعالى:

<وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ> (1).

4 \_\_ لقوله تعالى:

<وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ> (2).

وأما الحكمة فى ظهور الأثر الغيبى الآتى فى يوم عاشوراء هو:

ألف \_ لتبديد ما رسخ فى أذهان الناس من عقيدة فاسدة زرعها الحكام وأشياهم خلال نصف قرن؛ وقلب تلك الأسس التى قامت عليها ثقافة سَفِيئَةَ المسلمين وانكفاء سحرها على وجوه مؤسسيها.

باء \_\_ لرفع الحجج والأعدار فى ادعائهم أى الجند وأسيادهم كابن زياد وأميره القابع فى البلاط الأموى ومن سار على هذا النهج ممن سيخلفونهم وعلى مرِّ السنين بأنهم لم يكونوا على علم بأنه حجة الله وهو ما يعرف عند أهل الأصول بحجية القطع أى انتقال رتبة الدليل من الظن إلى القطع بأنه حجة الله تعالى التى لا- ترد له دعوة فكيف بعدئذ سيقدمون على حربه أو الادعاء بجواز فعلهم عند الله تعالى \_\_ والعياذ بالله \_\_.

ولذلك تهاوت كل هذه الإدعاءات وبان قبحها مع قبح عقول معتقديها.

1- سورة آل عمران، الآية: 178.

2- سورة الإسراء، الآية: 59.

جيم — لنجاة ممن غرر بهم وموه عليهم فضلوا الطريق فلما رأوا هذه الآثار الغيبية والآنية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام انحازوا من معسكر عمر بن سعد إلى معسكر الإمام الحسين عليه السلام أبرز من اتضح له حقيقة الثقافة السفينانية هو الحر بن يزيد الرياحي الذي كان أحد قادة الجيش، وأحد رؤساء الأرباع في الكوفة وهم بنو تميم وهمدان.

وكمسروق بن وائل الحضرمي الذي قال بعد مشاهدته الأثر الغيبي في دعاء الإمام الحسين عليه السلام على ابن حوزة: (كنت في أول الخيل التي تقدمت لحرب الحسين لعلّي أن أصيب رأس الحسين فأحظى به عند ابن زياد فلما رأيت ما صنع بابن حوزة عرفت أن لأهل هذا البيت حرمة ومنزلة عند الله وتركت الناس وقلت لا أقاتلهم فأكون في النار)(1).

---

1- مقتل الإمام الحسين عليه السلام، عبد الرزاق المقرم: ص 240، 241.

## الفصل السابع: مواضع أدعيته عليه السلام لأصحابه عليهم السلام

أشارة



على الرغم من ظهور الآثار الغيبية الآنية في دعاء الإمام الحسين عليه السلام إلا أنهم أخذتهم العزة بالأثم فأصروا على فعلهم؛ وحينها اتخذ الإمام الحسين عليه السلام خطوة أخيرة كى لا يقدم هؤلاء على انتهاك حرمة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيقدم أولئك على فعل يبقى عاره وثناره إلى يوم القيامة.

قام عليه السلام فاستدعى عمر بن سعد \_\_ قائد الجيش \_\_ فدعى له وكان كارها لا يحب أن يأتيه، فقال:

(أى عمر أتزعم أنك تقتلنى ويوليک الدعى بلاد الرى وجرجان والله لا تتهنأ بذلك، عهد معهود فاصنع ما أنت صانع، فإنک لا تقرح بعدى بدنیا ولا آخرة.

وكانى برأسک على قصبة يتراماه الصبيان بالكوفة ويتخذونه غرضاً بينهم)<sup>(1)</sup>.

---

1- مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمى: ج2، ص8. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص10. الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمى: ص307. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشى: ج11، ص626.

فصرف \_\_ عمر بن سعد \_\_ بوجهه عنه مغضباً، ونادى بأصحابه: (ما تنظرون به أحملوا بأجمعكم إنما هي أكلة واحدة)(1).

وتقدم عمر بن سعد نحو عسكر الحسين عليه السلام ورمى بسهم وقال اشهدوا لى عند الأمير أنى أول من رمى، ثم رمى الناس فلم يبق من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلا أصابه من سهامهم.

فقال عليه السلام لأصحابه:

«قوموا رحمكم الله إلى الموت الذى لا بد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم»(2).

فحمل أصحابه حملة واحدة، واقتتلوا ساعة، فما انجلت الغبرة إلا عن خمسين صريعاً(3).

وبعد الحملة الأولى بدأت مرحلة جديدة من المعركة إذ بدأ القتال الفردى بين أصحاب الحسين عليه السلام وأعداء الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبه تظهر مجموعة أخرى من دعواته عليه السلام: فى يوم عاشوراء.

وهى حسب المواضع الآتية:

- 
- 1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص10. شرح إحقاق الحق، السيد المرعشى: ج11، ص626. لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص133.
  - 2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج45، ص12.
  - 3- تاريخ الطبرى: ج7، ص209. اللهوف لابن طاووس: ص60. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص12. لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص36.



## الموضع الأول من أدعيته لأصحابه: دعاؤه لأم وهب رضى الله عنها

### إشارة

قال عليه السلام فى دعائه لها:

«لا يقطع الله رجاك يا أم وهب»<sup>(1)</sup>.

مسائل البحث فى الدعاء:

### المسألة الأولى: من هى أم وهب؟

روى المجلسى رحمة الله: أنها قدمت مع ولدها وهب بن عبد الله بن حباب الكلبى إلى كربلاء لنصرة سيد شباب أهل الجنة عليه السلام؛ ولقد كانت هى وولدها وزوجته من النصارى إلا أنهم أسلموا على يد الإمام الحسين عليه السلام<sup>(2)</sup>.

### المسألة الثانية: سب الدعاء

قال العلامة المجلسى رحمة الله: إنَّ أم وهب قالت لولدها: قم يا بنى فانصر ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: أفعل يا أمه ولا أقصر، فبرز \_\_ يقاتل \_\_ حتى قتل منهم جماعة فرجع إلى أمه وامرأته فوقف عليهما فقال: يا أمه أرضيت؟.

فقالت: ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام، فقالت امرأته: بالله لا تفجعنى فى نفسك!.

فقالت أمه: يا بنى لا تقبل قولها وارجع، فقاتل بين يدي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيكون غدا فى القيامة شفيعا لك بين يدي الله، فرجع قائلا:

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج 45، ص 17.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج 45، ص 17.

إني زعيم لك أم وهب

بالطعن فيهم تارة والضرب

ضرب غلام مؤمن بالرب

حتى يذيق القوم مر الحرب

إني امرؤ ذو مرة وعصب

إني امرؤ ذو مرة وعصب

حسبي إلهي من عليم حسبي

مضرى

فلم يزل يقاتل حتى قتل تسعة عشر فارساً واثنى عشر رجلاً ثم قطعت يده فأخذت امرأته عموداً وأقبلت نحوه وهي تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله، فأقبل كي يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه، وقالت: لن أعود أو أموت معك.

فقال الحسين عليه السلام:

«جزيتم من أهل بيتي خيراً! ارجعي إلى النساء رحمك الله».

فانصرفت، وجعل يقاتل حتى قتل رضوان الله تعالى عليه، قال: فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه فبصر بها شمر، فأمر غلاماً له فضربها بعمود كان معه فشدخها وقتلها، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين.

وروى: أنه قتل في المبارزة أربعة وعشرين رجلاً واثنى عشر فارساً، ثم أخذ أسيراً فأتى به عمر بن سعد فقال:

ما أشد صولتك؟.

ثم أمر به فضربت عنقه، ورمى برأسه إلى عسكر الحسين عليه السلام، فأخذت أمه الرأس فقبلته ثم رمت بالرأس إلى عسكر ابن سعد فأصاب رجلاً فقتلته، ثم شدت بعمود الفسطاط، فقتلت رجلين.

فقال لها الحسين عليه السلام:

«ارجعى يا أم وهب أنت وابنك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الجهاد مرفوع عن النساء».

فرجعت وهى تقول: إلهى لا تقطع رجائى. فقال لها الحسين عليه السلام:

«لا يقطع الله رجاك يا أم وهب»<sup>(1)</sup>.

### المسألة الثالثة: ما هو رجاء أم وهب عليها السلام؟

هذا السؤال يمكن معرفة إجابته \_\_ ولو على الظاهر \_\_ من خلال حث أم وهب ولدها على نصرته الإمام الحسين عليه السلام وتحديداً فى ثلاثة أمور:

الأمر الأول: هو استشهاد ولدها فى سبيل الله وبين يدي ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد تحقق هذا لديها.

والأمر الثانى: وهو استمرار هذا الرجاء الذى سألت الله عنه بأن لا يقطع، أى: أن تنال الشهادة هى أيضاً كما نالها ولدها وزوجته، لتكون هذه العائلة المكونة من ثلاثة أشخاص فى موضع واحد فى الجنة.

الأمر الثالث: هو أنها ترجو الله بأن يحقق لها الهدف والغاية من وراء استشهاد ولدها واستشهادها ألا وهى شفاعته الإمام الحسين عليه السلام يوم القيامة وقد بدا ذلك واضحاً فى قولها لولدها حينما رجع إليها من حملته الأولى التى خرج بها لقتال الأعداء، قائلاً لها: (يا أمه أَرْضِيَتْ؟).

1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص18. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص261. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ص525.

فقلت: (ما رضيت أو تقتل بين يدي الحسين عليه السلام).

والسؤال المطروح هو: لماذا لا ترضى حتى يقتل بين يدي الحسين عليه السلام؟

جوابه حينما قالت لولدها: يا بني لا تقبل قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول الله فيكون غدا في القيامة شفيعا لك بين يدي الله، فرجع.

وهذا يكشف عن أمرين:

أولا: دور الأم في ترسيخ العقائد والأصول الإيمانية في أبنائها.

ثانيا: سمو رتبها الإيمانية ويقينها بالله تعالى وبالمعاد وأنه ينجي عباده في اليوم الآخر، ولذا ظهر عندها الرجاء لارتباطه بالإيمان باليوم الآخر.

### المسألة الرابعة: شفاعة الأئمة يوم القيامة

#### إشارة

إن من المسائل العقائدية التي نالت اهتماما كبيرا في كتب العلماء وعلى مختلف أذواقهم الفكرية ومشاربهم الفقهية هي مسألة الشفاعة، ولأن الإسهاب فيها غير مناسب ها هنا لكونه سيخرج المبحث عن عنوانه؛ إلا أنني أحببت أن أذكر ما بإمكانه أن يضع بين يدي القارئ الكريم صورة بسيطة المعنى واضحة الدلالة، وهي كالتالي:

#### أولا: الشفاعة لغة

قال الفراهيدي: الشفع، ما كان من العدد أزواجا، تقول: كان وتراً فشفعته بالآخر حتى صار شفعا، وفي القرآن (والشفع والوتر) الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة.

ويقال: الشفع الحصا يعنى كثرة الخلق، والوتر الله.

قال الحجاج: شفع تميم بالحصى المتمم، يريد به الكثرة.

والشافع الطالب لغيره: وتقول استشفعت بفلان فتشفع لى إليه فشفعه فى.

والاسم: الشفاعة، واسم الطالب: الشفيع(1).

وقال الجوهري: والشفيع: صاحب الشفعة، وصاحب الشفاعة(2).

وقال ابن منظور: والشفاعة: كلام الشفيع للملك فى حاجة يسألها لغيره، وشفع إليه فى معنى طلب إليه والشافع: الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب.

يقال: تشفعت بفلان إلى فلان فشفعنى فيه واسم الطالب شفيع.

### ثانيا: الشفاعة عند الفقهاء

قال الشيخ الصدوق قدس سره:

(اعتقادنا فى الشفاعة أنها لمن ارتضى الله دينه من أهل الكبائر والصغائر، فأما التائبون من الذنوب فغير محتاجين إلى الشفاعة). وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«من لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله الله شفاعتى»(3).

وقال أمير المؤمنين على عليه السلام:

«لا شفيع أنجح من التوبة»(4).

1- كتاب العين، الفراهيدى: ج1، ص261.

2- الصحاح، الجوهري: ج3، ص1238.

3- الأمالى للشيخ الصدوق: ص56؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج2، ص100.

4- من لا يحضره الفقيه للصدوق: ج3، ص575.

والشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة وفي المؤمنين من يشفع في مثل ربيعة ومضر، وأقل المؤمنين شفاعاة من يشفع لثلاثين إنساناً، والشفاعة لا تكون لأهل الشرك والشك، ولا لأهل الكفر والجحود، بل تكون للمذنبين من أهل التوحيد»(1).

وقال الشيخ المفيد قدس سرّه: (واتفقت الإمامية على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أمته، وأن أمير المؤمنين عليه السلام يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته، وأن أئمة آل محمد — عليهم السلام — يشفعون كذلك وينجى الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين، ووافقهم على شفاعاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرجئة سوى ابن شبيب وجماعة من أصحاب الحديث، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك زعمت أن شفاعاة رسول الله للمطيعين دون العاصين وأنه لا يشفع في مستحق العقاب من الخلق أجمعين)(2).

وقال الشيخ الطوسي قدس سرّه (583\_460هـ): (حقيقة الشفاعاة عندنا أن يكون في إسقاط المضار دون زيادة المنافع، والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيشفعه الله تعالى ويسقط بها العقاب عن المستحق من أهل الصراط لما روى من قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ادخرت شفاعةي لأهل الكبائر من أمتي»(3).

والشفاعة ثبتت عندنا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وكثير من أصحابه ولجميع الأئمة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين).

1- الاعتقادات في دين الإمامية، الصدوق: ص 66.

2- أوائل المقالات، الشيخ المفيد: ص 47.

3- النكت في مقدمات الأصول للشيخ المفيد: ص 54. معجم الزوائد للهيثمي: ج 10، ص 378.

**ثالثا: الشفاعة عند المفسرين**

وقال السيد العلامة الطباطبائي قدس سرّه: (الشفاعة على ما نعرف من معناها إجمالاً بالقريحة المكتسبة من الاجتماع والتعاون و)هى من الشفع مقابل الوتر كأن الشفيع ينضم إلى الوسيلة الناقصة التي مع المستشفع فيصير به زوجا بعد ما كان فردا فيقوى على نيل ما يريد، لو لم يكن يناله وحده لنقص وسيلته وضعفها وقصورها)، من الأمور التي نستعملها لانجاح المقاصد، ونستعين بها على حوائج الحياة، وجل الموارد التي نستعملها فيها اما مورد يقصد فيها جلب المنفعة والخير، وإما مورد يطلب فيها دفع المضرة والشر، لكن لا كل نفع وضرر.

فإننا لا نستشفع فيما يتضمنه الأسباب الطبيعية والحوادث الكونية من الخير والشر والنفع والضرر، كالجوع، والعطش، والحر، والبرد، والصحة، والمرض، بل نتسبب فيها بالأسباب الطبيعية، وتتوسل إليها بوسانلها المناسبة لها كالأكل، والشرب، واللبس والاكنتان والمداواة، وانما نستشفع في الخيرات والشورر والمنافع والمضار التي تستدعيها أو تستتبعها أوضاع القوانين والاحكام التي وضعتها واعتبرتها وقررتها وأجرتها حكومة الاجتماع بنحو الخصوص أو العموم.

ففى دائرة المولوية والعبودية وعند كل حاكم ومحكوم، وأحكام من الأمر والنهى إذا عمل بها وامثلها المكلف بها استتبع ذلك تبعه الثواب من مدح أو نفع، من جاه أو مال، وإذا خالفها وتمرد منها استتبع ذلك تبعه العقاب من ذم أو ضرر مادي، أو معنوي.

فإذا أمر المولى أو نهى عبده، أو كل من هو تحت سيادته وحكومته بأمر أو نهى مثلا فامثله كان له بذلك أجر كريم، وإن خالف كان له عقاب أو عذاب

فهناك نوعان من الوضع والاعتبار، وضع الحكم ووضع تبعه الحكم، يتعين به تبعه الموافقة والمخالفة.

وعلى هذا الأصل تدور جميع الحكومات العامة بين الممل والخاصة بين كل إنسان ومن دونه، فإذا أراد الإنسان أن ينال كمالا وخيرا ماديا أو معنويا وليس عنده ما يستوجب ذلك بحسب ما يعينه الاجتماع، ويعرف به لياقته، أو أراد أن يدفع عن نفسه شرا متوجها إليه من عقاب المخالفة وليس عنده ما يدفعه، أعنى الامتثال والخروج عن عهدة التكليف، وبعبارة واضحة إذا أراد نيل ثواب من غير تهيئة أسبابه، أو التخلص من عقاب من غير إتيان التكليف المتوجه إليه فذلك مورد الشفاعة، وعنده تؤثر لكن لا مطلقا فإن من لا لياقة له بالنسبة إلى التلبس بكمال، أو لا رابطة له تربطها إلى المشفوع عنده أصلا، كالعامة الأمتى الذى يريد تقلد مقام علمى، أو الجاحد الطاغى الذى لا يخضع لسيده أصلا لا تنفع عنده الشفاعة، وإنما الشفاعة متممة للسبب لا مستقلة فى التأثير.

ثم إن تأثير الشفيع عند الحاكم المشفوع عنده لا يكون تأثيرا جزافيا من غير سبب يوجب ذلك بل لا بد أن يوسط أمرا يؤثر فى الحاكم، ويوجب نيل الثواب، أو التخلص من العقاب، فالشفيع لا يطلب من المولى مثلا أن يبطل مولوية نفسه وعبودية عبده فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يرفع اليد عن حكمه وتكليفه المجعول، أو ينسخه عموما أو فى خصوص الواقعة فلا يعاقبه، ولا يطلب منه أن يبطل قانون المجازاة عموما أو خصوصا فلا يعاقب لذلك رأسا، أو فى خصوص الواقعة، فلا نفوذ ولا تأثير للشفيع فى مولوية وعبودية، ولا فى حكم ولا فى جزاء حكم، بل الشفيع بعد ما يسلم جميع الجهات الثلاث المذكورة إنما يتمسك: إما



بصفات فى المولى الحاكم توجب العفو والصفح كسؤدده، وكرمه، وسخائه، وشرافه محتده، وإما بصفات فى العبد تستدعى الرأفة والحنان وتثير عوامل المغفرة كمدلته ومسكنته وحقارته وسوء حاله، وإما بصفات فى نفسه أعنى نفس الشفيح من قربه إلى المولى وكرامته وعلو منزلته عنده فيقول: ما أسألك إبطال مولويتك وعبوديته، ولا أن تبطل حكمك ولا أن تبطل الجزاء، بل أسألك الصّح عنه بأن لك سؤددا ورأفة وكرما لا تنتفع بعقابه ولا يضرّك الصّح عن ذنبه أو بأنه جاهل حقير مسكين لا يعتنى مثلك بشأنه ولا يهتم بأمره أو بأن لى عندك من المنزلة والكرامة ما يوجب إسعاف حاجتى فى تخليصه والعفو عنه.

ومن هنا: يظهر للمتأمل أن الشفيح إنما يحكم بعض العوامل المربوطة بالموارد المؤثرة فى رفع العقاب مثلا من صفات المشفوع عنده أو نحوها على العامل الآخر الذى هو سبب وجود الحكم وترتب العقاب على مخالفته، ونعنى بالحكومة أن يخرج مورد الحكم عن كونه موردا بإدخاله فى مورد حكم آخر، فلا- يشمل الحكم الأول لعدم كونه من مصاديقه لا أن يشمله فيبطل حكمه بعد الشمول بالمضادة كإبطال الأسباب المتضادة فى الطبيعة بعضها حكم بعض بالمعارضة والغلبة فى التأثير، فحقيقة الشفاعة التوسط فى إيصال نفع أو دفع شر بنحو الحكومة دون المضادة. ومن هنا يظهر أيضا: أن الشفاعة من مصاديق السببية فهى تسيط السبب المتوسط القريب بين السبب الأول البعيد ومسببه، هذا ما يتحصل من تحليل معنى الشفاعة التى عندنا(1).

ويظهر مما سبق أن مسألة الشفاعة هى حقيقة قرآنية قد نص عليها الوحي وبيّنها النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وأن أئمة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يشفعون للمذنبين من شيعتهم.

وهنا فى شأن أم وهب فأمر الشفاعة الذى حث ولدها عليه عند خروجه للقتال بين ىدى ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عائد لكونها لم ترزق الشهادة بين ىدى أبى عبد الله عليه السلام كما نالها ولدها وزوجته ولكونها لم تحظ بذلك فرجحت نوال شفاعة الحسين عليه السلام.

#### رابعاً: شفاعة الإمام الحسين عليه السلام

إن من الثواب التى اشتملت عليها عقيدتنا بأهل البيت عليهم السلام أن الله تعالى قد خصهم بالشفاعة كما خص من قبل جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وحيث أن الشافع تتسع دائرة شفاعته عند الله تعالى بلحاظ حظوته ومنزلته فإن مما لا ريب فيه أن الحظوة والمنزلة التى للحسين عليه السلام عند الله تعالى هى منزلة وحظوة خاصة تتناسب مع عبوديته لمولاه وربّه عزّ شأنه؛ وحيث أن الله تعالى يجازى أولياءه بأحسن ما قدموا لربهم.

فضلا عن كونه عزّ شأنه أكرم الأكرمين وأجود المعطين، وقوله صدق ووعدّه حق فلا- يتغير لديه القول لزم أن يفيض على الشافع بلطفه وجماله وإحسانه فلا يردّه خائبا لا خجلا بل يظهر سبحانه للمستشفعين جلاله قدر من استشفعوا بهم وسمو منزلتهم لديه، ليغبطهم عليه السلام ويغبط شيعتهم بذلك ويحرق قلوب أعدائهم بهذه الشفاعة.

ولأن هذه الشفاعة لا ينالها إلا ذو حظ عظيم فقد ورد التوسل بها إلى الله تعالى فى زيارة عاشوراء وفى السجود كى يكون المستشفع داعياً ربه فى أقرب المواطن إلى الله سبحانه لعظم هذه النعمة يوم القيامة.

كما جاء فى الدعاء:

(اللهم ارزقنى شفاعه الحسين يوم الورود).

ولأنها شفاعه خاصة اقترن تحصيلها بثبات القدم وبصدق كما جاء فى آخر كلمات الدعاء فى زيارة عاشوراء:

«وثبت لى عندك قدم صدق مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجم دون الحسين عليه السلام».

وعليه:

فان أم وهب قد قدمت الثبات، والصدق ولذا فهى من حيث الأصل قد حققت ما عليها وقامت بما ينبغى منها وبقي عندها أمر واحد وهى الشفاعه الحسين عليه السلام يوم الورود ولذا تسأل الله أن لا يخيب رجائها، ولذلك قام الإمام أبو عبد الله عليه السلام بالدعاء لها وتطمينها مرتين.

الأولى: حينما خرجت زوجة وهب وقد أخذت عموداً وأقبلت نحو زوجها وهب وهى تقول له: فداك أبى وأمى قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقبل كى يردّها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه، وقالت لن أعود أو أموت معك فقال الإمام الحسين عليه السلام:

«جزيتم من أهل بيت خيراً».

فكان هذا التطمين الأول بأنهم مشتركون فى أجر الجهاد.

والتطمين الثانى: حينما قال عليه السلام لأم وهب:

«أرجعى يا أم وهب أنتِ وابنتك مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

## الموضع الثاني من أدعيته لأصحابه: دعاؤه لجون

### إشارة

قال عليه السلام فى دعائه:

«اللهم بيّض وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد».

مسائل البحث فى الدعاء:

### المسألة الأولى: من هو جون؟

روى الشاهرودى: (إنّ جون كان عبداً للفضل بن العباس بن عبد المطلب، اشتراه أمير المؤمنين (صلوات الله عليه بمائة وخمسين ديناراً ووهبه لأبى ذر ليخدمه، وكان عنده إلى الربذة، فلما توفى أبوذر رجع وانضم إلى أمير المؤمنين ثم إلى الحسن ثم إلى الحسين صلوات الله عليهم أجمعين، ثم تشرف بشرف الشهادة فى يوم عاشوراء(1)).

### المسألة الثانية: أسباب الدعاء

ذكر أصحاب المقاتل والتراجم: عن جوناً برز للقتال وكان عبداً أسود، فقال له الحسين عليه السلام:

«أنت فى اذن منى، فإنما تبعتنا طلباً للعافية، فلا تبتل بطريقنا».

فقال: يا ابن رسول الله أنا فى الرخاء الحس قصاعكم وفى الشدة أخذلكم؛ والله ان ريحى لمتنن، وان حسبى للثيم، ولونى لأسود، فتنفس على بالجنة،

1- البحار للمجلسى: ج45، ص23. روضة الواعظين: ج1، ص117. أعيان الشيعة للأمين: ج1، ص605. مستدرک علم الرجال، الشاهرودى: ج2، ص245، برقم 2960.

فتطيب ريحى ويشرق حسبى، ويبيض وجهى؟ لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم».

فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال:

«اللهم بيّض وجهه وطيب ريحه واحشره مع الأبرار وعرف بينه وبين محمد وآل محمد»<sup>(1)</sup>.

### المسألة الثالثة: تحقق الأثر الغيبي فى دعائه عليه السلام لجون

من المواضع التى تحقق فيها الأثر الغيبي فى دعاء الإمام الحسين عليه السلام هو دعاؤه لجون عليه السلام.

فقد روى عن الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه على بن الحسين عليهما السلام، أنه قال:

«إنّ الناس كانوا يحضرون المعركة، ويدفنون القتلى، فوجدوا جوناً بعد عشرة أيام يفوح منه رائحة المسك رضوان الله عليه»<sup>(2)</sup>.

وفيه أمور ينبغى الإشارة إليها، منها:

أولاً: من المشهور تاريخياً أن الإمام زين العابدين عليه السلام قد تولى دفن الأجساد الطاهرة بعد ثلاثة أيام من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وكان يعينه على

1- مثير الأحزان لابن نما الحلبي: ص 48. اللهوف فى قتلى الطفوف لابن طاووس: ص 65. ابصار العين للسماوى: ص 177.

2- بحار الأنوار للمجلسي: ج 45، ص 23. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام للبحراني: ص 266. مستدرک سفينة البحار: ج 2، ص 138. لواعج الأشجان، السيد محسن الأمين: ص 149.

ذلك بنو أسد. والذي يستفاد من الرواية أن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يدفن جوناً مولى أبي ذر الغفاري في هذا الوقت وإنما تركه لكي يدفنه بنو أسد بعد عشرة أيام من يوم عاشوراء، أى في العشرين من المحرم ففي هذا اليوم تم إلحاق جون في روضة الشهداء التي دفنهم فيها الإمام زين العابدين عليه السلام، وحيث أن بنى أسد كانوا يعينون الإمام على مواراة هذه الأجساد فقد عرفوا مواضعها، وألحقوا جوناً مع الشهداء عليهم السلام.

ثانياً: إن الحكمة في ترك الإمام زين العابدين عليه السلام دفن جون هي لتعريف الناس بمكانته عند الله تعالى وفي تحقق دعاء الإمام الحسين عليه السلام في تبيض لونه وتطيب ريحه ولذا كان المسك يفوح منه على الرغم من بقائه عشرة أيام بعد موته مما يدل على أن هذا البدن ليس فقط تغيرت رائحته وإنما لم تؤثر فيه العوامل الطبيعية عند خروج الروح من تعفن وتآكل أو بفعل الخلايا البكتيرية التي تسبب رائحة نتنة قوية.

ثالثاً: كما يمكن فهم الحكمة في فعل الإمام زين العابدين عليه السلام هو لتحقيق أمنية جون حينما تمنى من الإمام الحسين عليه السلام تحقيق أمور ثلاثة كان يتمناها في الحياة الدنيا، وإلا هو في الآخرة موقن بمكانه في الجنة من خلال ملازمته لأهل البيت عليهم السلام وهو ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام حينما قال له:

«أنت في إذن منى فإنما تبعتنا للعافية فلا تبتل بطريقتنا»<sup>(1)</sup>.

وهي الشهادة.

فأجابه بقوله: (يا بن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قضاكم، وفي الشدة أخذكم، والله إن ريحي لنتن وأن حسبي لئيم، وإن لوني لأسود فتنفس على بالجنة فيطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أفراقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم)(1).

ثم برز وهو يقول:

كيف ترى الكفار ضرب الأسود

عنالسيف ضربا عن بني محمد

أذب عنهم باللسان واليد

أرجو به الجنة يوم المورد(2)

فكان ترك الإمام زين العابدين عليه السلام لبدن جون هو لتحقيق تلك الأمنيات الدنيوية والتي تعكس الأحاسيس الوجدانية التي يشعر بها العبيد في المجتمع الذي ينظر إليهم بالازدراء والتفرقة والتعالى عليهم لاسيما في الجزيرة آنذاك.

فأراد جون عليه السلام أن تتحقق هذه الأمنيات وينظر الناس إليه بتلك النظرة التي ينظرون بها إلى أهل الحسب والشرف وأن تنتهي هذه النظرة الدونية من الناس إليه.

وإلا في حقيقة الحال هو لا يحتاج إلى هذه النظرة في الآخرة، قال تعالى:

<فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (101) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ>(3).

1- مثير الأ-حزان، ابن نما الحلبي: ص48. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج45، ص22. لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص149.

2- المناقب، ابن شهر آشوب: ج3، ص252. بحار الأنوار: ج45، ص22. الفتوح، ابن أعثم الكوفي: ج5، ص108.

3- سورة المؤمنون، الآيات: 101، 102.

ومن هنا: عرف الناس حسبه وشرفه الرفيع فى الدنيا قبل الآخرة وأيقنوا من خلال مشاهدتهم وتعرفهم عليه بعد عشرة أيام من استشهاده أنه من أهل العزة والرفعة والجلالة وأن هذه الطبقية التى تطبع عليها الناس فيجلون هذا ويأنفون من ذاك وفق معطيات المال واللون والنسب ومفاهيمها وأحساب الآباء هى فى الآخرة وبأل على أهلها إن لم يحسنوا استخدامها فى طاعة الله تعالى. وأن العزة والشرف والرفعة هى فى طاعة الله تعالى التمسك بما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو القرآن والعترة.

رابعاً: قوله رضوان الله عليه:

«فتنفس على بالجنة فيطيب ريحى ويشرف حسبى...».

يكشف عن حقيقة مهمة وهى: أنه أصبح الآن فى الجنة التى يتغير فيها ما يتلى به الإنسان فى الحياة الدنيا من اللون الأسود أو الريح النتن أو التفاوت فى المقامات الاجتماعية وغيرها.

فحينما تغير لونه، وطاب ريحه الذى أصبح كالمسك، ولم يتغير بدنه بعد عشرة أيام من استشهاده يدل على أنه فى الجنة؛ ولذلك نجد أن ذكر الجنة فى طلبه تقدم على تغير اللون وطيب الرائحة كى يتحقق ما يبتغيه من بياض اللون وطيب الرائحة وشفافة المقام.

وهذا يكشف عن مستوى إيمانه ورسوخ عقيدته فهو قد أيقن أن هذه الظواهر الدنيوية والنظرة الدونية والتفاوت فى الطبقات الاجتماعية كلها تزول حينما يدخل الإنسان الجنة، ولكى يعرف الناس بأنه من أهل الجنة وإنه فاقهم فى عزه وشرفه وطاعته لله ورسوله وأهل بيته فقد تحققت أمنيته فدخل الجنة، ولذا تغير لونه وطاب ريحه وشرفه حسبه، حتى لو بقى على الأرض إلى يوم يبعثون.



## الموضع الثالث من أدعيته عليه السلام لأصحابه: دعاؤه لأبي الشعثاء الكندي

### إشارة

قال عليه السلام:

«اللهم سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة».

مسائل البحث في الدعاء

### المسألة الأولى: من هو (أبو الشعثاء الكندي)؟

قال التستري: (يزيد بن زياد بن مهاصر، الكندي، البهذلي، استشهد مع الحسين عليه السلام وسلم عليه في زيارة الناحية المقدسة.

وفي الطبري، عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج الكندي أنه جثا على ركبتيه بين يدي الحسين عليه السلام فرمى بمائة سهم ما سقط منها إلا خمسة أسهم، فكان كلما رمى قال:

أنا بن بهذلة

فرسان العرجلة

ويقول له الحسين عليه السلام:

«اللهم سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة».

فلما رمى بها قام، فقال: ما سقط منها إلا خمسة أسهم، ولقد تبين لي أنني قد قتلت خمسة نفر(1).

---

1- قاموس الرجال، التستري: ج11، ص102. تاريخ الطبري: ج4، ص340. الكامل لابن الأثير: ج4، ص73.

وكان ممن خرج مع عمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام فلما ردوا الشروط على الحسين عليه السلام مال إلى الحسين عليه السلام. وهذا القول للطبري يتنافى مع قول آخر له يذكر فيه أن أبا الشعثاء كان ضمن معسكر الإمام الحسين عليه السلام كما تدل عليه المحاوراة التي دارت بينه وبين رسول عبيد الله بن زياد إلى الحر بن يزيد حينما خرج لملاقاة الإمام الحسين عليه السلام (1).

### المسألة الثانية: دور القائد في رفع مستوى المقاتل

يظهر من بعض النصوص التاريخية، ولاسيما ما ورد في سيرة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أن العرب كانت تختار أكفأ الرماة في معاركها فيجلسون أمام القائد ويرمي الرامي بسهامه ويقوم القائد برفع هممة الرامي من خلال الثناء عليه أو الدعاء له \_\_ كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في معركة أحد حينما دعا لسعد بقوله:

«اللهم سدد رميته وأجب دعوته» (2).

والحكمة في ذلك الفعل: هو اعتماد الرامي على قواه الذهنية واستقراره النفسي وضبطه هو اجسه كي يستطيع تسديد رميته وإصابة هدفه. ومن هنا: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام أجلسه أمامه ووقف بجانبه يدعوه ليشترك في ذهن الرامي الحرص على إصابة الهدف، واستحصال رضا الله تعالى في ذلك.

ولذلك: كانت النسبة في إصابة العدد (95%) فمن بين مائة سهم سقط خمسة.

1- قاموس الرجال، التستري: ج 11، ص 102، بتصريف.

2- مستدرک الحاکم: ج 3، ص 26. المصنّف للصنعاني: ج 11، ص 238. كتاب السنة لابن أبي عاصم: ص 601. البحار للمجلسي: ج 18، ص 18.

## الموضع الرابع من دعائه عليه السلام لأصحابه: دعاؤه للغفاريان

### إشارة

قال عليه السلام:

«جزاكم الله يا ابني أخي بوجدكما في ذلك ومواساتكما أياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين».

مسائل البحث في الدعاء:

### المسألة الأولى: أسباب الدعاء

أولاً: إنّ الظاهر من رواية الطبري أنهما ممن التحق بجيش عمر بن سعد رغماً عنهما كما هو واضح في قولهما لسيد الشهداء عليه السلام: (حازنا العدو إليك فأحببنا أن نقتل بين يديك نمنعك وندفع عنك) (1).

ثانياً: إنهما كانا يبكيان حينما جاء لنصرة الإمام الحسين عليه السلام وهذا يكشف عن صدق مشاعرهما وحبهما لسيد الشهداء عليه السلام وإنهما كانا يتمنيان لو يستطيعان أن يدفعوا عنه بأكثر من تقديم نفسيهما؛ بمعنى يبكيان على غربته وقلة ناصره.

ولذلك قال لهما:

«أدنوا مني».

فدنوا منه وهما يبكيان، فقال لهما:

«يا ابني أخي ما يبكيكما؟ فوالله إنى لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري العين».

1- تاريخ الطبري: ج4، ص337. الكامل في التاريخ: ج4، ص72.

فقالا: جعلنا الله فداك، لا والله ما نبكى على أنفسنا ولكن نبكى عليك، نراك قد أحيط بك ولا نقدر على أن نمنع عنك، فدعا لهما(1).

### المسألة الثانية: التعريف بهما

هما: عبد الله وعبد الرحمن أبناء عذرة(2)، وقيل: عروة(3) الغفاريان؛ أى كانا أخوين، ولم أعر على ترجمة لهما فى كتب الرجال.

### المسألة الثالثة: درجات المواساة للعترة النبوية ورتب استحقاقها من الأجر

يُظهر الدعاء مراتب استحقاق الأجر ضمن درجات المواساة للعترة النبوية فى نطاق سنة إلهية مرتبة بالأعمال التى يقوم بها الإنسان، وهو يسير \_\_ أى هذا الدعاء \_\_ جنبا إلى جنب مع قوله تعالى:

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾(4).

بمعنى: أنّ الله تعالى يجازى العامل على عمله حسبما يقدمه من مكنوناته القلبية والنفسية والجسدية، فقد يُعبر الإنسان من خلال نعمة قوة البدن عن الطاعة لله وقلبه منصرف لغير الله، وقد يتفاوت الانصراف لغير الله تعالى، كما يتفاوت التوجه إليه أيضا.

- 
- 1- بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج4، ص29. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: ص273. الكامل لابن الأثير: ج4، ص72. أعيان الشيعة: ج1، ص607.
  - 2- تاريخ الطبرى: ج4، ص337.
  - 3- الكامل، ابن الأثير: ج4، ص72.
  - 4- سورة الزلزلة، الآية: 7.

كما يدل عليه الأثر النبوي، حينما دخل صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد ورأى مصلياً يصلى وهو يعبث بلحيته، فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أما إنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»<sup>(1)</sup>.

فهنا أجر المصلى يتناسب مع إقبال قلبه وخشوع جوارحه، فكل شىء بقدر، كما أن عوائد هذه الأعمال مختلفة أيضاً فمن كان داعم العين منصرفاً ب كله إلى الله تعالى وهو يصلى فإن العوائد الإيمانية والبدنية والقلبية التى تعود عليه مختلفة أيضاً.

و حينما ننظر إلى هذه السنة الإلهية وما دلت عليه الأحاديث الشريفة فى معرض بيانها لتفاوت درجات المواساة لأهل البيت عليهم السلام نجد أن المقبل إليهم بقلبه وعقله ونفسه له من الأجر والثواب ما يتناسب مع تقديمه هذه النعم فى طاعة الله تعالى، ومشرك هذه النعم من خلال مواساة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان التفاوت فى الأجر يرجع إلى التفاوت فى النعم الإلهية التى تصرف فى طاعة الله تعالى، فمن استعان بنعمة البدن يختلف فى استحقاقه للأجر عن الذى استعان بنعمة البدن والقلب معاً فى طاعة الله تعالى ومواساة رسوله وأهل بيته عليهم السلام.

بمعنى: أن من أشرك الدمع والحزن بوصفهما أئمين متربطين بالقلب والنفس فى مواساة العترة عليهم السلام، يختلف من حيث الاستحقاق الأخرى عند الله تعالى من الذى قدم المواساة بالنفس فقط. وهذا يدل على عظم هذه النعمة عند الله تعالى، أى: نعمة الموالاتة لأهل البيت عليهم السلام، ولذلك يثيب الله تعالى عليها بأجر لا يعلمه إلا هو عزّ شأنه، كما يدل على عظم منزلة أهل البيت عليهم السلام عند الله تعالى.

1- منتهى المطلب للعلامة الحلى: ج1، ص312. المصنف لابن أبى شيبة الكوفى: ج2، ص191. ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج2، ص1636، برقم2286.

ومن هنا: جاءت الأحاديث الشريفة لتبين هذه الرتب في الاستحقاق الأخرى والديوى وعوائدهما فى كلا الدارين؛ فمنها:

1\_\_ عن الحسن بن محبوب، عن أبى الحسن الرضا عليه السلام قال، قال لى:

«لابد من فتنة صماء صيلم (1) يسقط فيها كل بطانة ووليعة (2)، وذلك عند فقدان الشيعة الثالث من ولدى بيكى عليه أهل السماء وأهل الأرض وكل حرى وحران وكل حزين لهفان.

ثم قال بأبى وأمى:

«سّمى جدى، شبيهى وشبيهه موسى بن عمران \_\_ عليه السلام \_\_ عليه جيوب النور، تتوقد بشعاع ضياء القدس كم من حرى مؤمنة، وكم مؤمن متأسف حيران، حزين عند فقدان الماء المعين» (3).

2\_\_ عن أبى عبد الله عليه السلام أنه قال:

«نفس المهموم لنا، المغتم لظلمنا تسبيح، وهمه لأمرنا عبادة، وكتمانه لسرنا جهاد فى سبيل الله» (4).

قال محمد بن سعيد أحد رواة الحديث: أكتب هذا بالذهب فما كتبت شيئاً أحسن منه.

1- الصيلم: الأمر الشديد.

2- بطانة الرجل ووليحته: خاصته.

3- الإمامة والتبصرة، لابن بابويه القمى: ص 114، ح 102. عيون أخبار الرضا، للشيخ الصدوق: ج 1، ص 10، ح 14.

4- الكافى، للشيخ الكلينى رحمة الله: ج 2، ص 226، ح 16. وسال الشيعة (آل البيت)، للحر العاملى: ج 16، ص 250.

3\_\_ عن مسمع كردين البصرى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

«يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين عليه السلام»؟.

قلت: لا، أنا رجل مشهور عند أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة وعدونا كثير من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالى عند ولد سليمان فيمثلون بى. قال لى:

«أفما تذكر ما صنع به»؟.

قلت: نعم، قال:

«فتجزع؟».

قلت: إي والله، واستعبر لذلك حتى يرى أهلى اثر ذلك على، فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك فى وجهى، قال:

«رحم الله دمعتك، أما انك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنا، أما انك سترى عند موتك حضور آبائى لك ووصيتهم ملك الموت بك وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت ارق عليك وأشد رحمة لك من الام الشفيقة على ولدها».

قال: ثم استعبر \_\_ عليه السلام \_\_ واستعبرت معه، فقال:

«الحمد لله الذى فضلنا على خلقه بالرحمة وخصنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكى منذ قتل أمير المؤمنين عليه السلام رحمة لنا، وما بكى لنا من الملائكة أكثر وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا ولما لقينا إلا رحمه الله قبل أن تخرج الدمعة من عينه، فإذا سالت دموعه على خده

فلو أن قطرة من دموعه سقطت في جهنم لأطفأت حرها حتى لا يوجد لها حر، وإن الموجد قلبه لنا ليفرح يوم يرانا عند موته فرحة لا تزال تلك الفرحة في قلبه حتى يرد علينا الحوض، وإن الكوثر ليفرح بمحبنا إذا ورد عليه حتى أنه ليذيقه من ضروب الطعام ما لا يشتهي أن يصدر عنه. يا مسمع من شرب منه شربة لم يظماً بعدها أبدا ولم يستق بعدها أبدا، وهو في برد الكافور وريح المسك وطعم الزنجبيل، أحلى من العسل، وألين من الزبد، وأصفى من الدمع، وأذكى من العنبر، يخرج من تسنيم ويمر بأنهار الجنان، يجري على رضراض الدر والياقوت، فيه من القدحان أكثر من عدد نجوم السماء، يوجد ريحه من مسيرة ألف عام، قدحانه من الذهب والفضة وألوان الجواهر، يفوح في وجه الشارب منه كل فائحة حتى يقول الشارب منه: يا ليتني تركت هاهنا لا أبغى بهذا بدلا ولا عنه تحويلا.

أما انك يا كردين ممن تروى منه، وما من عين بكت لنا إلا نعمت بالنظر إلى الكوثر وسقيت منه من أحبنا، وإن الشارب منه ليعطي من اللذة والطعم والشهوة له أكثر مما يعطاه من هو دونه في حبنا، وإن على الكوثر أمير المؤمنين عليه السلام وفي يده عصا من عوسج يحطم بها أعداءنا، فيقول الرجل منهم: إني أشهد الشهادتين، فيقول: انطلق إلى إمامك فلان فاسأله أن يشفع لك، فيقول: يتبرأ مني إمامي الذي تذكره، فيقول: ارجع إلى ورائك فقل للذي كنت تتولاه وتقدمه على الخلق فاسأله إذا كان خير الخلق عندك أن يشفع لك، فإن خير الخلق حقيق أن لا يرد إذا شفع، فيقول: إني أهلك عطشا، فيقول له: زادك الله ظمأ، وزادك الله عطشا».



قلت: جعلت فداك وكيف يقدر على الدنو من الحوض ولم يقدر عليه غيره، فقال:

«ورع عن أشياء قبيحة وكف عن شتمنا أهل البيت إذا ذكرنا، وترك أشياء اجترى عليها غيره، وليس ذلك لحبنا ولا لهوى منه لنا، ولكن ذلك لشدة اجتهاده في عبادته وتدينه ولما قد شغل نفسه به عن ذكر الناس، فأما قلبه فمنافق ودينه النصب باتباع أهل النصب وولاية الماضين وتقدمه لهما على كل أحد»(1).

فهذه الأحاديث الشريفة تكشف عن تفاوت درجات المواساة لأهل البيت عليهم السلام عند الله عزوجل ولأجل هذا التفاوت اختلفت رتب استحقاق الأجر.

ولأجله: نجد أن الإمام الحسين عليه السلام بيّن في دعائه للغفارين أن الذي يواسى أهل البيت عليهم السلام بالعواطف القلبية كالحزن والبكاء لأجلهم ويقرن ذلك بالمواساة بالنفس يكون أجره عند الله تعالى:

«أحسن جزاء المتقين».

وهذا الأمر واضح جلي في دعائه عليه السلام حيث قال:

«جزاكم الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إياي بانفسكما أحسن جزاء المتقين».

أما جزاء المتقين فالقرآن الكريم مليء بالآيات المباركة التي تتحدث عن جزاء المتقين في الآخرة لا حاجة لذكرها سوى أن من حزن شديداً لدرجة البكاء وواسى رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته بنفسه سينال أحسن ما أعد الله سبحانه للمتقين من النعيم في الآخرة.

1- كامل الزيارات، لجعفر بن محمد بن قولوية: ص 203 إلى 204، برقم (291)7. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمة الله: ج44، ص 289، ح 31.

## الموضع الخامس من دعائه لأصحابه: دعاؤه لأبي ثمامة الصائدي

### إشارة

قال عليه السلام:

«ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين».

مسائل البحث في الدعاء:

### المسألة الأولى: أسباب الدعاء

ذكر المؤرخون وأصحاب المقاتل: «وتعطف الناس على أصحاب الحسين عليه السلام فكثر وهم فلا يزال الرجل من أصحاب الحسين قد قتل، فإذا قتل منهم الرجل والرجلان تبين فيهم وأولئك كثير لا يتبين فيهم ما يقتل منهم».

فلما رأى ذلك أبو ثمامة عمرو بن عبد الله الصائدي قال للحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، نفسى لك الفداء، إنى أرى هؤلاء قد اقتربوا منك، ولا والله لا تقتل حتى أقتل دونك إن شاء الله، وأحب أن ألقى ربي وقد صليت هذه الصلاة التى قد دنا وقتها. قال: فرفع الحسين رأسه، ثم قال:

«ذكرت الصلاة، جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم، هذا أول وقتها».

ثم قال:

«سلوهم أن يكفوا عنا حتى نصلى».

فقال لهم الحصين بن تميم؛ إنها لا تُقبل! فقال له حبيب بن مظاهر: لا تقبل، زعمت الصلاة من آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتقبل منك يا حمار»(1).

1- تاريخ الطبرى: ج4، ص334. الكامل لابن الأثير: ج4، ص70، مقتل أبى مخنف الأزدى: ص142.

وفى رواية: فهل تقبل صلاتك يا ابن الخمارة البوالة على عقبها(1).

وفى رواية: (فأذن وأقام، فقاموا فى الصلاة، وهم — أى: جيش عمر بن سعد — يرمون السهام إليهم؛ فقال: يا ويلكم ألا تقفون عن الحرب حتى نصلى).

قال: فحمل عليهم حصين بن تميم، وخرج إليه حبيب بن مظاهر، فضرب وجه فرسه بالسيف فشب ووقع عنه، وحمله أصحابه، واستنقذوه(2).

### المسألة الثانية: التعريف بأبى ثمامة الصائدى

ترجم له الشيخ محمد السماوى بقوله: (هو عمرو بن عبد الله بن كعب الصائد بن شرحبيل بن شراحيل بن عمرو بن جشم بن حاشد بن جشم بن حيزون بن عوف بن همدان، أبو ثمامة الهمداني الصائدى).

كان أبو ثمامة تابعياً، وكان من فرسان العرب ووجه الشيعة، ومن أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين شهدوا معه مشاهدته، ثم صحب الحسين عليه السلام بعده، وبقي فى الكوفة، فلما توفى معاوية كاتب الحسين عليه السلام، ولما جاء مسلم بن عقيل — عليه السلام — إلى الكوفة قام معه وصار يقبض الأموال من الشيعة بأمر مسلم فيشتري بها السلاح، وكان بصيراً بذلك.

ولما دخل عبيد الله الكوفة وثار الشيعة بوجهه، وجهه مسلم فيمن وجهه، وعقد له على ربيع تميم وهمدان، فحصروا عبيد الله فى قصره، ولما تفرق عن مسلم الناس بالتخذيلى، اختفى أبو ثمامة فاشتد طلب ابن زياد له، فخرج إلى

1- ينابيع المودة، القندوزى: ج3، ص70.

2- بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمة الله: ج45، ص21. العوالم، الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ البحرانى: ص264. لواعج الأشجان، محسن الأمين: ص155. معالم المدرستين، مرتضى العسكرى: ص111.

الحسين عليه السلام ومعه نافع بن هلال الجملي، فلقياه في الطريق وأتيا معه.

قال الطبري: ولما نزل الحسين كربلاء ونزلها عمر بن سعد، بعث إلى الحسين عليه السلام كثير بن عبد الله الشعبي — وكان فاتكا — فقال له: اذهب إلى الحسين وسله ما الذي جاء به؟ قال: أسأله فإن شئت فتكت به، فقال: ما أريد أن تفتك به ولكن أريد أن تسأله، فأقبل إلى الحسين، فلما رآه أبو ثمامة الصائدي قال للحسين، أصلحك الله أبا عبد الله! قد جاءك شر أهل الأرض وأجراهم على دم وأفتكهم، ثم قام إليه وقال: ضع سيفك.

قال: لا والله ولا كرامة، إنما أنا رسول فإن سمعتم مني أبلغتكم ما أرسلت به إليكم، وإن أبيتم انصرفت عنكم، فقال له أبو ثمامة: فإني آخذ بقائم سيفك، ثم تكلم بحاجتك، قال: لا والله ولا تمسه. فقال له: فأخبرني بماذا جئت؟ وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه، فإنك فاجر.

قال: فاستسبأ، ثم رجع كثير إلى عمر فأخبره الخبر، فأرسل قرة بن قيس التميمي الحنظلي مكانه فكلم الحسين عليه السلام (1).

### المسألة الثالثة: دور القائد في ترسيخ حب الصلاة وإقامتها

تشكل الصلاة أحد أهم الفرائض التي جاء بها الإسلام وأكثرها ظهوراً في الدلالة على هذا الدين، ناهيك عن دورها الأساس في تقويم السلوك الإنساني بصفاتها:

>تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرِ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.<

1- إِبْصَارُ الْعَيْنِ فِي أَنْصَارِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامِ، الشَّيْخُ مُحَمَّدُ السَّمَاوِيُّ: ص 120.

ولقد سعى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى ترسيخ هذه الفريضة في أذهان المسلمين لكونها من ضروريات الدين، حتى (أن) مستحل تركها كافر إن لم يدع شبهة محتملة(1).

ولذلك: لم تعذر الشريعة الإسلامية بأى حال من الأحوال ترك الفريضة، (فهي واجبة حتى على الكافر وإن لم تصح منه)(2).

والموقف الذى قدمه سيد الشهداء عليه السلام يوم العاشر هو رسالة عملية لجميع متبعي الأديان تنص على أن الأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام جاهدوا لأجل هذه الصلاة؛ وأن آخر عهدهم من الحياة الدنيا هو الصلاة.

ولذلك: لم تمنعه كثرة العدو وشدة ما نزل به من الرزايا ممثلاً بقتل أكثر أصحابه ومحاصرته من كل جانب ورميه بالسهام من كل جهة من إقامة الصلاة بمن بقى من أصحابه. فما جهاده وقتاله وبذله لنفسه وأهله وأصحابه إلا لأجل إقامة الصلاة التى إن ذهب عماد الدين، وهو المعنى الذى دل عليه قول الإمام الصادق عليه السلام فى خطابه لجده الحسين عليه السلام:

«أشهد أنك أقيمت الصلاة».

بمعنى: أن استشهادك أقام الصلاة وحفظها من الضياع. كما يدل هذا العمل الحسينى على دور القائد والداعية إلى الله تعالى وجميع من تصدى لحمل رسالة الدعوة إلى الإسلام فى أن يكون فعله مطابقاً لقوله، بل يكون فعله فى الحفاظ على فرائض الدين هو المصداق الأول على دعوته وأن يسعى فى إكرام الذين يسعون لحفظ فرائض الرسالة.

ومن هنا: استحق أبو ثمامة الصائدى دعاء الإمام الحسين له بأن يجعله الله من المصلين الذاكرين.

1- رسائل الكركى: ج 1، ص 78.

2- المصدر السابق.

## الموضع السادس من دعائه لأصحابه: دعاؤه لزهير بن القين

### إشارة

قال عليه الصلاة والسلام:

«لا يبعدنك الله يا زهير ولعن قاتليك، لعن الذين مسخوا قدرة وخنازير».

مباحث الدعاء:

### المبحث الأول: التعريف بشخصية زهير بن القين \_ عليه السلام \_

#### المسألة الأولى: أقوال العلماء فيه

ترجم له السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في معجمه: «من أصحاب الحسين عليه السلام، (رجال الشيخ) وقال ابن شهر آشوب في المناقب: (جعله الحسين عليه السلام يوم الطف على اليمنة، وحبيب بن مظاهر على الميسرة وأعطى رايته العباس بن علي عليه السلام، فبرز الحر وقتل نيفا وأربعين رجلا، ثم برز بعده جماعة، ثم برز زهير بن القين، فقتل مائة وعشرين رجلا».

وقال المجلسي في البحار:

وقد سلم عليه في الزيارة الرجبية وكذلك في الزيارة التي خرجت من الناحية المقدسة وفيها: (السلام على زهير بن القين البجلي القائل للحسين عليه السلام وقد أذن له في الانصراف: لا والله لا يكون ذلك أبداً أترك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أسيراً في يد الأعداء وأنجو أنا؟ لا أراني الله ذلك اليوم)<sup>(1)</sup>.

1- معجم رجال، السيد الخوئي: ج8، ص306.

### المسألة الثانية: علاقته بسيد الشهداء عليه السلام

يمكن الوقوف على هذه العلاقة من خلال ما جمعه الشيخ محمد السماوي في إِبصار العين، فقال:

(كان زهير رجلاً شريفاً في قومه، نازلاً فيهم بالكوفة، شجاعاً له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة، وكان أولاً عثمانياً، فحج سنة ستين في أهله، ثم عاد فوافق الحسين عليه السلام في الطريق، فهداه الله وانتقل علوياً.

روى أبو مخنف عن بعض الفزاريين قال: كنا مع زهير بن القين حين أقبلنا من مكة نساير الحسين عليه السلام فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين عليه السلام تخلف زهير، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يوماً في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينما نحن نتغذى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين فسلم ودخل، فقال: يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام بعثنى إليك لتأتيه، فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأن علي رؤوسنا الطير.

قال أبو مخنف:

فحدثتني دلهم بنت عمرو، امرأة زهير قالت: فقلت له: أبيعك إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه! سبحان الله لو أتيتك فسمعت من كلامه ثم انصرفت، قالت: فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أسفر وجهه: فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه، فقوض وحمل إلى الحسين عليه السلام، ثم قال لي: أنت طالق، الحقى بأهلك، فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير.

ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، إني سأحدثكم حديثاً، غزونا بلنجر، ففتح الله علينا وأصبنا غنائم، فقال لنا سلمان: أفرحتم بما فتح الله عليكم، وأصبتم من الغنائم؟.

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم من الغنائم، فأما أنا فإني أستودعكم الله، قال: ثم والله ما زال أول القوم حتى قتل معه.

وقال أبو مخنف: لما عارض الحر بن يزيد الحسين عليه السلام في الطريق وأراد أن ينزله حيث يريد فأبى الحسين عليه، ثم إنه سايره، فلما بلغ ذا حسم خطب أصحابه خطبته التي يقول فيها:

«أما بعد، فإنه نزل بنا من الأمر ما قد ترون... الخ».

فقام زهير وقال لأصحابه: أتتكمون أم أتكلم؟ قالوا: بل تكلم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (قد سمعنا \_\_ هداك الله يا بن رسول الله \_\_ مقالتك، والله لو كانت الدنيا لنا باقية، وكنا فيها مخلدين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها)، فدعا له الحسين وقال له خيراً.

وروى أبو مخنف: أن الحر لما ضايق الحسين عليه السلام بالنزول وأتاه أمر ابن زياد أن ينزل الحسين \_\_ عليه السلام \_\_ على غير ماء ولا كلاً ولا في قرية، قال له الحسين عليه السلام:

«دعنا ننزل في هذه القرية».

يعنى: نينوى، أو هذه يعنى: الغاضرية، أو هذه يعنى: شفية.



فقال الحر: لا والله لا أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث عليّ عيناً، فقال زهير للحسين: يا بن رسول الله إن قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به، فقال له الحسين عليه السلام:

«ما كنت لأبداهم بقتال».

فقال له زهير: فسر بنا إلى هذه القرية فإنها حصينة، وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهون من قتال من يجيء من بعدهم، فقال الحسين عليه السلام:

«وأية قرية هي؟».

قال: هي العقر، فقال الحسين عليه السلام:

«اللهم إني أعوذ بك من العقر».

فنزل بمكانه وهو كربلاء، وقال أبو مخنف: لما أجمع عمر بن سعد على القتال نادى شمر بن ذى الجوشن: يا خيل الله اركبى وأبشرى بالجنة، والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتبياً بسيفه، وقد وضع رأسه على ركبته من نعاس، فدنت أخته زينب منه وقالت: يا أخى قد اقترب العدو، وذلك يوم الخميس التاسع من المحرم بعد العصر، وجاءه العباس فقال: يا أخى أتاك القوم، فنهض ثم قال:

«يا عباس اركب إليهم حتى تسألهم عما جاء بهم».

فركب العباس فى عشرين فارساً منهم حبيب بن مظهر وزهير بن القين فسألهم العباس، فقالوا جاء أمر الأمير بالنزول على حكمه أو المنازلة، فقال لهم العباس: لا تعجلوا حتى أرجع إلى أبى عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا وقالوا له: ألقه فأعلمه، ثم القنا بما يقول، فذهب العباس راجعاً، ووقف أصحابه.

فقال حبيب زهير: كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم أنا، فقال زهير أنت بدأت فكلمهم، فكلمهم (...)، فرد عليه عزرة بن قيس بقوله: إنه لتزكى نفسك ما استطعت، فقال له زهير: إن الله قد زكاها وهداها فاتق الله يا عزرة، فإنى لك من الناصحين، أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية.

فقال عزرة: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة هذا البيت إنما كنت عثمانيا، قال: أفلا تستدل بموقفي هذا على أنى منهم؟!، أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بينى وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم: فرأيت أن أنصره، وأن أكون فى حزبه، وأن أجعل نفسى دون نفسه، حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله.

قال: وأقبل العباس فسألهم إمهال العشية، فتوامروا ثم رضوا فرجعوا.

وروى أبو مخنف عن الضحاک بن عبد الله المشرقى قال: لما كانت الليلة العاشرة خطب الحسين أصحابه وأهل بيته فقال فى كلامه:

«هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتى، فإن القوم إنما يطلبونى».

...، ثم قام زهير فقال: والله لو ددت أنى قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك.

وقال أهل السير: لما صف الحسين عليه السلام أصحابه للقتال وإنما هم زهاء السبعين جعل زهيراً على الميمنة، وحبيباً على الميسرة، ووقف في القلب، وأعطى الراية لأخيه العباس.

وروى أبو مخنف عن علي بن حنظلة بن أسعد الشبامي عن كثير بن عبد الله الشعبي البجلي، قال: لما زحفنا قبل الحسين عليه السلام خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب، وهو شاك في السلاح، فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار! إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة، وكنا أمة وكنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنا ندعوكم إلى نصره، وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا السوء عموم سلطانهما كله، إنهما يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أمثالكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدى وأصحابه، وهانى بن عروة وأشباهه.

قال: فسبوه وأثنوا على عبيد الله وأبيه، وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير، فقال لهم زهير: عباد الله إن ولد فاطمة عليها السلام أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم، فخلوا بين هذا الرجل وبين يزيد، فلعمري إنه ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين عليه السلام.

قال: فرماه شمر بسهم وقال له: اسكت أسكت الله نامتك، فقد أبرمتنا بكثرة كلامك! فقال زهير: يا بن البوال على عقبيه، ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة، والله ما أظنك تحكّم من كتاب الله آيتين، فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال زهير: أقبال موت تخوفني؟! والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم، قال: ثم أقبل على الناس رافعا صوته، وصاح بهم: عباد الله لا يغرنكم عن دينكم هذا الجلف الجافي وأشباهه، فوالله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوما هرقوا دماء ذريته وأهل بيته، وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم.

قال: فناداه رجل من خلفه: يا زهير إن أبا عبد الله يقول لك: أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ، فذهب إليهم.

وروى أبو مخنف عن حميد بن مسلم قال: حمل شمر حتى طعن فسطاط الحسين عليه السلام برمحه، وقال: على بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله، فصاحت النساء وخرجن من الفسطاط، فصاح الحسين: يا بن ذى الجوشن، أنت تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي، حرقك الله بالنار.

وحمل زهير بن القين في عشرة من أصحابه فشد على شمر وأصحابه، فكشفهم عن البيوت حتى ارتفعوا عنها، وقتل زهير أبا عزة الضبابي من أصحاب الشمر وذوى قرياه، وتبع أصحابه الباقين فتعطف الناس عليهم، فكثروهم وقتلوا أكثرهم وسلم زهير.

قال أبو مخنف:

واستحر القتال بعد قتل حبيب، فقاتل زهير والحر قتالا شديدا فكان إذا شد أحدهما واستلحم شد الآخر فخلصه، فقتل الحر ثم صلى الحسين عليه السلام صلاة الخوف، ولما فرغ منها تقدم زهير فجعل يقاتل قتالا لم ير مثله ولم يسمع بشبهه وأخذ يحمل على القوم فيقول:

أنا زهير وأنا بن القين

أذودكم بالسيف عن حسين

ثم رجع فوقف أمام الحسين وقال له:

فدتك نفسى هاديا مهديا

اليوم ألقى جدك النبيا

وحسنا والمرضى عليا

وذا الجناحين الشهيد الحيا

فكأنه ودعه، وعاد يقاتل فشد عليه كثير بن عبد الله الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه، وقال السروي في المناقب: لما صرع وقف عليه الحسين عليه السلام فقال:

«لا يبعدنك الله يا زهير، ولعن الله قاتليك، لعن الذين مسخوا قرده وخنازير»<sup>(1)</sup>.

وفيه أقول:

لا يبعدنك الله من رجل

وعظ العدى بالواحد الأحد

ثم اثنى نحو الخميس فما

أبقى لدفع الضيم من أحد<sup>(2)</sup>.

1- إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد السماوى: ص 161 إلى 167. البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 194\_\_195.

2- هذه الأبيات للسماوى، (إِبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام: ص 167).

## المبحث الثاني: جواز اللعن في الشريعة

### إشارة

إنّ المتأمل في دعاء الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد زهير بن القين — رضوان الله عليه — يجد فيه سمة خاصة لم ترد في أى دعاء من أدعيته في يوم عاشوراء على الرغم من عظم مصائبه وتنوع رزاياه. وهذه السمة، هي: (اللعن). إذ لم يلعن الإمام الحسين عليه السلام أعداءه إلاّ عند مقتل زهير بن القين عليه السلام، قائلًا:

«ولعن الله قاتليك لعن الذين مسخوا قرده وخنازير».

وفي الدعاء مسائل، منها:

### المسألة الأولى: جواز اللعن على مستحقه، وهل يترتب ثواب على الإتيان به؟

### إشارة

إنّ من المسائل التي نالت اهتمام شريحة واسعة من المسلمين هي مسألة (اللعن) لبعض الرموز والشخصيات سواء أكانت حية أم ميتة ولاسيما إن بعض تلك الرموز كانت من مكونات الحدث التاريخي والعقائدي بوصفها رموزا إسلامية جلس بعضها على سدة الحكم في مراحل زمنية متعددة وأماكن مختلفة.

ومن الأمور التي فاقمت اللغظ من البعض حول هذه المسألة هو إشاعة اللبس بين السباب أو الشتم وبين اللعن؛ أو عدّ اللعن:

هو الشتم والسباب، في حين أن الأول أمر به القرآن والسنة، والثاني نهيا عنه، كما أن شيعاء: أن الميت لا تجوز عليه إلا الرحمة أو (أذكروا محاسن موتاكم)<sup>(1)</sup>، مما استعمله متلفو الحكام وأهل الهوى لغرض التستر على جرائم الحكام وإعذار الطواغيت هو مما زاد في هذا اللبس. ولرفع هذا اللبس ينبغي الإشارة إلى بعض النقاط، فمنها:

1- مستدرک الحاكم: ج 1، ص 385. صحيح ابن حبان: ج 7، ص 219.

## أولاً: مفهوم المحاسن والمساوى

إن المحاسن والمساوى التي ترافق سيرة الإنسان المسلم في حياته حتى مماته لها مفهومان، مفهوم عرفي اجتماعي؛ ومفهوم شرعي. فقد يكون حجاب المرأة في مجمع ما سيئة في حين يعد السفرور حسنة في مجتمع آخر أو يكون الاحتيال شطاره، والمكر ذكاء وهما من المحاسن في مجتمع معين (اسلامى) وهكذا تختلف المحاسن والمساوى في المفهوم الاجتماعى حسب المعطيات الثقافية. ففي المفهوم العرفى الاجتماعى تختلف المساوى والمحاسن حسب ثقافة هذا المجتمع أو ذاك.

أما فى المفهوم الشرعى \_\_ (ونقصد به القرآن والعترة) \_\_ فالمحاسن هى فضائل الأخلاق، والمساوى هى رذائل الأخلاق، أو هى (التقوى، والفجور) فإذا كان الميت من أهل الفجور ويده كانت رقاب الناس، أو أنه يشرع لهم أمور دينهم وديناهم بصفته ولى أمرهم فعندها كيف يمكن تجنب الحديث عن تلك المساوى التى سنها للأمة وأمر باتباعها وعاقب على مخالفتها.

أو أن تلك السيرة كانت تخص أشخاصا تصدوا للتظير فى الشريعة أو الفتيا فى الأمور الدينية وهم أبعد الناس عنها، وأضر الخلق بها وبأهلها، وكيف بعد التكتم على هذه الانتهاكات والتستر على تلك الموبقات التى صدرت من أولئك المنظرين فى الشريعة والمفتين فى أحكام الحلال والحرام أن ينبّه الغافل ويتعلم الجاهل ويتجنب البصير ويتبرأ العارف من هذه الرموز؟!.

ولذلك: لا يمكن أن يتحقق الغرض الرسالى من التوحيد بدون معرفة رموز الشرك ومطفئى السنن ومحرفى الكلم من مواضعه، كما لا يمكن أن يتجنب الإنسان الوقوع فى الفتن ما لم يتعرف على محدثيها ومروجيها ومناصريها.

**ثانياً: اللعن في اللغة**

(اللعن) لغة هو الطرد من الخير(1)، أى رحمة الله تعالى، فلا تنفعه شفاعة أحدٍ فهو فى سخط الله تعالى وموضع نزول نقمته \_\_ عزّ شأنه \_\_، وبهذه الحالة كيف لا يستحق اللعن من كان هذا حاله، وقد لعن الله تعالى فى محكم كتابه الجاحدين والظالمين والمنافقين، وأمر سبحانه بمتابعة اللعن لهم:

<أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ>(2).

ويقوله:

<أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَّيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ>(3).

**ثالثاً: جواز اللعن**

أما الدلالة فى جواز اللعن، فقد قيل: (إن الآية وإن وقعت فى صورة الإخبار، ولكن المراد بها الإنشاء والأمر، واستدل على جوازه وحسنه أيضاً بأنه قد صح عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قد لعن عمرو بن العاص عند هجوه للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى بعض أشعاره. فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«اللهم إني لا أحسن الشعر ولا ينبغي لى، اللهم العنه بكل حرف لعنة»(4).

1- الصحاح للجوهري: ج6، ص2196. تاج العروس للزبيدي: ج18، ص510\_\_512.

2- سورة البقرة، الآية: 159.

3- سورة آل عمران، الآية: 87.

4- الاحتجاج للطبرسى: ج1، ص412. المحصول فى علم أصول الفقه، لفخر الدين الرازى: ج4، ص241، وجاء فيه: رحمة اللهانى لا أحسن الشعر فالعنه بكل قافية لعنة).



وأنه قد صح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه لعن معاوية، وعمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري، وأبا الأعور السلمي؛ فلولا أن اللعن على من يستحقه كان موجبا للثواب لما بادر إليه سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم وسيد الأوصياء عليه السلام، وكذا تواتر عن سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، لعن أعادى الدين، وفعلهم حجة على العالمين، ورغبوا الشيعة في لعن أعداء أهل البيت بأسمائهم، وذكروا لعنهم ثوبا عظيما، كما لا يخفى على من تتبع آثارهم عليهم السلام.

وممن جوز اللعن من المخالفين: سعد الدين التفتازاني، فإنه قال في شرح المقاصد: (ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ، والمذكور على ألسنة الثقات، يدل بظاهره على أن بعضهم قد حاد عن طريق الحق، وبلغ حد الظلم والفسق، وكان الباعث عليه الحقد والعناد، والحسد واللداد، وطلب الملك والرئاسات، والميل إلى اللذات والشهوات، إذ ليس كل صحابي معصوما، ولا كل من لقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخير موسوما).

إلا- أن العلماء لحسن ظنهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنهم محفوظون عما يوجب التضليل والتفسيق، صونا لعقائد المسلمين من الزيغ والضلالة في حق كبار الصحابة، سيما المهاجرين منهم، والأنصار المبشرين بالثواب في دار القرار.

وأما ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء، ويكاد تشهد به الجماد والعجماء، ويكي له من في الأرض والسماء، وتهد منه الجبال، وتنشق منه الصخور، ويبقى سوء عمله على كر الشهور ومر الدهور، فلعنة الله

على من باشر أو رضى أو سعى، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

فان قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوز اللعن على يزيد، مع علمهم بأنه يستحق ما يربو على ذلك ويزيد، قلنا: تحاميا على أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى، كما هو شعار الروافض، على ما يروى في أدعيتهم، ويجرى في أنديتهم، فرأى المعتنون بأمر الدين الجام العوام بالكلية طريقا إلى الاقتصاد في الاعتقاد، بحيث لا تزل الأقدام عن السواء، ولا تضل الأفهام بالأهواء، وإلا فمن خفى عليه الجواز والاستحقاق، وكيف لا يقع عليهما الاتفاق؟، وهذا هو السر فيما نقل عن السلف من المبالغة في مجانبة أهل الضلال، وسد طريق لا يؤمن أن يجر إلى الغواية في المآل، مع علمهم بحقيقة الحال وجليه المقال(1).

قال الشيخ محمد قاهر القمى: انظر إلى هؤلاء كيف يجوزون تحريم ما حلل الله من لعن من يستحق اللعن من غير اذن من الله، وقد قال الله تعالى:

<أَلَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ>(2).

وسخافة عذر التفتازانى من قبل المانعين من اللعن السائغ شرعا لا يخفى عن اللبيب المنصف.

إن قيل أوجب متمم للإيمان اللعن على مذهب الإمامية أم مستحب مكمل للإيمان؟، قلنا: على مذهب الإمامية بغض أعداء أهل البيت واجب، لأن به يتم حب أهل البيت الذى أمرنا الله به، وجعله أجر الرسالة، وتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

1- شرح المقاصد، التفتازانى: ج 2، ص 306\_\_307.

2- سورة يونس، الآية: 59.

وجوبه علينا، فإن حبههم وحب أعدائهم لا يجتمعان، ونعم ما قال الشاعر:

تود عدوى وتزعم أنني

أحبك إن الرأي عنك لعازب

وأما اللعن فغير واجب، بل مستحب مكمل للإيمان، وتحديث بنعمة الرب، وأي نعمة أعظم من بغض أعداء أهل البيت، ومن أضرار الإمامية في سب أعداء أهل البيت، أن أهل السنة يحكمون على قتلة عثمان ومحاربي علي عليه السلام من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية، الذين قتل في حربهم نحو مائة ألف من المهاجرين والأنصار وتابعيهم، من العلماء والعباد والزهاد، وأن كل ذلك كان منهم بالاجتهاد، وهم غير مؤاخذين بل مثابون، وإذا جاز الاجتهاد في قتال أخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه والخليفة إجماعاً، وفي قتلة عثمان والأنصار والمهاجرين والتابعين، جاز الاجتهاد في لعن بعض الصحابة، مع وفور الأحاديث والآثار الدالة على مخالفتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعداوتهم للوصى، بل هو أولى بالجواز، لأن السب الذى جوزه الشيعة إنما هو دعاء عليهم، والبارى تعالى إن شاء لم يستجبه، وليس مثل سفك دماء المهاجرين والأنصار وتابعيهم.

وهذا معاوية مع ما فعل من قتل المؤمنين ونهبهم، سن لعن على وأهل بيته عليهم السلام، واستمر ذلك فى زمن بنى أمية ثمانين سنة، ولم ينقص ذلك من شأنه عندهم، ولم يخرج من العدالة فضلاً عن الإيمان، فكيف يفسقون الشيعة بلعن بعض الصحابة، مع ظهور الدليل على استحقاقهم اللعن؟!

وكيف يجوز للمخالف أن يقول بجواز اجتهاد معاوية وأمثاله فى قتال على عليه السلام ولعنه، وقتل المهاجرين والأنصار مع عدم الدليل والشبهة وبعدم جواز اجتهاد الشيعة فى لعن أعداء أهل البيت، مع وفور الأدلة من الكتاب والسنة المتواترة.

ومن العجب أن المتأخرين من المخالفين قد بالغوا في المنع عن لعن أعداء أهل البيت، حتى حكم بعضهم لفرط عصيتهم وعدم ديانتهم بكفر من سب الشيخين، بعد ما زعموا أن سباب أمير المؤمنين عليه السلام لم يخرج من العدالة والإيمان، وحكم بعضهم بأن سب الشيخين كفر وسب الختتين فسق.

انظر أيها اللبيب المنصف إلى هؤلاء الجهلة كيف حطوا مرتبة أمير المؤمنين عليه السلام؟، وخالفوا الله ورسوله في قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا على حربك حربى وسلمك سلمى»(1).

وفى قوله:

«من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وفى قوله:

«على حبك إيمان وبغضك نفاق».

وأمثالها من الأحاديث المتواترة الثابتة الصحيحة عند المخالف والمؤلف(2).

### المسألة الثانية: من هم الذين مسخوا قرده وخنازير؟

إن من الحقائق التاريخية التي تحدث عنها القرآن الكريم هي حقيقة المسخ الذي عاقب الله به جماعة من بنى إسرائيل.

وقد اختلفت الآراء حول هذه الحقيقة القرآنية، فقال الشريف المرتضى:

(المسخ أن يغير صورة الحي الذي كان إنساناً يصير بهيمة، لا أن يتغير صورته إلى صورة البهيمة، الأصل في المسخ قوله تعالى:

1- الأمالى للشيخ الصدوق: ص 656. كفاية الأثر للقمي: ص 148.

2- كتاب الأربعين، محمد طاهر القمي الشيرازي: ص 635.

<كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ> (1).

وقوله تعالى:

<وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ> (2).

وقد تأول قوم من المفسرين آيات القرآن التي في ظاهرها المسخ، على أن المراد بها أنا حكمنا بنجاستهم، وخسة منزلتهم، وايضاع أقدارهم، لما كفروا وخالفوا، فجروا بذلك مجرى القروود التي — لها — هذه الأحكام، كما يقول أحدنا لغيره: ناظرت فلانا وأقمت عليه الحجة حتى مسخته كلبا على هذا المعنى.

وقال آخرون: بل أراد بالمسخ أن الله تعالى غير صورهم وجعلهم على صور القروود على سبيل العقوبة لهم والتنفير عنهم، وذلك جائز مقدور لا- مانع له، وهو أشبه بالظاهر وأمر عليه، والتأويل الأول ترك للظاهر، وإنما تترك الظواهر لضرورة وليست هاهنا. فإن قيل: فكيف يكون ما ذكرتم عقوبة؟

قلنا: هذه الخلقة إذا ابتدأت لم تكن عقوبة، وإذا غير الحي المخلوق على الخلقة التامة الجميلة إليها، كان ذلك عقوبة، لأن تغير الحال إلى ما ذكرناه يقتضى الغم والحسرة. فإن قيل: فيجب أن يكون مع تغير الصورة ناس قردة، وذلك متناف.

قلنا: متى تغيرت صورة الإنسان إلى صورة القرد، لم يكن في تلك الحال إنسانا، بل كان إنسانا مع البنية الأولى، واستحق الوصف بأنه قرد لما صار على صورته، وإن كان الحي واحدا في الحالين، ويجب فيمن مسخ قردا على سبيل

1- سورة البقرة، الآية: 65.

2- سورة المائدة، الآية: 60.

العقوبة أن يذمه مع تغيير الصورة على ما كان منه من القبائح، لأن تغيير الهيئة والصورة لا يوجب الخروج عن استحقاق الدم، كما لا يخرج المهزول إذا سمن عما كان يستحقه من الدم، وكذا السمين إذا هزل.

فإن قيل: فيقولون إن هؤلاء الممسوخين تناسلوا، وأن القردة في أزماننا هذه من نسل أولئك. قلنا: ليس يمتنع أن يتناسلوا بعد أن مسخوا، لكن الإجماع على أنه ليس شىء من البهائم من أولاد آدم ولولا هذا الإجماع لجوزنا ما ذكروا على هذه الجملة التي قررناها لا ينكر صحة الأخبار الواردة من طرفنا بالمسوخ لأنها كلها تتضمن وقوع ذلك على من يستحق العقوبة والدم من الأعداء والمخالفين.

فإن قيل: أفتجوزون أن يغير الله تعالى صورة حيوان جميلة إلى صورة أخرى غير جميلة بل مشوه منفور عنها أم لا تجوزون ذلك؟.

قلنا: إنما أجزنا في الأول ذلك على سبيل العقوبة لصاحب هذه الخلقة التي كانت جميلة، ثم تغيرت، لأنه يغتم بذلك ويتأسف، وهذا الغرض لا يتم في الحيوان الذي ليس بمكلف، فتغير صورهم عبث، فإن كان في ذلك غرض يحسن لمثله جاز(1).

أما لماذا وقع المسوخ على هؤلاء؟ فجوابه نجده عند الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد روى أنه قال:

«كان هؤلاء قوما يسكنون على شاطئ بحر فنهاهم الله وأنبيأه عن اصطياد السمك في يوم السبت، فتوصلوا إلى حيلة ليحلوا بها لأنفسهم ما حرم الله، فخذوا أخاديد وعملوا طرقا تؤدي إلى حياض يتهبأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق، ولا يتهبأ لها الخروج إذا

همت بالرجوع، فجاءت الحيتان يوم السبت جارية على أمان لها فدخلت الأخاديد وحصلت فى الحياض والغدران، فلما كانت عشية اليوم همت بالرجوع منها إلى اللجج لتأمن من صاندها فرامت الرجوع فلم تقدر، وبقيت ليلتها فى مكان يتهبأ أخذها بلا اصطيد لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها، وكانوا يأخذون يوم الأحد ويقولون: ما اصطدنا فى السبت وإنما اصطدنا فى الأحد، وكذب أعداء الله بل كانوا آخذين بها بأخاديدهم التى عملوها يوم السبت حتى كثر من ذلك ما لهم»(1).

### المسألة الثالثة: الحكمة فى دعائه عليه السلام باللعن على قاتلى زهير بالمسخ قرده وخنازير

يمكن الوقوف على الحكمة فى دعاء الإمام الحسين عليه السلام باللعن على قاتلى زهير بن القين بالمسخ قرده وخنازير من خلال النقاط التالية:

أولاً: إن العامل المشترك بين الذين مسخوا قرده وخنازير وبين قتلة زهير بن القين \_\_ عليه السلام \_\_ هو الاحتيال على الشريعة، فأولئك احتالوا على الحكم الشرعى بعدم الاصطيد يوم السبت فنصبوا شباكهم يوم الجمعة وأخرجوها يوم الأحد فعلق بها السمك فى يوم السبت وتحقق بهذا الفعل مصداق الاصطيد وظهر احتيالهم على الحكم الشرعى.

وأما هؤلاء فقد احتالوا على المسلمين وادعوا أنهم مناصرو سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحماة حرمة أصحابه والمطالبون بدم عثمان بن عفان، فهاهم اليوم

يقتلون رجلاً عُرف بأنه عثمانى الهوى وكان يدعو لنصرته، فلماذا يقتلونه اليوم، فبقتلهم إياه ظهر احتياليهم على السنة النبوية؛ فهم فى حقيقةهم طلاب دنيا ومال كما هو حال الذين مسخوا قرده وخنازير.

ثانياً: إن بنى إسرائيل قد عرفهم القرآن بأنهم قتلة الأنبياء عليهم السلام، بل ويقتلون كل من يقوم بنصحهم وإرشادهم إلى الصواب وتعريفهم بقبح أعمالهم كما هو حال مؤمن آل فرعون الذى نصح قومه وأخلص لهم النصيحة فقابلوه بالقتل.

وكذا كان حال زهير بن القين فلقد أخلص لهم النصيحة حينما تبين له أن قومه الذين يدعون نصره السنة النبوية والحفاظ على حرمة الخليفة عثمان بن عفان والصحابة، هم فى هذا اليوم يقتلون السنة وينتهكون حرمة صاحبها صلى الله عليه وآله وسلم.

وكيف ستكون للسنة حرمة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تُسى بناته وتُسحق أطفاله بحوافر الخيل!؟. ولذلك كان زهير بن القين ناصحاً للسنة ولقومه الذين اغتروا وافتتنوا بأئمة الضلال ودعاة الباطل. ومما يدل على هذه الحقيقة:

1\_\_ حينما أرسل إليه الإمام الحسين عليه السلام فى طريقه إلى العراق وأخبره بما قاله سلمان له حينما كانوا معاً فى غزوة بلنجر: (إذا أردتكم شباب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم من الغنائم)، حينها أيقن أن حفظ السنة النبوية، بل وحفظ القرآن هو فى نصره ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأن الفوز بالجنة لا يتحقق إلا بالانضمام إلى ركب سيد شباب أهل الجنة وليس إلى سادات أهل النار كابن سمية وابن مرجانة وابن هند.

2\_\_ حينما اكتملت الجيوش الزاحفة إلى كربلاء من الكوفة فى يوم التاسع من المحرم تقدم عمر بن سعد فنادى بتلك الجموع: (يا خيل الله اركبى وأبشرى،



فركب في الناس ثم زحف نحوهم بعد صلاة العصر، و— وكان الإمام — الحسين عليه السلام جالساَ أما بيته محتبياً بسيفه أخفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الصيحة فذنت من أخيها فقالت: يا أخي أما تسمع الأصوات قد اقتربت؟ قال: فرجع الحسين عليه السلام رأسه فقال:

«إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا».

قال: فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتي، فقال عليه السلام:

«ليس لك الويل يا أخية، اسكتي رحمك الرحمان».

وقال العباس بن علي: يا أخي أتاك القوم، قال: فنهض ثم قال:

«يا عباس اركب بنفسى أنت يا أخي حتى تلقاهم فتقول لهم: ما لكم وما بدا لكم؟ وتسالهم عما جاء بهم».

فأتاهم العباس فاستقبلهم في نحو من عشرين فارساً فيهم زهير بن القين وحبیب بن مظاهر، فقال لهم العباس ما بدا لكم وما تريدون؟ قالوا: جاء أمر الأمير بأن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه أو ننازلكم، قال: فلا تعجلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله فأعرض عليه ما ذكرتم قال: فوقفوا ثم قالوا: ألقه فاعلمه ذلك، ثم ألقنا بما يقول: قال: فانصرف العباس راجعاً يركض إلى الحسين يخبره بالخبر، ووقف أصحابه يخاطبون القوم، فقال حبیب بن مظاهر لزهير بن القين: كلم القوم إن شئت وإن شئت كلمتهم، فقال له زهير أنت بدأت بهذا فكأن أنت تكلمهم فقال لهم حبیب بن مظاهر: أما والله لبئس القوم عند الله غدا قوم يقدمون عليه، قتلوا ذرية نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وعترته وأهل بيته عليهم السلام وعباد أهل هذا المصير المجتهدين بالأسحار والذاكرين الله كثيراً فقال له عزرة بن قيس: إنك لتزكى نفسك ما استطعت.

فقال له زهير: يا عزرة إن الله قد زكاها وهداها، فاتق الله يا عزرة فإنى لك من الناصحين أنشدك الله يا عزرة أن تكون ممن يعين الضلال على قتل النفوس الزكية.

قال: يا زهير ما كنت عندنا من شيعة أهل هذا البيت إنما كنت عثمانيا، قال: أفلست تستدل بموقفي هذا أنى منهم؟ أما والله ما كتبت إليه كتابا قط، ولا أرسلت إليه رسولا قط، ولا وعدته نصرتي قط، ولكن الطريق جمع بينى وبينه، فلما رأيته ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكانه منه، وعرفت ما يقدم عليه من عدوه وحزبكم فرأيت أن أنصره وان أكون فى حزبه وأن أجعل نفسى دون نفسه حفظا لما ضيعتم من حق الله وحق رسوله صلى الله عليه وآله وسلم (1).

فهذه المحاوراة وان كنا قد أوردنا ذكرها فى ترجمة زهير الا ان ذكرها هنا ليدل بوضوح على حقيقة دور زهير بن القين عليه السلام فى إلقاء الحجة على هؤلاء وكشف حقائق نفوسهم، وأنه كان الناصح المخلص لمن يدعون حب عثمان بن عفان.

3\_\_ لم يكتب زهير بن القين بهذا النصح الذى قدمه لعزرة بن قيس وإنما قومه بهذا النصح وبالغ فيه فى يوم العاشر حينما استأذن الإمام الحسين عليه السلام فى أن يخطب القوم فأذن له.

(فخرج إليهم على فرس ذنوب وهو شاكٍ فى السلاح، فقال: يا أهل الكوفة نذار لكم من عذاب الله إن حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف وأنتم للنصيحة منا أهل فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا أمة وأنتم أمة إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لينظر ما نحن وأنتم عاملون إنا ندعوكم إلى

نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عموم سلطانهما كله ليسملان أعينكم ويقطعان أيديكم وأرجلكم ويمثلان بكم ويرقعانكم على جذوع النخل ويقتلان أمثالكم وقراءكم أمثال حجر بن عدى وأصحابه وهانئ بن عروة وأشباهه.

قال فسبوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلماً، فقال لهم عباد الله إن ولد فاطمة عليها السلام أحق بالود والنصر من ابن سمية فإن لم تنصروهم فأعيذكُم بالله أن تقتلوهم فخلوا بين هذا الرجل وبين ابن عمه يزيد بن معاوية فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

قال فرماه شمر بن ذى الجوشن بسهم وقال اسكت أسكت الله نأمتك أبرمتنا بكثرة كلامك، فقال له زهير: يا ابن البوال على عقبه ما إياك أخاطب إنما أنت بهيمة والله ما أظنك تحكم من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزى يوم القيامة والعذاب الأليم، فقال له شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة قال: أقبال الموت تخوفنى؟! فوالله للموت معه أحب إلى من الخلد معكم.

قال: ثم أقبل على الناس رافعا صوته فقال: عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافى وأشباهه فوالله لا تنال شفاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوما هراقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذبح عن حريمهم، قال: فناداه رجل فقال له: إن أبا عبد الله يقول لك: «أقبل فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت لو نفع النصح والإبلاغ»<sup>(1)</sup>.

1- تاريخ الطبرى: ج4، ص323 إلى 324. مقتل الحسين عليه السلام، أبى مخنف: ص120. إِبصار العين، محمد السماوى: 2166.

ويكشف قول الإمام الحسين عليه السلام لزهير بن القين بعد خطبته عن الحكمة في دعائه عليه السلام عليهم باللعن الذي نزل ببني إسرائيل فمسخهم الله قردة وخنازير.

بل يكشف القول المروى عن حذيفة بن اليمان عن تحقق دعوة الإمام الحسين عليه السلام عليهم بالمسخ قردة وخنازير؛ قال رحمة الله: (لتعملن عمل بني إسرائيل فلا يكون فيهم شيء إلا كان فيكم مثله، فقال رجل تكون فينا قدرة وخنازير؟ قال: وما يبريك (1) من ذلك، لا أم لك، قالوا: حدثنا يا أبا عبد الله! قال:

«لو حدثتكم لافترقتم على ثلاث فرق: فرقة تقاتلني، وفرقة لا تنصرنني، وفرقة تكذبني، أما إنني سأحدثكم ولا أقول: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم): رأيتكم لو حدثتكم أنكم تأخذون كتابكم فتحرقونه وتلقونه في الحشوش، صدقتموني؟».

قالوا: سبحان الله! ويكون هذا؟، قال:

«لو حدثتكم أنكم تكسرون قبلتكم، صدقتموني؟».

قالوا: سبحان الله! ويكون هذا؟، قال:

«أرأيتكم لو حدثتكم أن أمكم \_\_ عائشة \_\_ تخرج في فرقة من المسلمين، وتقاتلكم صدقتموني؟».

قالوا: سبحان الله! ويكون هذا؟ (2).

1- يريك، أى ينجيك، ويأمئك من الوقوع في الفتنة، وهو من البراءة.

2- المصنف، ابن أبي شيبه الكوفي: ج 8، ص 635. كنز العمال، المتقى الهندي: ج 11، ص 341. رسائل المرتضى: ج 1، ص 352. وقد أورده المختصر.

## المحتويات

الإهداء 5

مقدمة اللجنة العلمية 7

مقدمة الكتاب 9

الفصل الأول: مفهوم الدعاء

المبحث الأول: الدعاء فى اللغة والاصطلاح 19

المسألة الأولى: الدعاء فى اللغة 19

ألف: النداء 19

باء: الاستغاثة 19

جيم: العبادة 20

دال: الاستعانة 20

المسألة الثانية: الدعاء فى الاصطلاح 21

المبحث الثانى: الدعاء فى القرآن الكريم 22

أولاً: مدلول فطرى 22

ثانياً: مدلول تعبدى 23

ثالثاً: مدلول تقاضى 25

رابعاً: مدلول جزائى أخروى 29

خامساً: مدلول سايكولوجى 30

المبحث الثالث: الدعاء فى السنة 32

## الفصل الثانى:

دعاء الإمام الحسين عليه السلام وخصوصية المكان والزمان

المبحث الأول: الخصوصية المكانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء 43

المسألة الأولى: الملائكة عليهم السلام تحمل تربة كربلاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 43

المسألة الثانية: النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يخبر علياً عليه السلام بخصوصية تربة كربلاء 45

المسألة الثالثة: شرافة تربة كربلاء عند أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه 46

المسألة الرابعة: الإمام على عليه السلام يخبر أصحابه عن شرافة تربة كربلاء 48

المبحث الثانى: خصوصية تربة كربلاء عند أئمة أهل البيت عليهم السلام 52

أولاً: تقديم تربة كربلاء بالخلق على تربة مكة 52

ثانياً: تفضيلها على أرض مكة وأنها حرم آمن 53

المسألة الأولى: سنة التفضيل حقيقة كونية وقرآنية 54

المسألة الثانية: الحكمة فى تفضيل أرض كربلاء على أرض مكة 55

ثالثاً: إن كربلاء هى البقعة المباركة بجانب شاطئ الوادى الأيمن 57

رابعاً: إنها محل ولادة عيسى عليه السلام والربوة التى التجأت إليها مريم عليها السلام 58

خامساً: أنها الموضع الذى ردت فيه الشمس لعلى أمير المؤمنين عليه السلام 59

المبحث الثالث: الخصوصية المكانية لتربة كربلاء وعلاقتها بالدعاء 62

## الفصل الثالث:

الخصوصية الزمانية لدعاء الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الأول: خصوصية ليلة عرفة ويومه فى أرض الحائر الحسينى 71

مسألة: كيف يتحقق النظر إلى زوار قبر الحسين عليه السلام مع تقدم وقوف أهل عرفات زماناً لاختلاف الأفق! 75

المبحث الثاني: خصوصية يوم عاشوراء 78

المسألة الأولى: خصوصية يوم عاشوراء قبل فاجعة الطف عند أهل البيت عليهم السلام 78

المسألة الثانية: خصوصية يوم عاشوراء بعد فاجعة الطف 80

الفصل الرابع:

علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالدعاء

المبحث الأول: كثرة دعائه عليه السلام 91

استثمار دقائق الحياة بالعبادة 92

المبحث الثاني: دور التهجد في الإعداد الروحي والقلبي لخوض المهمات وتحمل الملمات 94

المبحث الثالث: آثار تهجد الإمام الحسين عليه السلام على الأعداء 102

المسألة الأولى: الجانب الرسالي 102

المسألة الثانية: الجانب النفسى 102

المسألة الثالثة: الجانب العسكرى 103

الفصل الخامس:

مواضع دعائه قبل البدء فى القتال

توطئة 107

الموضع الأول: دعاؤه عليه السلام حينما رأى الجيوش من حوله 109

المبحث الأول: الأسباب الباعثة للدعاء 111

أولاً: وقت الدعاء 111

ثانياً: آثار الدعاء فى وقت الصباح 112

المبحث الثانى: بحث سايكولوجى (نفسى) 113

الثقة عامل نفسى تتوقف عندها الهزيمة والنصر 113

المبحث الثالث: مبحث أخلاقى 123

المبحث الرابع: نظريته عليه السلام فى منشأ الهموم وعوامل تفريجها 146



المبحث الخامس: دور الدعاء فى التربية الروحية 169

المسألة الأولى: التلازم بين أركان الدعاء 169

المسألة الثانية: دوام السياق التأديبى فى الخطاب مع الله تعالى 175

الموضع الثانى: من أدعيته عليه السلام قبل البدء بالقتال 178

دعاؤه عليه السلام على جيش عمر بن سعد 178

المبحث الأول: أسباب الدعاء 182

أولاً 182

ثانياً 187

ثالثاً 188

رابعاً 193

المبحث الثانى: مبحث قانونى 196

منهج الإمام الحسين عليه السلام فى القصاص من الظالمين 196

الفصل السادس:

تحقق الأثر الغيبى فى دعاء الإمام الحسين عليه السلام

المبحث الاول: تحقق الأثر الغيبى بعد بضع سنين من عاشوراء 209

الحلقة الأولى: إن الله تعالى سلط عليهم غلام تقيف 209

الحلقة الثانية: إن الله تعالى سلط عليهم سنين كسنى يوسف عليه السلام 231

أولاً: عجز خزينة الدولة وتردى الوضع الاقتصادى 231

ثانياً: فرض الضرائب على الناس وتعذيبهم وسجنهم على ذلك 236

ثالثاً: فرار المسلمين من القرى الزراعية إلى المدن بسبب الضرائب وعجزهم عن دفعها 237

رابعاً: فرض الدولة الجزية على أهل الذمة حتى بعد إسلامهم مع مخالفة ذلك للقرآن 238

المبحث الثاني: تحقق الأثر الغيبي الآن في دعائه عليه السلام 240

الفصل السابع:

مواضع أدعيته عليه السلام لأصحابه عليهم السلام

الموضع الأول من أدعيته لأصحابه: دعاؤه لأم وهب رضى الله عنها 279

المسألة الأولى: من هي أم وهب؟ 279

المسألة الثانية: سبب الدعاء 279

المسألة الثالثة: ما هو رجاء أم وهب عليها السلام؟ 281

المسألة الرابعة: شفاعة الأئمة يوم القيامة 282

أولا: الشفاعة لغة 282

ثانيا: الشفاعة عند الفقهاء 283

ثالثا: الشفاعة عند المفسرين 285

رابعا: شفاعة الإمام الحسين عليه السلام 288

الموضع الثانى من أدعيته لأصحابه: دعاؤه لجون 290

المسألة الأولى: من هو جون؟ 290

المسألة الثانية: تحقق الأثر الغيبى فى دعائه عليه السلام لجون 290

الموضع الثالث من أدعيته عليه السلام لأصحابه: دعاؤه لأبى الشعثاء الكندى 295

المسألة الأولى: من هو (أبو الشعثاء الكندى)؟ 295

المسألة الثانية: دور القائد فى رفع مستوى المقاتل 296

الموضع الرابع من دعائه عليه السلام لأصحابه: دعاؤه للغفاريان 297

المسألة الأولى: أسباب الدعاء 297

المسألة الثانية: التعريف بهما 298

المسألة الثالثة: درجات المواساة للعترة النبوية ورتب استحقاقها من الأجر 298

الموضع الخامس من دعائه لأصحابه: دعاؤه لأبي ثمامة الصائدي 304

المسألة الأولى: أسباب الدعاء 304

المسألة الثانية: التعريف بأبي ثمامة الصائدي 305

المسألة الثالثة: دور القائد في ترسيخ حب الصلاة وإقامتها 306

الموضوع السادس من دعائه لأصحابه: دعاؤه لزهير بن القين 308

المبحث الأول: التعريف بشخصية زهير بن القين — عليه السلام — 308

المسألة الأولى: أقوال العلماء فيه 308

المسألة الثانية: علاقته بسيد الشهداء عليه السلام 309

المبحث الثاني: جواز اللعن في الشريعة 316

المسألة الأولى: جواز اللعن على مستحقه، وهل يترتب ثواب على الإتيان به؟ 316

المسألة الثانية: من هم الذين مسخوا قردة وخنازير؟ 322

المسألة الثالثة: الحكمة في دعائه عليه السلام باللعن على قاتلي زهير بالمسخ قردة وخنازير 325

## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ  
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟  
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟  
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الإلكتروني : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز  
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية  
اصبهان  
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

